الشخصية الإسلامية
ومؤسسات التعليم في الغرب

الأمّة
Al Ummah

اسلامية . شهرية . جامعة

العدد السادس والأربعون ـ السنة الرابعة ـ شوال ١٤٠٤هـ تموز (يوليو) ١٩٨٤م

العلامة المجاهد
الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

■ مساجد من الجزائر ■

■ الجامع الكبير وساحة الشهداء

■ مسجد باتنة ■

126659530

بسم الله الرحمن الرحيم

الأمة
Al Ummah

إسلامية شهرية جامعة

تصدر في غرة كل شهر عربي عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر

An Islamic Monthly published by the Presidency of Sharia Courts & Islamic Affairs, State of Qatar, at the beginning of every Hijri Month.

1 SHAWWAL 1404 A.H.
30 JUNE 1984 A.D.

أزمة الواقع الإسلامي

■■ لا شك أن الواقع الإسلامي يعيش أزمة على مختلف الأصعدة ، ويعاني من أوضاع حرجة فأين يكمن الخلل ؟

هل نعاني أزمة وجود القيادة الواعية القادرة على الإفادة من الطاقات الإسلامية المخلصة ووضعها في المكان الصحيح ؟ أم انه الخلط الواقع بين الأمنيات والإمكانات وغياب الفهم الدقيق لحدود أمر التكليف بالوسع ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ هو الذي انتهى بالعمل الإسلامي إلى السير في الدروب المظلمة والوقوع في الضرورات فتستباح المحظورات بعد ذلك ؟ أم هو العجز عن الرؤية الشاملة ومن ثم اختيار الموقع الفاعل من خلال الظروف المحيطة والإمكانات المتاحة ؟

هل هو العجز عن تحقيق التوازن الاجتماعي المطلوب وفقدان القدرة على التعامل مع المجتمع ، والتارجح بين الانسحاب منه وتسكير منافذ الدعوة واستنقاذ الناس بالإسلام أو الذوبان فيه ؟ أم ان غياب الدراسات النقدية التقويمية هو الذي ساهم بتكريس الأخطاء وعدم الإفادة من التجارب وأدى إلى صور التخبط والتعثر والاضطراب ؟

هل لأن تربيتنا انصرفت إلى تحقيق الإخلاص في الفرد وأعرضت عن التدريب على الصواب واختبار ذلك ، أم ان جذر الأزمة كامن في التمحور حول الأشخاص والولاء لهم والتسويغ لأخطائهم واستبدال الولاء للأشخاص بالولاء للأفكار وغلبة التعصب الحزبي على أخلاق الداعية ؟!

إن شدة الإيمان بالأهداف ، وقوة هذه الأهداف تقتضي التوحد على طريق تحقيق هذه الأهداف : فالخلاف في وجهات النظر أمر فطري يعود إلى الفوارق الفردية الخَلْقِية لكن لا يجوز بحال من الأحوال أن يؤدي إلى الاختلاف والافتراق .

إن عدم إدراك النتائج وتحقيق الأهداف المرجوة بعد إتقان المقدمات قضية تتنافى مع العدل الإلهي الأمر الذي يؤكد وجود الخلل والخطأ في المقدمات ... إذن فالخلل قائم في أنفسنا والخروق التي يتسلل منها الأعداء من صنع أيدينا .

لقد كثرت الشكاوى وبث الهموم والأحزان ولَمّا تتغير مواقعنا كثيراً بعد ، ولعل الإحساس بالقضية هو بداية المرحلة لإيجاد الحل بشرط أن لا نتوقف عند عتبة الإحساس ونتعالج بالشكوى ونوهم النفس ونخادعها بالإسقاط على الآخرين سواء في ذلك من هم داخل الصف الإسلامي أم خارجه .

لقد بدأت « الأمــة » طرح مثل هذه القضايا وقدمت بعض المعالجات في هذا المجال .. ولعل ما نطرحه في هذا العدد (قضية للمناقشة) «أين الخلل ؟» للدكتور نعمان السامرائي يكون حافز المفكرين والباحثين للمشاركة بدراسات تقويمية نقدية لمسيرة العمل الإسلامي وتحديد مواطن العلة وتقديم الدواء ، فإذا ما أغنينا تصور المسلم بالرؤية الصائبة أمكنه التعرف على واقعه والحكم عليه واكتشاف شروط النهوض ، ولعل ذلك يكون مهمة « الأمــة » وخطتها في السنة الخامسة إن شاء الله .. ولله الأمر من قبل ومن بعد . ■■

المشرف العام
عبدالرحمن بن عبدالله آل محمود
President
Abdulrahman Abdulla Al Mahmoud

رئيس التحرير
يوسف عبدالرحمن المظفر
Chief Editor
Yousuf Abdulrahman Al Muzaffar

مدير التحرير
عمر عبيد حسنه
Editorial Director
Ummar Ubaid Hasna

طبعت بمطابع الدوحة الحديثة - قطر

في هذا العدد

- كلمـــــة الأمـــــــة ٤
- الأدب التنصيري .... الدكتور نجيب الكيلاني ٨
- لماذا رؤية جديدة للتاريخ الإسلامي :
  خيانـة المنهج [٣] .... الدكتور عبد العظيم الديب ١٢
- (قضيـــة للمناقشـــة) :
  أيـن الخـلل ؟ .... الدكتور نعمان عبد الرازق السامرائي ١٨
- كيف يتحول الاختلاف إلى خلاف .... محمد الصالح عزيز ٢٠
- في شارع الدمى المتحركة (شعر) .... أحمد سالم ٢٣
- (عـــالـم وكتـــاب) :
  الإدريسي وكتابه نزهة المشتاق .... الدكتور أنور عبد العليم ٢٤
- المعنى السياسي في الالتزام
  بالتقـويم الهجــري .... إبراهيم إبراهيم هلال ٢٦
- مواجهة التبشير بالنصرانية بين
  صفوف الطلبة المسلمين .... الدكتور فاروق مساهل ٢٨
- الإيمـان والطب النفسي .... الدكتور عز الدين فراج ٣٠
- الحصـــاد (قصة قصيرة) .... أحمد محمود المبارك ٣٢
- (الأسـرة المسلمـة) :
  المشاكل النفسية للمرأة العاملة .... آمال عبد الرحمن محمد ٣٤
- (اســـتطلاع) :
  الواقع الإســـلامي في بلجيـــكا ـ
  تأصيل الوجود الإسلامي بعد مرحلة اكتشاف الذات ٣٦

صـــورة الغـلاف

■■ في الجزائر المسلمة .. كانت المساجد ، وكتاتيب تحفيظ القرآن ، والزوايا .. هي الربط الحقيقية التي انطلقت منها جيوش التحرير الثقافي والعسكري ـ على حد سواء ـ .

وكان العلماء المجاهدون ـ من أمثال الشيخ عبد الحميد بن باديس ، والشيخ البشير الإبراهيمي ـ هم قادة جيوش التحرير هذه .. أيقظوا الوعي في الشعب المسلم .. وأثاروا عنده الإحساس بالتميز عن الأجنبي المستعمر .. فعجز الاستعمار الفرنسي ـ بقواته وكنيسته ـ عن أن يغيروا من انتمائه الإسلامي أو لسانه العربي .. ■■

□ الغلاف بريشة : الفنان عصـام عزوز □

التحرير والإدارة

Editorial Offices & Administration

Tel.: (PABX) 441510 DOHA	٤٤١٥١٠	هاتف ـ (بدالة) :
Chief Editor 447022	٤٤٧٠٢٢	رئيس التحرير :
Editorial Director 441830	٤٤١٨٣٠	مدير التحرير :
Editing Staff 441887	٤٤١٨٨٧	القسم الفني :
Editor Staff 447500	٤٤٧٥٠٠	هيئة التحرير :
Telex: 4999 Al Ummah DH	٤٩٩٩ الأمة د هـ	تلكس :
Cables: Al Ummah DOHA	الأمة الدوحة	برقياً :
Mailing Address: P.O. Box 893 DOHA QATAR	٨٩٣ الدوحة ـ قطر	ص . ب :

المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق بشأنها مع الإدارة

ما يُنشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

ثمن النسخة

قطـــر	٣ ريـالات	لبنـــان	٢٠٠ قـرش
السـعودية	٣ ريـالات	مصـــر	٢٠٠ مـليم
الكـويت	٢٠٠ فـلس	السـودان	٢٠٠ مـليم
البحـرين	٢٠٠ فـلس	ليبيـــا	٢٠٠ درهـم
الامـارات	٣ دراهـم	الجـزائر	دينـاران
عمـان	٢٠٠ بيسـة	تونـس	٢٠٠ مـليم
اليمن الشمالي	٢٠٠ فـلس	المغـرب	درهمـان
اليمن الجنوبي	٢٠٠ فـلس	دول آسيا وافريقيا	نصف دولار امريكي
العـراق	٢٠٠ فـلس		
الأردن	٢٠٠ فـلس		
سـوريا	٢٠٠ قـرش		

● في الأمريكيتين واوروبا واستراليا دولار امريكي او ما يعادله ..

الاشتراك السنوي

Annual Subscription

للأفراد

- في قطـر ٣٠ ريـالاً قطريـاً .
- في الدول العـربية والأسيـوية والافـريقية : ٤٠ ريـالاً قـطريـاً أو ١١ دولاراً امـريكيـاً او ما يعادلهـا .
- في الأمريكيتين وأوروبا واستراليا ١٢ دولاراً امريكيـاً أو ما يعادلهـا .

للدوائر الحكومية والشركات والمؤسسات

- في قطـر : ٧٥ ريـالاً قطريـاً
- في الدول العربية والآسيوية والافريقية : ٨٠ ريالاً قطرياً او ٢٢ دولاراً امريكياً
- في الأمـريكيتين وأوروبـا واستـراليـا : ٢٥ دولاراً امـريكيـاً .

- Asia & Africa, for individuals U.S.$ 11, for Govt. & Private organizations U.S.$. 22.
- America, Europe & Australia for individuals U.S.$ 12, for Govt. & Private organizations U.S.$ 25.

■ ترسل الاشتراكات باسم مجلة الأمة ■

● مكتبـــــة الأمـــــة ٤٦
● تصريحـــات وأقـــوال ٤٨
● (حتى يتبين لهم أنه الحق) :
تأثيرات الســلوك .... **الدكتور عماد الدين خليل** ٤٩
● الرواية الإسلامية .... **فوزي صالح** ٥٠
● المجاهد الإسـلامي العلامـة
الشيخ محمد البشير الإبراهيمي .... **البخلاخي امحند** ٥٤
● سيناء ... وأصل الأبجديات .... **درويش مصطفى الفار** ٥٨
● ضعف اللســـان العربي
وأخطار قديمـــة تتجدد .... **الدكتور السيد رزق الطويل** ٦٢
● (**صفحــة من كتــاب**) :
الزواج بالأجنبيـــات .... **مصطفى صادق الرافعي** ٦٥
● قلب الإنســان في القرآن .... **عبد الغني أحمد ناجي** ٦٦
● (**من عجائب المخلوقـــات**) : الإنسان والصحراء ٦٨
● (العلم والحيـــاة) ٧٠
● الشخصية الإسلامية ومؤسسات التعليم في الغرب
في حـــوار مع يوسف إســـلام ٧٢
● حديقـــة الأمــــة ٧٨
● بطاقـــة من قـــارىء ٨٠
● بريـــد الأمـــة ٨١
● لوكنت من مـازن (**شعر**) .... **محمد خــلاد** ٨٥
● شـؤون المسلمين في العـــالم ٨٦
● مع الصحافــــة في العـــالم ٩٢
● **مسابقـة العدد الســادس والأربعـين** ،
وحل مسابقة العدد الرابع والأربعين وأسماء الفائزين ٩٤
● (**خــواطــر وأفكــار**) :
اللغة بين السمع والبصر .... **عيسى أمين صبري** ٩٦

الأدب التنصــــيري

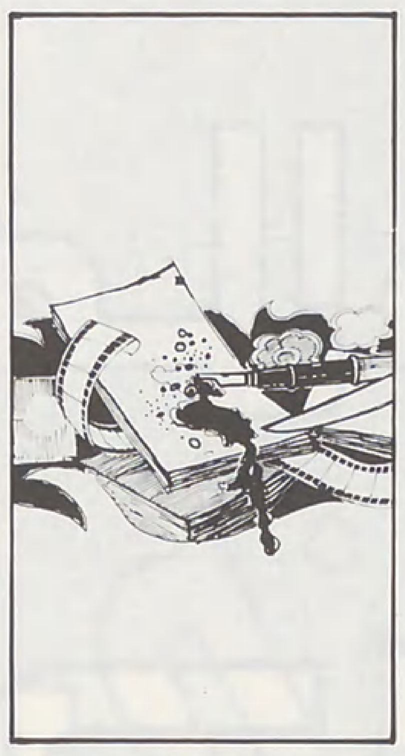

■ لم يكن الأدب التنصيري يسير وحده ، فقد نسَّق مع جهات أخرى كثيرة تشترك مع التنصير في المصلحة والهدف ، وركز على مناهج التربية والتعليم في البلدان التي وقعت مستسلمة تحت سيطرة الغزاة - سياسياً وعسكرياً وفكرياً - فلم يكن غريباً ، في ظل هذا المناخ ، أن تنشط الدعوة للتقليل من شأن اللغة العربية والإشادة باللغات الأجنبية الأخرى ، ونشر المصطلحات والمناهج الغربية ، وتشجيع تعليم اللغات الأجنبية ، وتقديم المنح الدراسية والهبات السخية ، وفتح الآفاق أمام المخدوعين من الكتَّاب والنقَّاد والفنانين ، كي تفيض بأقلامهم أنهار الصحف ، ويعلو صوتهم في شتى الأنحاء ، ويصبحوا البارزين في المجتمعات المسلمة لشدَّة ما ألقي عليهم من الأضواء .... (ص : ٨) ■

الشـــريف الإدريسي .. وكتابـــه « نزهـة المشـــتاق في اختراق الآفـاق »

■ يعتبر الإدريسي أول جغرافي يقوم بمشروع علمي كبير ، يشمل جميع أقطار المعمورة بما فيها شمالي أوروبا وبلاد الافرنج ، بعد أن كانت أعمال الجغرافيين العرب تهتم بالعالم الإسلامي وحده - وانتخب لهذا المشروع أناساً يثق فيهم ، وبعث بهم إلى أقاليم الشرق والغرب والشمال والجنوب ، ليصوروا ما يشاهدونه عياناً ، وأمرهم بالتقصي والتمحيص والاستيعاب .. وقام بتقسيم العالم - في كتابه - إلى أقاليم ، تبدأ من الغرب بدلاً من المشرق - كما كان يفعل معظم الجغرافيين العرب - وجعل الإقليم الأول يبدأ من خط الاستواء إلى خط عرض ٢٣° شمالاً (مدار السرطان) واشتمل كل إقليم من الستة الباقية على ست درجات .. ووضح كتابه بسبعين خريطة للعالم المعروف على وقته - تبين مواقع المدن والبحار والجبال والانهار .. ثم كان له السبق في صنع كرة من الفضة للارض تبين هذه المواقع وتبدو فيها خطوط العرض على شكل دائري وليست خطوطاً مستقيمة .... (ص : ٢٤) ■

تأصيل الوجود الإسلامي في أوروبا بعـد مرحلـة اكتشـاف الـذات

■ إن الأبعاد التي بلغتها القضية الإسلامية في أوروبا ، واليقظة التي أوجدها المبتعثون من الطلبة في صفوف الجالية ، قد أدَّت إلى لون من الإحساس بالذات ، بحيث يمكن أن نسمي هذه المرحلة ، مرحلة تحقيق الذات والحيلولة دون الذوبان : بعد أن كادت الجالية - بطبيعة ثقافتها وفقرها وظروف هجرتها - تذوب في المجتمع الغربي ، وإن كان الأمر لم يعدم بعض الضحايا .. ولكن لا بد من الانتقال إلى المرحلة التالية .. مرحلة تعريف أوروبا بالإسلام ، وتفكيك عقدة الحروب الصليبية التي لا تزال تعيش من ورائها إلى اليوم ، وإقامة منارات إسلامية صحيحة .... (ص : ٣٦) ■

الإخراج الفني **مجدي نجيب**

وكلاء التوزيع

البلـد	اسم الوكيـل	وعنوانـه
قطـر	□ دار الثقافـة	ص . ب ٣٢٣ الدوحة
الإمارات	□ مكتبـة دار الأمـان	ص . ب ٦٦٩٥ أبوظبي
»	□ المكتبـة الحديثـة	ص . ب ١٥٥٤ العين
»	□ مكتبـة دبي للتـوزيع	ص . ب ١٥٢٦ دبي
البحرين	□ جمعيـة الإصـلاح الاجتماعي	ص . ب ٢٢٢٨٢ المحرق
السعودية	□ مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان	ص . ب ١٤٠٥ الرياض
»	□ مؤسسـة الجريسي للتوزيع	ص . ب ٨٠٧٠ جـدة
»	□ » »	الظهران
عمـان	□ المؤسسة العربية للتوزيع والنشر	ص . ب ١٠١١ مطـرح سـلطنة عمـان
الكويت	□ دار القلم : للطباعة والنشر والتوزيع	ص . ب ٢٠١٤٦ الكويت
الأردن	□ وكـالـة التـوزيع الأردنية	ص . ب ٣٧٥٠ عمـان
»	□ مكتبـة دار الأرقم	ص . ب ٩٢٦٢٨٧ عمان
تـونس	□ الشركة التـونسيـة للتوزيع	ص . ب ٤٤٠ تـونس
		5 ش قرطاج - تونس
الجزائر	□ المؤسسة الوطنية لتوزيع الصحافة	38sis شارع ديدوشي مـراد - الجزائر
السودان	□ دار التـوزيـع	ص . ب ٣٥٨ الخرطوم
لبنـان	□ مؤسسـة الجزيرة للخدمـات والتـوزيع بيروت - لبنـان	ص . ب ٧٣٨٥ بيروت
مصـر	□ شـركـة تـوزيـع الأخبـار	ص . ب ٧ القـاهـرة
المغرب	□ سـبريس	ص . ب ٨٠ - ٧٠ زنقة سجلماسة الدار البيضاء
اليمـن	□ مؤسسة سبأ العامة للصحافة والأنباء	ص . ب ٢١٩٥ صنعاء

Distributing Agents

ماليزيا	MUSLIM YOUTH MOVEMENT OF MALAYSIA, KUALALUMPUR 2207, MALAYSIA	
باكستان	PARADISE BOOK STALL	SHAHRAH E-IRAQ KARACHI 3 PAKISTAN
انجلترا	THE MUSLIM INFORMATION SERVICE, 233 SEVEN SISTERS ROAD, LONDON N4 ENGLAND	
	GULF MEDIA CENTRE	43/441 GLARGES STREET LONDON WIY 7PJ U.K.
فرنسا	GROUPMENT ISLAMIQUE EN FRANCE	121, BOULEVARD DE MENLLMONTANT 1, CITE DE L'AVENIR 75011 PARIS FRANCE
المانيا	ISLAMISCHE GEMEINSCHAFT IN DEUTSCHLAND E.V.	MANZER LANDSTR. 176 6000 FRANKFORT A. M. W. GERMANY
	ISLAMISCHES ZENTRUM	BILAL MOSCHEE 51 AACHEN W. GERMANY
هولندا	NVR AL SONNAH IMPORT EN EXPORT	TOLISTRAAT 42 1073 SC AMESTERDAM - HOLLAND

كلمة الأمة

ملاحظات (١) حول قضية

﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾

□□ من الحقائق التي لا يعوزها الدليل : أن الإسلام يكسب كل يوم معتنقين جدداً ؛ وهذا الأمر لا يختص ببيئة معينة يحكمها ظرف خاص ، أو بشريحة بشرية لها تركيبها وتاريخها وعاداتها وتقاليدها وعقائدها ، أو بنمط حضاري معين له أزماته ومآسيه ومعاناته ... وإنما هي حقيقة لازمت وجود الإنسان ، نجدها تبدأ في أرقى المجتمعات كفاية مادية ومدنية حديثة ، ولا تنتهي في أكثرها تخلفاً وفقراً ومعاناة ... ففي البلاد الاسكندنافية ، وهي من أرقى بلاد الدنيا من الناحية المادية ، يجد أفراد كثيرون سعادتهم وتحقيق إنسانيتهم في الإسلام فيهرعون إليه ... وفي أوروبا وأمريكا ـ على الرغم من المناخ الذي أفرزته الحروب الصليبية ، والجهود المستميتة لتشويه صورة الإسلام من خلال عرض بعض النماذج الشاذة من مترفي العالم الإسلامي الذين يقصدون تلك البلاد بعيداً عن رقابة مجتمعاتهم وذويهم ليسقطوا في مستنقعات الإباحية ـ تستقبل المراكز الإسلامية يومياً كثيرين من الذين يعلنون إسلامهم من مستويات وأعمار شتى ...

أما في شبه القارة الهندية ـ وعلى الرغم من صور الكراهية التي صنعها الاستعمار البريطاني ومراكز التنصير التي زرعها ، وحيث انتصر للبوذية والأصنام ضد الإسلام ، والتعصب المتصلب الذي يتربى عليه أهل البلاد من الهنادكة ضد المسلمين الذي ينتقل بالوراثة ، وحيث الفقر المدقع ـ نجد جماعات بكاملها تغادر عقائدها إلى الإسلام لتجد فيه نفسها وكرامتها المفقودة ، على الرغم من أن العالم الإسلامي في وضع لا يحسد عليه ، إلى درجة أصابت المسؤولين الهنادكة بذعر وتخوف ، ولعل الكثير مما يسمى : الفتن الطائفية ، وصور الرعب والاعتداء التي توزع هنا وهناك في آسام وبومباي مؤشر واضح على ذلك ، ورد فعل مباشر لهذا الذعر . إنها صور الخوف التي ينشرونها في المجتمع والإغراءات الكثيرة التي بدأت تقدم للمنبوذين حتى لا يقبل الناس هناك على الإسلام ... كما نجد أن الإسلام يشق طريقه بقوته الذاتية حتى في أقاصي المجتمعات الافريقية ، ويجد معتنقيه في تلك الأدغال بينما تعجز الأديان والعقائد الأخرى عن الاحتفاظ بأتباعها ... وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على خلود الإسلام ، وفطرية الإسلام ، وإنسانية الإسلام ؛ وإن كان أعداء الإسلام يستميتون في مواجهته على مختلف الأصعدة السياسية والعسكرية والثقافية والاقتصادية ليحولوا دون ذلك .

ونحن لا نعرض لهذه الحقيقة لنقول : إن قضية الإسلام في العالم بخير ونساهم بنوم وغطيط المسلمين ونكوصهم عما أناط الله بهم من مسؤولية ، وإنما لنؤكد حجم المسؤولية وعظم الأمانة التي ما يزال الكثير منا لا يستشعرها ، أو يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير فيعيش السقوط والهبوط المستمرين ...

من هنا نستطيع القـول : إن القضية الإسلامية أصبحت تتحرك بأبعاد عالمية ، فهي أكبر من أن تكون محصورة في جماعة أو جنس أو قوم أو لون ، ومن الخطأ العقيدي والتاريخي والحضاري ربط الإسلام بجنس أو قوم أو جماعة أو تنظيم معين ، فالإسلام أصبح موجوداً ومطروحاً في كل مكان وعلى كل إنسان ... على الرغم من الجهود التي يبذلها أعداؤه للحيلولة دون انتشاره وانتصاره في محاولة ربطه تاريخياً بالعرب ، وربطه الآن ببعض الصور والتصرفات الشاذة لبعض العاملين في الساحة الإسلامية لشل حركة العمل الإسلامي والدعوة إلى الله ، وإقامة الحواجز النفسية للحيلولة دون الإقبال عليه واستجلاء صورته الصحيحة ... فهل يدرك العاملون للإسلام ذلك فيحسنون الأخذ بيد القادمين على الإسلام وهدايتهم إلى طريق الرشاد ؟!

الإسلام في أوروبا

هل يكون العاملون للإسلام في سوية إسلامهم ، خُلُقاً وسلوكاً إلى الدرجة التي تثير الاقتداء خاصة في المجتمعات التي تشهد سقوط حضارتها ؟ وهل هم في سوية عصرهم إدراكاً وصواباً للتدليل على أن الإسلام هو قدر إنسان العصر وملاذه الأخير ؟

ولسوف نعرض هنا لبعض الملاحظات والملامح حول القضية الإسلامية في أوروبا بشكل عام ، ونحن لا نريد بهذه الملاحظات التهوين من شأن العمل الإسلامي القائم هناك والتقليل من قيمته والنيل منه ، كما قد يتوهم بعض أصحاب العقول الضيقة التي تعجز عن الرؤية الشاملة وتعيش البعد الواحد ، وإنما هي ملاحظات تقع في إطار المناصحة وتسديد العمل وتصويب وجهته استجابة لتكليف الرسول ﷺ بقوله : « الدين النصيحة . قلنا : لمن يا رسول الله ، قـال : لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » وحسبنا هنا النصح ابتغاء ثواب الله واستجابة لتكليف الرسول ﷺ وتسديداً لأئمة المسلمين وعامتهم ..

ونسارع إلى القول : إن أوروبا في استعمارها الحديث للعالم الإسلامي ومن قبله الحروب الصليبية استماتت تاريخياً لكسر شوكة الإسلام في منبته ، وحاولت إقامة الحواجز والسدود في وجهه حتى لا يصل إليها بدافع الأحقاد الصليبية التاريخية ، لكنها عجزت فكرياً وإن انتصرت عسكرياً ، وقد يكون المطلوب استكمالاً للشكل أن نعرض لشيء من تاريخ اتصال أوروبا بالعالم الإسلامي والمعابر الثقافية التي وصلت من خلالها الصورة الإسلامية إليها ، والحركة الاستشراقية في دراستها لتراث المسلمين وتاريخهم بحيث تشكل دليلاً فكرياً ثقافياً وطليعة متقدمة للاستعمار للدلالة على شعاب العالم الإسلامي ؛ والحروب الصليبية وما أفرزته من وراثات وترسبات حجبت العقل الأوروبي عن نور الإسلام ، وساهمت باستعصائه وتعصبه ضد الإسلام والمسلمين حيث لم يبق لأوروبا من النصرانية إلا صور التعصب والحقد ضد الإسلام ، ولم يبق في ذهن المسلمين عن أوروبا إلا ما أورثه هذا الحقد من الاستعمار وصور التمزق والتجزئة التي مورست على عالم المسلمين ، لأن الذي يستقصي القضية الإسلامية في أوروبا وتاريخها لا بد له من المعرفة الكاملة والدقيقة لهذه الخلفية الفكرية التي أورثت الصراعات المتطاولة عبر التاريخ ...

ونعترف بأن المجال هنا لا يتسع لعرض الخلفية الفكرية هذه والوقائع التاريخية الصليبية والحقبة الاستعمارية ، على أهمية ذلك ، لأنه بالإمكان استدراك ذلك من كتب وكتابات كثيرة ، لكن الأمر الذي لا بد من التوقف عنده ، وقد يكون في مقدمة القضايا أثناء الكلام عن موقع الإسلام في أوروبا : أزمة اللغة العربية بالنسبة للجيل الثاني من أبناء الجاليات المسلمة والقادمين الجدد إلى الإسلام .

قضيـــة اللغة العربيـــة : قد تكون اللغة العربية كوسيلة لفهم الإسلام وإدراك معانيه ، والاستجابة لخطابه ، وكأداة للنقل الثقافي بين الأجيال ، وقناة للتواصل الحضاري واستمرارية روح الأمة وقيمها بين أجيالها ، مهددة بالفناء والانقراض في إطار الجيل الثاني والثالث من أبناء الجالية المسلمة في أوروبا لافتقاد لغة الأم ، وعجز الأسرة المسلمة - إن صح التعبير - عن إدراك هذا الخطر ، وتقديم أي شيء في هذا السبيل ، ذلك أن هذه الجاليات انحدرت ، غالباً ، من طبقات فقيرة الموارد ، فقيرة الثقافة الإسلامية وفقيرة في الوعي أيضاً ، وكان همها الأول : تحقيق الكسب المادي فقط .. إلى جانب ما يحكمها من النظرة الساذجة التي تسيطر عليها من أن العربية لغة المجتمعات الفقيرة المستعمرة من جانب أوروبا ، أو التي تعوزها الحرية الموجودة في أوروبا والمفقودة في بلادها ، وأن اللغات الأوروبية هي لغة العلم والعمل والحضارة ، ومن الكسب الكبير : القدرة على التكلم بلغة السيد المستعمر المستغل حتى ليمكن القول : بأنه مرت على الجاليات المسلمة في أوروبا فترة قبل حركة اليقظة والوعي التي أورثها الابتعاث ، كانت تحكمها فيها عقدة الخجل من أصلها الإسلامي ولغتها العربية ، وتحاول الهروب من انتمائها خاصة وأن هذه الجاليات أو معظمها لم يستطع أن يتجاوز قاع المجتمعات الأوروبية حيث لم تزل محكومة بظروفها وأعمالها التي استقدمت من أجلها ، فهي الطبقة التي تشكل اليد العاملة في المهن الوضيعة نوعاً ما ، ولا يتاح من خلال الفقر وعدم الوعي لأبنائها فرصة متابعة التعليم حيث يتوجه الأولاد عمالاً بسطاء إلى المعامل والمناجم التي يعمل فيها الآباء ...

ولا بد أن نعترف بمسؤوليتنا تجاه هذه القضية الخطيرة - قضية العربية - ذلك أن سلفنا الصالح أدركوا أهمية هذه القضية ، وعلموا أن العربية من الدين ، وأن تعلمها فريضة ، وأن كلام المسلم بغيرها لغير حاجة يورث النفاق (ابن تيمية) فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، فقدموا الدراسات وأقاموا الدفاعات والحصون (المعاجم والدراسات في علوم اللغة) التي كانت ثمرة لإيمانهم بالإسلام ، والتي ما تزال أجيالنا دون سوية استيعابها الكامل إلى اليوم حتى كان عطاء المسلمين من غير العرب يوازي عطاء العرب المسلمين ؛ أما نحن فيقتصر موقفنا

كلمة الأمة

ملاحظات ١ حول قضية

تجاه قضية اللغة منذ أكثر من نصف قرن على الانتصار العاطفي لها والهجوم على أعدائها ، مجرد الهجوم بكل ما يقتضيه من خطب وضجيج ... أما ماذا قدمنا لقضية اللغة فيما وراء ذلك ؟! فهذه قضية تتطلب صبراً وأناة ودأباً ودراسة وجهوداً لا تظهر بسرعة ظهور الخطبة والخطباء ، ولو عدنا إلى ما خطب وكتب حول « المنجد في اللغة » الذي وضعه النصراني لويس معلوف ، وأغاليطه وتحامله لكان ربع هذا الجهد كافياً لتقديم البديل الذي يحول دون اعتماد الكثير من الدارسين والباحثين عليه ، لكن إلى الآن لم يتحقق هذا الأمل ، ولم يظهر أي جهد يمكن أن يحقق البديل السهل من كل وجه !!

ونحن قوم أصابتنا لوثة حب الرئاسة والزعامة ، نحاول أن نبني زعامات من أقصر طريق حتى بات كثير من المسلمين في أوروبا وأمريكا ، وكثير من المسؤولين عن الدعوة والعمل الإسلامي تقتصر ثقافتهم الإسلامية ومعرفتهم بالإسلام على بعض المترجمات وتقتصر معرفتهم بالقرآن على حفظ الفاتحة وبعض قصار السور لأداء الصلاة ... وبذلك تزداد صور التشرذم في عالم المسلمين وتتمزق رقعة تفكيرهم ، وتنشأ فهوم عن الإسلام متباينة هنا وهناك ، فيصبح انتماؤنا للإسلام الذي يجب أن يكون جامعاً سبباً في تمزقنا وتعدد فهومنا تبعاً لاختلاف الوسيلة والأداة التي نستعملها !! فليست العربية لغة التعبير والتفاهم فحسب ، وإنما هي بدلالاتها لغة التفكير وحسن الفهم لخطاب التكليف في الكتاب والسنة ... ومعهود العرب في الخطاب هو الذي يحدد دلالات الألفاظ في القرآن والسنة .

وليس غير اللغة طريقاً لوحدة الأمة وصياغة عواطفها وانتظام فكرها وتكوين قاعدتها الثقافية الصلبة وضمان استمرارية روحها وحياتها ... لقد بلغت خدمة تعلم اللغات اليوم وتحديث وسائلها السمعية والبصرية بعد تقدم وسائل الإعلام المسموعة والمرئية شأواً مخيفاً فعلاً ، فالذي يستمع إلى برامج تعليم الانكليزية بـ « الراديو » وتنوعها ، وما يبذل فيها من حسن الأداء وتعدد الأساليب والبرامج ، والكتب التي تجمع بين الكلمة الواضحة والصورة الناطقة التي استخدمت لها أبرع الرسوم والألوان وفنون الطباعة ، وأشرطة الكاسيت التي توزع للسماع معها ، وتقسيمها على مراحل التعليم المختلفة حيث يشرف عليها اختصاصيون في اللغة وعلم النفس وعلم الاجتماع إلى درجة تخير الصوت الذي يطلب إليه الأداء واختبار مدى جرسه وتأثيره على المستمع ، والمعاهد اللغوية والمراكز الثقافية المنتشرة في العالم والتي تقيم الدورات المتتابعة مهما كان العدد ضئيلاً ، يتساءل : أين هذا من واقع العربية عند المسلمين ، أو من واقعها عند العاملين للإسلام اليوم ؟!

لقد رأيت في أكثر من موقع إسلامي مخابر لتعليم اللغة هي أقرب للعرض والدعاية منها للعمل والفاعلية ، ثم أية لغة تعلم بهذه المخابر ؟ وأين هي الكتب المدروسة التي وضعها لغويون يدركون ثقافة العصر ووسائله ، وأشرف عليها علماء نفس واجتماع ليرصدوا مدى تأثيرها وفائدتها ؟ وأين المعلم المعد الإعداد المناسب ؟ وليس وضع تعليم اللغة العربية في مدارس نهاية الأسبوع أو في المساجد والمراكز الإسلامية بأحسن حالاً ، فكل يخبط بما تيسر له وبمقدار ما يعلم ... ففي بعض المراكز الإسلامية والمدارس نجد كتب اللغة المؤلفة في مصر لأبناء مصر إذا كان المعلم مصري الجنسية ، وفي فصل آخر من المركز نفسه قد تجد كتب اللغة المؤلفة في المغرب لأبناء المغرب ، وهكذا بالنسبة لبقية بلاد العالم الإسلامي التي لأبنائها ظروفهم وسويتهم وحاجاتهم ومشكلاتهم كأناس يعيشون في بيئة عربية إسلامية .

إلى الآن وقد مضى على عمر العمل الإسلامي حوالي ربع قرن لم توضع كتب مدروسة ومصورة لتعليم العربية لغير العرب أو لأبناء الجالية الذين استعجم لسانهم ولسوف يستعجم قلبهم إذا لم ندركهم ، يذهبون إلى المدارس ليجدوا كتب اللغات الأخرى مغرية بالنظر والمتابعة ، فيأتون لكتب العربية فيجدون البؤس والعقم والعجز .

إن الطريق الصحيحة للعمل للإسلام قد تكون شاقة وطويلة ، وقد لا تطيقها بعض النفوس الهزيلة والأبصار الكليلة ، فتحاول القفز من فوقها !! وفي اعتقادنا أن تربية متخصصين في قضية تعليم العربية والتربية الإسلامية لأبناء الجالية المسلمة في العالم ولغير الناطقين بها هي القضية الأساسية التي سوف لا تتأثر بالهزات والصراعات السياسية والمذهبية ، وسوف تتم بصمت وهدوء بعيداً عن العواصف الهوجاء السياسية والصراعات الحزبية التي تأكل الجهد والعمر والأجر ... لكننا قد تعودنا الضجيج واستعجال الثمار وبناء الزعامات من أقصر الطرق ، ولعل أقصرها الهجوم على الآخرين واتهامهم حيث يكون النشاط والأداء في الخلاف على أعلى الدرجات ...

وليست قضية التعليم في مدارس الدولة المعترفة بالدين الإسلامي ، أو في مدارس نهاية الأسبوع بأحسن حالاً من قضية تعليم اللغة العربية ، ذلك أن التعليم هو الوسيلة الحقيقية للتغيير ، والرسول ﷺ يقول : « إنما بعثت معلماً » وقضية التعليم لا تستقيم ولا تبلغ مداها المطلوب دون طريقة علمية صحيحة مستنيرة ، ولا بد لها أن تكون مستمرة وطويلة الأمد ، ولا بد فيها لإنضاج الحقيقة والوصول إليها من زمن كاف لأن تغيير الأمم هو أصعب أنواع التغيير ، فهو يقتضي زمناً ، ويقتضي حكمة وتخصصاً وسلوكاً سليماً ، ويقتضي دراسة للمجتمع ومشكلاته وعقائده وتاريخه وعاداته ليتم التعرف على حاجاته ومن ثم كيفية تحديد الموقع الفاعل منه وحسن التعامل معه ..

الإسلام في أوروبا

هناك مشكلات تعترض العملية التعليمية والتربوية لأبناء المسلمين في المجتمع الأوروبي ، بعضها يرجع للطالب وأسرته ، وبعضها الآخر للمحيط المناقض الذي يعيش فيه ، ولعل الأمر الأخطر من هذا وذاك : عدم وجود المدرس المؤهل والمنهاج الملائم والكتاب المناسب ... فبالنسبة للطلبة ، أبناء الجالية ، هم غالباً منحدرون من بيئات فقيرة ذات اليد ، فقيرة الثقافة ، لا تقيم للعملية التعليمية أي وزن أو اعتبار ، وقد يكون حصول الابن على أجر يومي زهيد - بنظر أسرته - يعدل كل ما يكون من مكاسب غير منظورة على المدى القريب من العملية التعليمية ، ولعل الخطورة كل الخطورة تكمن في عدم تطور أوضاع أبناء الجالية التعليمية ، ولا نكون مبالغين إذا قلنا : إن الجامعات الأوروبية عامة ، وعلى مستوى كل الاختصاصات ، تكاد تكون شبه خالية من أي طالب من أبناء الجالية ، بينما يرتاد أبناء الجاليات الأخرى أرقى المنابر التخصصية العلمية ، خاصة اليهود ، فكيف يمكن للمسلمين من أبناء الجالية في أوروبا وأمريكا التأثير في هذه المجتمعات وهم على هذه الحالة من التخلف والعجز ؟!

وليست القضية مادية فحسب ، وإنما هي ثمرة للتخلف وعدم الوعي ، وعلى افتراض أنها مادية ، أليس الأجدى بنا والأجدر لنا أن نخصص أموالاً من أموال الزكاة أو أية مصادر مشروعة أخرى للعملية التعليمية ، وندفع ببعض الطلبة النابهين من أبناء الجالية على متابعة الاختصاص واعتلاء المنابر العلمية المؤثرة من أن نقيم المباني ونجمع الحجارة التي مهما بلغت سوف لا تطاول ما وصلت إليه أوروبا وأمريكا ...

والأمر الآخر الذي يعترض العملية التعليمية لأبناء الجالية المسلمة في أوروبا وأمريكا بشكل عام : المحيط المناقض بثقافته وحضارته ووراثاته التاريخية وعدائه للإسلام ، من هنا نقول : إن العملية التعليمية في مثل هذه الظروف لا يمكن أن تكون بسيطة أو أن تتم بشكل عفوي ، هكذا كل يهرف بما يعرف وما لا يعرف ، وإنما هي أكثر تعقيداً مما نتصور بكثير ، فهي تقتضي تأمين الحصانة للطالب ، وذلك بإشعاره بذاته وبقيمه الحضارية وعطائه التاريخي ، ومن جانب آخر : إشعاره بالرسالة المنوطة به ، وحسن اختيار نوعية الدراسة التي تحقق هذه الأهداف إلى جانب الاختبار لسلامة الوسائل ومدى ما حققت من الأهداف من وقت لآخر ؛ لا بد من اختبار نوعية ما يلقى إليه بما يتناسب مع الظروف التي يعيشها ، ويقدم حلاً للمشكلات التي يعاني منها ، لا بد أن تختار آيات من القرآن لتكون ذات دلالة خاصة ومعالجة خاصة تراعى فيها ظروفه وعمره العقلي ، وكذلك الأحاديث النبوية ووقائع السيرة ، وقد لا نستفيد شيئاً من حشو ذهنه بالمعلومات دون أن تكون عنده القدرة على هضمها ...

إن مدارس نهاية الأسبوع قد تكون عبئاً مرهقاً للطالب المسلم في بلاد الاغتراب ، فإذا لم تدرس بعناية ويشرف عليها متخصصون قد تساهم بتخلف الطالب العلمي وتفوق نظرائه عليه ، وقد يقع في القراءة الخاطئة فيظن أن إسلامه هو السبب في تخلفه ، فتحدث ردات الفعل غير السليمة ، ونساهم سلبياً في عجز الطالب من حيث نظن أننا نحسن إليه .

إن الطالب المسلم في ديار الغربة يحصل على العلم المطلوب من مدرسته الرسمية ، وتبقى مهمة المسجد أو المركز الإسلامي ، أو دروس نهاية الأسبوع ليست للمعلومات بقدر ما هي لتحقيق الحصانة الثقافية الإسلامية ... وليس من الضروري أن تتحصل هذه الثقافة بالشكل الرتيب للدراسة التي قد تكون عبئاً على الطالب بعد أسبوع مليء بالواجب المدرسي ، وإنما يمكن أن تتحقق من خلال مناظرات ورحلات وتدخل بتنظيم القراءات الحرة وإقامة النوادي الرياضية والثقافية والتدريب على القيام بالخدمات الاجتماعية الإسلامية ، فنحن في المراحل الأولى لا نريد من الطلاب أن يكونوا متخصصين بالإسلام وفقهاء فيه ، وإنما نريد لهم الحصانة الثقافية والشعور بالذات والقيمة الحضارية ، فهل نحقق ذلك ؟

إن اليهود الذين عاشوا في مجتمعات لا تسمح لهم بافتتاح مدارسهم الخاصة استطاعوا أن يتكيفوا مع الظروف دون أن يذوبوا فيها ، لقد نهل طلابهم من المدارس الرسمية إلى مرحلة التفوق ، وحصلوا على الثقافة التلمودية اليهودية من أحيائهم وأسرهم ، ومتنوا علاقاتهم حتى وصلوا إلى أعلى المنابر العلمية المؤثرة في المجتمع ... لكنهم وظفوا اختصاصهم لخدمة ثقافتهم وعقيدتهم ، فهل نتعلم من أعدائنا ؟!

وقد يكون من المفيد تأمين مناخ إسلامي جماعي ما أمكن للطلاب ، وذلك بتجميعهم في مدارس رسمية ولو كلف ذلك صعوبة في المواصلات والنقل ، وتأمين تجمعات مثمرة في الظروف الممكنة كلها ، واستمرار الحوار وتبادل وجهات النظر والأخذ بأيديهم حتى لا يسقطوا في مناخ هذه المجتمعات ...

وقد يتطلب الأمر أيضاً القيام بزيارات للأسر في البيوت ، وعقد لقاءات عامة معها لبعث الوعي الإسلامي وتأمين المحاضن المناسبة للطلبة ... وبيان أهمية أن يتابع الطلبة دراساتهم في الجامعات والمعاهد العليا ، ذلك أن الأمر المحزن حقاً كما قدمنا ... إن أبناء الجالية يراوحون في حدود تعليمية لا يبارحونها ، وهذا الواقع سوف ينعكس بشكل أو بآخر على الصورة الإسلامية في أوروبا ولنا عودة في العدد القادم إن شاء الله ... □□

■■ في أعقاب النهضة الصناعية والعلمية الكبرى في أوروبا وأمريكا، برز الإعلام كعامل قوي في التأثير على الرأي العام، وأصبح علماً له قواعده وأصوله، واستفاد الإعلام الحديث من كل المنجزات العلمية والفنية المعاصرة، وهكذا تم تسخير علم النفس والاجتماع والسياسة والاقتصاد، والمناهج الفلسفية والعلمية بصفة عامة، وكذلك المخترعات الحديثة من صوت وصورة، ودراما وكوميديا، وإعلانات جذابة، وإغراء متنوع، وحوافز لا حدود لها، كما تم التنسيق بين الإعلام ـ منذ البداية ـ وبين أجهزة الأمن والمخابرات، وتمت السيطرة إلى حد كبير على الصحف والكتب والمجلات ومختلف النشرات، وأصبح الفن بحق هو الشكل البراق، أو الوعاء المناسب، لاحتواء ما يريده الإعلام من فكر ومؤثرات ... تم تسخير هذا وذاك لخدمة الإعلام.

ثم كانت الهجمة الاستعمارية الكبرى على أمم الشرق خاصة، بما فيها الأمة الإسلامية، ولم يعد خافياً على أحد مدى الارتباط والتوافق والتعاون بين الصليبية المتعصبة، والصهيونية الحاقدة، وبين رجال الحرب والسياسة ... من هنا جاء «الأدب التنصيري» .. ■■

الأدب التنصيري

بقلم: الدكتور نجيب الكيلاني

ونقصد بالأدب التنصيري ألوان الأدب الفنية المختلفة من قصة ومسرحية وقصيدة ومقالة ونصوص سينمائية وخاطرة، والتي تحمل في طياتها الدعوة إلى اعتناق النصرانية والتنفير من الإسلام وغيره من الديانات الأخرى.

ولم يكن الأدب التنصيري يسير وحده، فقد نسق ـ كما قلنا ـ مع جهات أخرى كثيرة تشترك مع التنصير في المصلحة والهدف، وركز على مناهج التربية والتعليم في البلدان التي وقعت مستسلمة تحت سيطرة الغزاة سياسياً وعسكرياً وفكرياً، فلم يكن غريباً آنذاك أن تنشط الدعوة للتقليل من شأن اللغة العربية، والإشادة باللغات الأجنبية الأخرى، ونشر المصطلحات والمناهج الغربية، وتشجيع تعليم اللغات، وتقديم المنح الدراسية، والهبات السخية، والمساعدة ـ لبعض أبنائنا ـ في الوصول إلى المناصب العالية، وفتح الآفاق أمام المخدوعين من الكتاب والنقاد والفنانين، كي تفيض بأقلامهم أنهار الصحف، ويعلو صوتهم في شتى الأنحاء، ويصبحوا نجوماً لامعة في المجتمعات ..

ولم يقع الأدب التنصيري في السذاجة والسطحية، فقد استخدم الإمكانات الفنية المتاحة له، والمجربة في بلاده، بدهاء وحنكة بالغين، فمزجت فنونه السم بالدسم كما يقال ولجأت إلى التلميح بدلاً من التصريح، واستخدمت الرمز وألوان الإثارة والتشويق، ونأت بجانبها عن السرد الأجوف، والتعبير المباشر الممل، ووظفت الإيحاءات توظيفاً ماكراً، **ورسمت حركة الحياة والأفراد وأنماط السلوك، رسماً يتفق ومعتقداتها**، ويبعد بها عن النماذج الإسلامية العريقة، وأغرقت في إبراز المنعطفات الإنسانية، ورقة المشاعر والأحاسيس، وتبنت تبرير ضعف الإنسان، والعطف على آلامه وأحزانه، وأكدت تأكيداً شديداً ونهائياً على ضرورة الالتزام بالرضوخ والاستسلام واتباع الأساليب السلمية وحدها، مع البشركافة، خاصة مع القوى الغاصبة المستعمرة، وما زلت أذكر رواية «**إبك يا بلدي الحبيب**» التي كتبها أحد القساوسة الأفريقيين، ونال عليها جائزة كبرى من الجوائز العالمية، وترجمت إلى العربية منذ سنوات طويلة، ولم تخرج الرواية في مجملها عما أبديناه من مواصفات للأدب التنصيري في السطور السابقة، وهي بلا شك رواية مؤثرة إلى أبعد حد.

القصة مجال خصب

والواقع أن القصة كانت المجال الخصب للدعوات التنصيرية في كل مكان، حتى في روايات «**دراكولا**» ـ مصاص الدماء ـ نجد في أحدها الضحية في آخر الفيلم، وهو يدفن في حفرته، نراه بعد أن أهيل عليه التراب، يرفع يده بالصليب ..

وهذه الروايات التنصيرية في عمومها تتخذ منهجاً خاصاً، يمكن أن نوجزه في الآتي:

● **أولاً**:

مكان الحادثة، يبدو لأول وهلة مكاناً متميزاً غريباً، يشد الانتباه، ويقبل عليه الصغار والكبار، والنساء والرجال على حد سواء، وقد يكون هذا المكان في غابات

■ يعمد التنصير لتحقيق أهدافه إلى تطبيق نظرية الإعلام الحديث ، الذي يحرص أشد الحرص على توظيف مختلف المؤثرات الفنية في وسائله المتعددة .

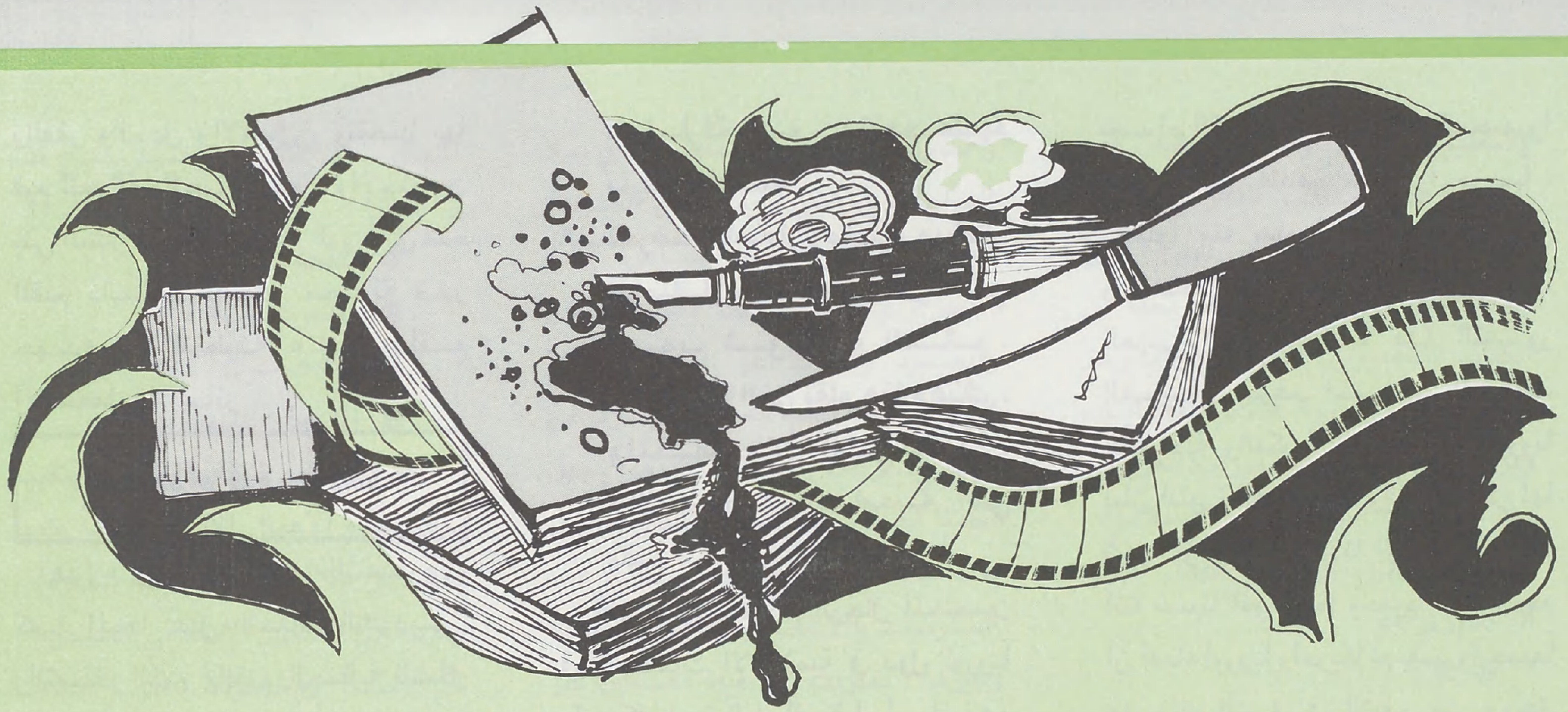

أفريقيا حيث الوحوش المختلفة ، والطيور ذات الألوان الغريبة ، والقبائل ذات التقاليد والأعراف التي تلزمك بالإصغاء والانتباه ، والأحداث المنتقاة المميزة ، والحركة الموارة الدائبة .

● **ثانياً** :

تصور القساوسة والرهبان ورجال الدين بصورة ملائكية فريدة ، فهم يخوضون الأخطار دون خوف ، ويقتحمون المشكلات في حلم وروية ، ويتسمون بجمال الملامح ، ورقة المشاعر ، وجلال المظهر ، وتألق الثياب ، وانتقاء الكلمات الحلوة المؤثرة ، والتعاطف البالغ ، دون أن يأنف أحدهم من القيام بعمل من الأعمال مهما كانت طبيعته .

● **ثالثاً** :

كما يتصف « رجل الله » بالصبر والحلم وتقديم التضحيات - دون مقابل كما يقال - ولا تُيَئِّسه الهزائم ، أو تنال من عزمه النكبات .

● **رابعاً** :

يحرص أبطال القصة الدينيون على تلمس مشكلات المجتمع ، والاحتياجات الملحة للناس ، ويقومون بسد النقص ، وتقديم الخدمات ، فنرى في العمل الأدبي ، كيف ينشئون المدارس الصغيرة ، ويقيمون المستوصفات المبسطة للرعاية الصحية ، ويعقدون الاجتماعات الدينية للدروس والعبادة ، ويلتقطون الأطفال أو من يثبت إخلاصه من المواطنين ليفسحوا لهم طريق النجاح والأمل والحياة السعيدة ، ويساهمون في التخلص من الآفات والحشرات ، ويشرحون لهم الوسائل الحديثة في الزراعة والتجارة والحرف اليدوية وما إلى ذلك .

● **خامساً** :

تقديم المنح والمساعدات الدراسية لمن يلتحق بركبهم ، وإبرازه في صورة الإنسان المتحضر الواعي ، والذي تغيرت حياته تغيراً جذرياً لسبب رئيس واحد ألا وهو اعتناقه للنصرانية .

● **سادساً** :

التنفير من الانحرافات بأسلوب فني ناجح ، وتجنب الصدام في البداية مع العادات والتقاليد العتيقة ، ومعالجتها بأسلوب رقيق ماهر .

● **سابعاً** :

تسليط الضوء على نماذج من الرجال والنساء يضحون بحياتهم ، ويبذلون دماءهم من أجل سعادة الإنسان ورقيه ، وجعل تلك النماذج مثلاً يحتذى في التضحية والفداء ، ودفع المتلقي للتشبه بهم ، والسير على منوالهم ، بل تسمية أبنائهم بأسمائهم .

● **ثامناً** :

يعمد الكتاب التنصيريون أساساً إلى البساطة في الأسلوب ، مهما كان المعنى عميقاً ، وتجنب التعقيد والغموض ، ولا يلجأون إلى غرس بذور البلبلة إلا في المجتمعات التي يجدون صعوبة في النفاذ إليها ، كمرحلة أولى .

● **تاسعاً** :

النيل بطريق غير مباشر ، من مختلف العقائد والديانات المنافسة ، وإظهارها بمظهر الانحراف والجمود والدجل ، وتقديم نماذج قصصية أو مسرحية تبلور هذا التصور بطريقة حية مؤثرة .

● **عاشراً** :

التغني بالقيم العليا التي يحلم بها المستعبدون ، والذين أنهكهم الخوف

الأدب التنصيري

والفقر والجهل والإهمال ، ونقصد بها قيم العدالة والحب والخير ، والإخاء بين بني البشر ، وإشباع جوع الروح إلى هذه القيم بأساليب بارعة ، محاولة قدر جهدها ، التغطية على الواقع الاستعماري الجائر ..

استخدام فنون الأدب

هذا ، ويحرص الأدب التنصيري ، كما ألمحنا على الحفاظ الشديد ، والتمسك الكبير بالقيم الجمالية للشكل الفني ، لأنه بدون ذلك لا يمكن أن يتحقق الهدف ، وينجح المخطط الموضوع ، **وفي ذلك تطبيق لنظرية الإعلام الحديث الذي يحرص أشد الحرص على توظيف مختلف المؤثرات الفنية في وسائله العديدة .**

والواقع أن الحركة التنصيرية تضع الأدب وفنونه في المكان الصحيح فهي :

١ ـ تخطط لـه .

٢ ـ ترصد لـه الإمكانات المادية الكافية .

٣ ـ تهتم بترجمته إلى عديد من اللغات ، حتى يؤتي أكله في كثير من مناطق العالم .

٤ ـ توعز إلى النقاد بتناوله بالتقييم والتقديم .

٥ ـ تتكفل بحملات الإعلان عنه .

٦ ـ ترصد لـه الجوائز العالمية الكبيرة .

٧ ـ تجعل منه مصدراً لأعمال سينمائية وتليفزيونية ومسرحية .

٨ ـ تستنهض همم كبار الكتاب للمشاركة فيه ، وتنعم عليهم بأرفع الأوسمة .

٩ ـ تعرضه بأسعار رمزية ، وبشتى الوسائل ، فهناك السفن التي تجوب شواطىء العالم ، والمعارض التي تقام هنا وهناك ، والمحاضرات التي تلقى ، والأطروحات الجامعية التي تقدم .

لقد بحت أصوات الرجال المخلصين في الجمعيات الإسلامية في دول أوروبا وأمريكا واستراليا وأفريقيا وآسيا ، وهم يدعون بإلحاح إلى ترجمة بعض الآثار الأدبية الإسلامية المختارة ، إلى اللغات العالمية ، ولكن دون جدوى ، **لقد تمت بعض الدراسات الإسلامية ، لكن القراء في العالم ليسوا كلهم من هواة البحوث ، فهناك من يعشقون القصة أو المسرحية ، ومن يحبون قراءة الشعر** ، وتبقى القصة في المقام الأول ، خاصة بالنسبة للشباب والأطفال ، **لكن المؤسسات الإسلامية لا تزال متقاعسة عن أداء هذا الواجب الهام في عصرنا ،** ولدينا في الواقع قدر لا بأس به من الأعمال الأدبية الناجحة والمقنعة ، والجديرة بالرواج وبالتأثير أيضاً إذا ما ترجمت إلى أية لغة أخرى .. إننا نفتقر دائماً إلى التخطيط الواعي الشامل ، على الرغم من توفر الإمكانات ، وصدق النوايا .

وهناك نقطة جديرة بالدراسة والإمعان ، تتعلق بصورة « **رجل الدين** » في الآداب المعاصرة عامة ، وأدبنا العربي خاصة ، فكما قلنا ـ في مكان آخر ـ فإن المتمردين من كتاب أوروبا ، والمتأثرين بصدام الكنيسة والسياسة ، قد صوروا رجل الدين عندهم تصويراً مزرياً ، وجعلوا منه صورة للانحراف والنفاق والاستغلال ، ونحن بدورنا في الأدب العربي المعاصر نقلنا هذا التصور الغريب ، برغم اختلاف الظروف التاريخية والفكرية التي سادت أوروبا إبان الثورة الفرنسية ، والتي لم يكن لها شبيه أو مبرر في بلادنا الإسلامية ، كما أننا نسينا أمراً هاماً وحيوياً جداً ، وهو أن أدباء أوروبا وأمريكا لم يسيروا جميعاً على ذلك النسق في التنفير من « **رجل الدين النصراني** » ، فهناك أعمال أدبية هائلة الكم والكيف ، رفعت من شأن رجل الدين ، وجعلته مناط الأمل والرجاء في الدول المتخلفة والمتقدمة ، وهذا ما فصلناه فيما سبق ونحن نحدد الملامح العامة للأدب التنصيري ، ولذلك فإن « **التجني** » المستورد على الشخصية الدينية ، والذي وقع في حبائله عدد كبير من كتابنا أمر مردود ، ولا يصح أن يمضي هكذا دون تبيان أبعاده ودوافعه الخبيثة .

إلى أي شيء يهدف؟

والأدب التنصيري الغربي ليس في الحقيقة مجرد تبيان لمحاسن وأخلاق الرجال المنصِّرين ، وذلك بسبب انتمائهم العقيدي فحسب ، ولكن هناك ما هو أخطر من هذا التصور الظاهر الجلي ، هناك ألوان الفكر المتعلق بالسلوك والعلاقات الإنسانية ، والنظر إلى أحداث الحياة وحركتها ، والحكم على مظاهر الحضارة والمدنية ، وقضية المرأة

■ **الاتجاه الإسلامي في الأدب المعاصر يحتاج إلى تخطيط وعمل فلا بد من استكمال النظرية ولا بد أيضاً من التطبيق وتقديم النماذج لنصل إلى الإيجابية المتوخاة.**

والتعليم والخدمات والفن والترفيه، هذه القضايا كلها يختلف النظر إليها من مجتمع لمجتمع، ومن دين لدين، ومن فلسفة لأخرى، وقد استطاعت نخبة من الكتاب التنصيريين الخبثاء - عرباً وغير عرب - أن يبلوروا هذه القضايا، ويروجوا لها، وفق التصورات الغربية، مع تعارضها مع المنظور الإسلامي، وكان الهدف الأساسي لهذا الأدب التنصيري هو:

● **أولاً**:

توهين عرى الالتقاء بين المسلم وتراثه العقيدي والسلوك.

● **ثانياً**:

التمهيد لمفاهيم غربية أشد التصاقاً بالاتجاه الديني النصراني.

وهما في الواقع أمر واحد برغم تجزئته، **ولعله يفسر شيوع السلوك الغربي المنافي لعقيدتنا في السهرات والاختلاط وحفلات الرقص، وتجاهل القيام بالفرائض، والتخلي عن السنن والآداب الإسلامية، وتقبيل أيدي النساء، والاختلاء غير المشروع بهن، واعتبار المشروبات الكحولية - على اختلاف أنواعها - أمراً اجتماعياً متقبلاً، والاستهانة بالحلال والحرام، والسخرية من الطهارة والعفة والالتزام الديني، وترك الحبل على الغارب بالنسبة لعلاقات الفتيات والفتيان، باسم الحرية الشخصية، واعتبار الكذب فناً، والنفاق سياسة، والتحايل ذكاء، والغش براعة،** والتجريح والغيبة والنميمة نقداً وتقييماً للشخصية.. وهذه كلها أمور تمتلىء بها الأفلام السينمائية والمسلسلات والمسرحيات والأدب القصصي الذي يملأ الساحة، بل إنني رأيت بعض الصحف العربية السيارة تمجد شاعراً لأنه انتحر، واعتبرت ذلك قمة الرفض والصمود والثبات على المبدأ، وهذا الانتحار كما نعلم جميعاً أمر مرفوض دينياً وتشريعياً واجتماعياً، وهل يجهل أحدنا أن من يقدم على الانتحار ويفشل يقدم للمحاكمة، باعتباره جريمة ؟؟ هذه السلوكيات والأخلاق والمفاهيم الجانحة وغيرها، تسربت إلى حياة المسلمين عبر الآداب الغربية، والفنون المستوردة، فهدمت الكثير من قيم مجتمعاتنا وتقاليدها، وهذا ما يريده المنصِّرون والمنسِّقون معهم من رجال السياسة والطامعون في بلادنا، والمتوجسون خيفة من أية نهضة إسلامية مقبلة..

ماذا عن الأدب الإسلامي؟

لكن.. ماذا عن أدب الدعوة الإسلامي.. أو «**الأدب الإسلامي**» كما نريده اليوم ؟؟

إن الاتجاه الإسلامي في الأدب المعاصر في بلادنا يحتاج إلى وقفة متأنية، ويحتاج إلى تخطيط وعمل، فلا بد من استكمال «**النظرية**» بصورة شبه محددة، وهو ما حاوله عدد قليل من المهتمين بهذا الأمر، ولا بد أيضاً من التطبيق أو تقديم النماذج، فالنظرية بدون التطبيق لا تصل بنا إلى الإيجابيات المتوخاة، والواقع أن تاريخنا الأدبي برغم ما فيه من ميل وانحراف فيه عدد لا بأس به من حملة مشعل الأدب الإسلامي، وخاصة في الشعر، لكن الأهم الآن هو الإنجاز العصري في هذا المجال.. إننا ننظر الآن فنجد نماذج فذة في مجال:

● **القصة**.

● **المسرحية**.

● **الشعر**.

● **الأعمال التليفزيونية**.

وقد قام بعض النقاد المخلصين بتقييم بعض هذه الأعمال الأدبية تقييماً علمياً فنياً، من خلال الأسس الفنية الصرفة، ومن خلال التصور الإسلامي الصحيح، أي شكلاً ومضموناً، كما قدمت «**رسائل**» أو أطروحات في بعض الجامعات في بلادنا، وقد توصلت هذه الجهود المتناثرة إلى نتائج طيبة تدعو إلى الثقة والاطمئنان، لدرجة أن ناقداً كبيراً في أكبر صحيفة عربية قال بالحرف الواحد، بعد أن قرأ إحدى الروايات الإسلامية الحديثة: «**هذا أدب عالمي**».

لكن الآمال كبيرة، والجهد المطلوب بذله فوق طاقة فرد أو أفراد، والطريق مليء بالكثير من العقبات والعثرات، ولا بد من التسلح بالأدوات المستحدثة اللازمة لإقامة ذلك البناء الشامخ، وخوض تلك المعركة الشرسة، من أجل تقديم «**أدب إسلامي**» قادر على المنافسة، وله القوة التي تجعله يخترق الحواجز والحدود، فيصل إلى وجدان وعقل الإنسان المعاصر، في أي وقت من الأوقات، وفي أي مكان من العالم.. أدب يحمل الأمل والخير والإيمان والثقة، لهذا العصر الذي احتدمت فيه المآسي، وثارت الأحقاد، وتحول فيه البشر إلى ذئاب.. عندئذ يمكننا القول إننا قد قدمنا أدباً أصيلاً للدعوة الإسلامية..

خيانة

لماذا.. رؤية إسلامية جديدة ؟

بقلم : الدكتور عبد العظيم الديب

■■ إن دعوتنا لإعادة النظر في التاريخ الإسلامي ، ولصياغته من جديد صياغة صحيحة ، وتجليته في صورة صادقة ليست نابعة من الإدراك بقيمة التاريخ وأثره في حاضر الأمة ومستقبلها ، بل من باب إحقاق الحق ، وإبطال الباطل وكشف الزيف والتلبيس الذي تعرض له تاريخنا ، وذلك واجب إنساني ، وواجب علمي .

ولقد رأينا من قبل أنموذجاً لعدوان المستشرقين على المنهج وخيانتهم وتزييفهم ، وكيف شايعهم وسايرهم ، من ترجم كتبهم إلى العربية ، ووافقهم على ما زعموه أو افتروه ، ونسبوه إلى شيخ المؤرخين الطبري ■■

واليوم نعرض لأنموذج آخر من التزييف والتحريف ، وخطورة هذا الأنموذج أن صاحبه (أستاذ دكتور) يحاضر الآلاف من الطلاب ، ويُدعى إلى المؤتمرات ويستكتب للصحف والمجلات ، وتتخذ كتبه مراجع ومصادر للدراسات ، بل هو نفسه يشرف على البحث العلمي ويوجهه في جامعة من أعرق جامعاتنا العربية ونحن لا نعنيه بذاته ، فلو كان وحده لهان الأمر ، ولكنه (نمط) موجود ومتكرر ، وليس فرداً ... ومن هنا كان النظر إلى عمله ، وخطره وليس إلى اسمه ، بل ولا كتابه .

دفاع عن القرامطة

كتب ـ عفا الله عنا وعنه ـ كتاباً يدرسه لطلابه جاء فيه : « **القرامطة تجربة رائدة في الاشتراكية** » وتحت هذا العنوان جعل « داعيتهم (عبدان) ليس داعياً مشهوراً ، تفانى في نشر الدعوة وحسب ، **بل صاحب مدرسة ورائد جماعة فكرية ظلت مخلصة لآرائه بعد مماته** » كذا (ص ١١٠) ونقل عن الفهرست لابن النديم أنه ألَّف في المذهب عشرة كتب (قيمة) [أضاف إليها وصف (قيمة) من عنده] ، ثم قال في الصفحة نفسها : « ولكن شيئاً من تراث تلك (المدرسة) لم يصل إلينا ، ومن ثم فكل ما يعول عليه في دراسة القرامطة مستمد من المصادر السنية والشيعية فقط ، وهي معادية للقرامطة على طول الخط .. وهذا الاتفاق والإجماع لا يمكن أن يُتخذ بحال ذريعة للتسليم بصحة ما أورده مؤرخو الشيعة والسنة عن القرامطة ، إذ ينطوي على افتراءات واتهامات باطلة .. **فالمعقول أن هذا الإجماع مدعاة للشك أكثر منه قرينة على اليقين** » .

ثم غمز علماء الأمة جميعاً قائلاً : « إنهم ينتمون إلى طبقة أهل (القلم) التي تدين بوضعها المتفوق لإنعامات وهبات الحكام ، وبدهي أن ينظر هؤلاء وأولئك باستعلاء لحركة قوامها المستضعفون من العمال والفلاحين » .

وراح الكاتب (البحاثة) **يكشف عن عظمة القرامطة ، وما أدَّوْه من دور في التاريخ الإسلامي ، داعياً لنا « أن نقف على عبقرية ذلك العمل السري الذي أقام تلك الدولة لتظل شوكة في جنبي الخلافتين العباسية والفاطمية ما ينيف على قرن من الزمان »** أ . هـ . بنصه .

وهو يرى أن **القرامطة** أهل صلاح وتقى ، ينقطعون للصلاة والعبادة ، وأن داعيتهم « (ذكرويه) القرمطي عظم قدْره في أعين الناس ، وصارت له مرتبة في الفقه والدين ، وأن حمدان قرمط ـ زعيم الحركة ـ عرف بالزهد والتعبد » .

فحركة القرامطة (عنده) « كانت ثورة اجتماعية باسم الدين ، وليست حركة مروق » .

أما جرائمهم ، وسفكهم الدماء ، وقطعهم الطرق ، وترويعهم الآمنين ، وفتكهم بحجاج بيت الله الحرام الآمنين ، وفظائعهم التي تقشعر لهولها الأبدان من تدمير للبلاد وحرق للزروع ، وطمر للآبار وعيون المياه بالجثث ، وعظام الضحايا وجماجمهم ، كل ذلك عند الكاتب مغفور (للرفاق) القرامطة .

العدوان على الكعبة المشرفة والحجر الأسود

كان الأولى (بالمؤلف البحاثة الأكاديمي) أن يتجاوز عن ذكر هذا الجرم البشع ولا يُعرب عن رأيه فيه ، فعسى ألا يطوف بذهن القارىء ، ولكنه (بأسلوبه العلمي ومنطقه الأكاديمي) يقول بالحرف الواحد : « والمؤرخون **يتحاملون على القرامطة** ، ويصمون حروبهم بالوحشية

محافظاً على الفلسفة السبعية (٦٣) جعل مراتب الدعوة سبعاً لكل منها بلاغ حسب رتبة الفرد في البناء الهرمي التنظيمي، فالبلاغ الأول للعامة والثاني لمن فوقهم قليلاً، والثالث لمن دخل في المذهب سنة، ثم يعطي بعد ذلك بلاغاً كلما طال بقاؤه سنة أخرى حتى يصل الى الدرجة السابعة فيتلقى البلاغ السابع (٦٤) والبلاغ الأخير يتضمن اسرار المذهب وحقائقه الاساسية (٦٥).

والميل الشديد لسفك الدماء، ويتخذون من حادثة هجومهم على مكة ونقل الحجر الأسود إلى البحرين ذريعة لمزيد من التحامل. ومن (المحقق) أن هذه الحادثة كانت لها دوافعها السياسية، ولم تعبر عن ميل طبيعي لدى القرامطة في السلب والابتزاز أو عن رغبة في إهدار المقدسات الإسلامية».

ثم يقول مؤنباً كتاب عصرنا: «والواقع أن المعاصرين (يقصد للقرامطة) لم ينظروا إلى هذا الحادث باعتباره حادثاً جللاً، كما فعل اللاحقون، فقد انتهكت حرمة الكعبة مرتين، وضربت بالمجانيق في العصر الأموي، كما كان المتصوفة آنئذ يعتبرون الحجر الأسود وتقديسه ضرباً من الوثنية. (كذا).

ولذلك وجب على الدارسين التخفيف من غلوائهم، والنظر إلى هذا الحادث على انه أمر طبيعي أملته طبيعة العصر وظروفه السياسية» ا. هـ بنص حروفه. أسمعتم؟ إن العدوان على الحرم، ونزع الحجر الأسود أمر طبيعي، أيها الرجعيون خففوا من غلوائكم!!!

لن نناقش الموضوع:

ولن نناقش (الرفيق) (الأكاديمي) في تقييمه لحركة القرامطة ولا في تقديره لها، واعتزازه بها، فهذا (رأيه) والقوم يدعون إلى (حرية الرأي) فهو وما رأى!! وهم إذا حوصروا، وجوبهوا وتبين خطؤهم وعوارهم، قالوا: (حرية الخطأ) مكفولة، كما صرح بذلك أحد عُتاتهم، وكبير أصنامهم. فليذهبوا بحريتهم حيث شاؤوا ...

ولكن خيانة المنهج

لن نناقش في الموضوع، وإنما لن نسمح بخيانة المنهج (وليس ذلك لأن المنهج «الشكل» عندنا أهم من «**الموضوع**» ولكن لأن المنهج هو الراية التي يقاتلون تحتها والترس الذي يهاجمون خلفه، والسد العالي الذي يضعونه في وجه «**الآخرين**» **الرجعيين الجامدين**).

خيانة وتزييف

لو رحت أتتبع كل استنتاجات وأحكام الكاتب (الأكاديمي) وما انتهى إليه من نتائج لطال بنا المقام، وما سلم له شيء، اي شيء، وبحسبنا أن نقدم نماذج فقط وأمثلة تشهد بتزييفه، وتنطق بخيانته، ولن يحتاج القارىء بعدها إلى مزيد بيان.

قال: «أجمع مؤرخو السنة والشيعة على اتهام القرامطة بإبطال التكاليف الشرعية فذكر (الملطي) أنهم يزعمون أن الصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر الفرائض نافلة لا فرض، كما قال (البغدادي) وزعموا أن من عرف العبادة سقط عنه فرضها، وفي الاتجاه نفسه نجد الغزالي يقول: «**ترك القرامطة تأدية العبادات**» ا. هـ بنص حروفه ص ١١١.

هكذا يوهم القارىء بالحيدة (العلمية) و(المنهجية) و(الأكاديمية) وأنه يذكر الآراء المخالفة لرأيه من مراجعها (الأصلية)، ويعزوها إلى أماكنها من الصفحات والأجزاء، قبل أن يناقشها ويردها. فلننظر كيف كان رده لهذا الإجماع من المؤرخين!!

قال: «ونحن نرى أن تلك فرية لا أساس لها من الصحة، وإليك القرائن، فالغزالي نفسه ذكر أن الداعي القرمطي كان يشترط على المستجيب للدعوة أن يحج إلى بيت الله ثلاثين حجة إن أخل بواجباته، والطبري ذكر أن القرامطة كانوا لا يغتسلون من الجنابة، وإنما اكتفوا بوضوء الصلاة لإزالتها، وفي موضع آخر روى: «أن أحد كبار الملاك ضاق ذرعاً بفلاح قرمطي يعمل في ضياعه لحرصه على أداء الصلاة. والمقريزي الشيعي أورد أن الداعي

المنهج

لماذا..
رؤية إسلامية جديدة ؟ خيانة المنهج

ذكرويه القرمطي عظم قدره في أعين الناس ، وصارت له مرتبة في الفقه والدين ، وأن حمدان بن الأشعث ـ زعيم الحركة ـ عرف بالزهد والتعبد ، وكان أنصاره يسمون أنفسهم **المؤمنون بالله ، والناصرون لدينه ، والمصلحون في الأرض** ، هذه النصوص وغيرها تبطل الزعم بأن القرامطة دَعَوْا إلى هدم أركان الشريعة والتنصل من « العبادات » ا . هـ بنصه بالحرف الواحد وبدون أي تلخيص .

هكذا . بهذه النصوص يدفع (إجماع) المؤرخين على أن القرامطة « **دَعَوْا إلى هدم أركان الشريعة والتنصل من العبادات** » .

فماذا قال الطبري ؟

سنضع الآن نص كلام الطبري الذي أشار إليه (الأستاذ الدكتور المؤرخ) أمام القارىء ونترك له الحكم ، جاء في الطبرى ما نصه : « وفيها (أي في سنة ٢٧٨هـ) وردت الأخبار بحركة قوم يعرفون بالقرامطة بسواد الكوفة ، فكان ابتداء أمرهم قدوم رجل من ناحية خوزستان إلى سواد الكوفة .. **يُظهر الزهد والتقشف** ، ويسف الخوص (ينسجه) ويأكل من كسبه ، ويكثر الصلاة ، فأقام على ذلك مدة فكان إذا قعد إليه إنسان ذاكره أمر الدين ، وزهده في الدنيا ، **وأعلمه أن الصلاة المفترضة على الناس خمسون صلاة في كل يوم وليلة حتى فشا ذلك عنه بموضعه** ... وكان للهيضم (بن العلاء العجلي) في تلك الناحية ضِياعٌ ، فوقف على تقصير أكَرته (الذين يعملون في مزرعته) في العمارة (تعمير الأرض وإصلاحها) ، فسأل عن ذلك ، فأُخبر أن إنساناً طرأ عليهم ، فأظهر لهم مذهباً من الدين ، وأعلمهم أن الذي افترضه الله عليهم خمسون صلاة في اليوم والليلة ، فقد شغلوا بها عن أعمالهم ، فوجه في طلبه ، فأُخذ وجيء به إليه ، فسأله عن أمره فأخبره بقصته ، فحلف أنه يقتله فأمر به فحُبس ... » (١٠/٢٣ـ٢٤) .

هذا ما ذكره الطبري وهو يتحدث عن بدء أمر القرامطة ، ثم قال في الموضع الآخر الذي اقتبس منه (المؤلف العلامة) : « ... فقدم قوم من الكوفة ، فرفعوا إلى السلطان أمر القرامطة ، **وانهم قد احدثوا ديناً غير الإسلام ، وانهم يرون السيف على امة محمد** ، إلا من بايعهم على دينهم ... وانهم جاؤوا بكتاب فيه : ... إن القبلة إلى بيت المقدس والحج إلى بيت المقدس ... ومن شرائعه : الصوم يومان في السنة ، وهما النهرجان والنيروز ، وأن النبيذ حرام والخمر حلال ، **ولا غُسل من جنابة إلا الوضوء كوضوء الصلاة** وأن من حاربهم وجب قتله ... » (١٠/٢٥ـ٢٦) .

هذا ما ورد في الطبري في الموضعين اللذين أشار إليهما المؤلف . ونلاحظ ما يلي :

(أ) أنه قدَّم وأخر في كلام الطبري ، فعكس الترتيب الذي ورد عليه الكلام .

(ب) أنه يُرتب على هذا إظهار الطبري بمظهر المتناقض مع نفسه حيث يقول : إنهم أبطلوا التكاليف الشرعية ؛ فهم لا يتطهرون من الجنابة ، ثم يعود فيقول : إن أحد كبار الملاك ضاق ذرعاً بفلاح قرمطي يعمل في ضياعه (لحرصه على أداء الصلاة) .

لا بد من تأمل ونظر

ونحن ندعو المؤلف أن يعيد النظر في قراءة الطبري وأن يتأمل هذه النصوص التي أمامه ، أما القارىء فنحن على ثقة بأنه سيميز الحق من الباطل من أول قراءة ، ولن يحتاج إلى إعمال نظر أو فكر .

ونحن نطرح هذه الأسئلة على المؤلف لتعينه على التأمل والتدبر :

(١) هل الصلاة التي ضاق بها ذرعاً احد كبار الملاك هي صلاة المسلمين ؟

(٢) هل يفهم هو من عبارة الطبري أن هذه الصلاة صلاة الأتقياء الصالحين ؟

(٣) هل فهم من عبارة الطبري أن هؤلاء القرامطة ملتزمون بالتكاليف الشرعية ؟

(٤) هل كان غضب (أحد كبار الملاك هذا) من حرص فلاحيه على الصلاة ، أم من كفر هذا الداعي الذي شرع لهم ديناً جديداً ؟

(٥) هل تصلح عبارة الطبري هذه وقصته من غضب (الهيضم بن العلاء) من تقصير عماله وانشغالهم بصلاة القرامطة ـ شاهداً على هدم إجماع المؤرخين الذين قالوا بخروج القرامطة على الإسلام والتحلل من شرائعه .

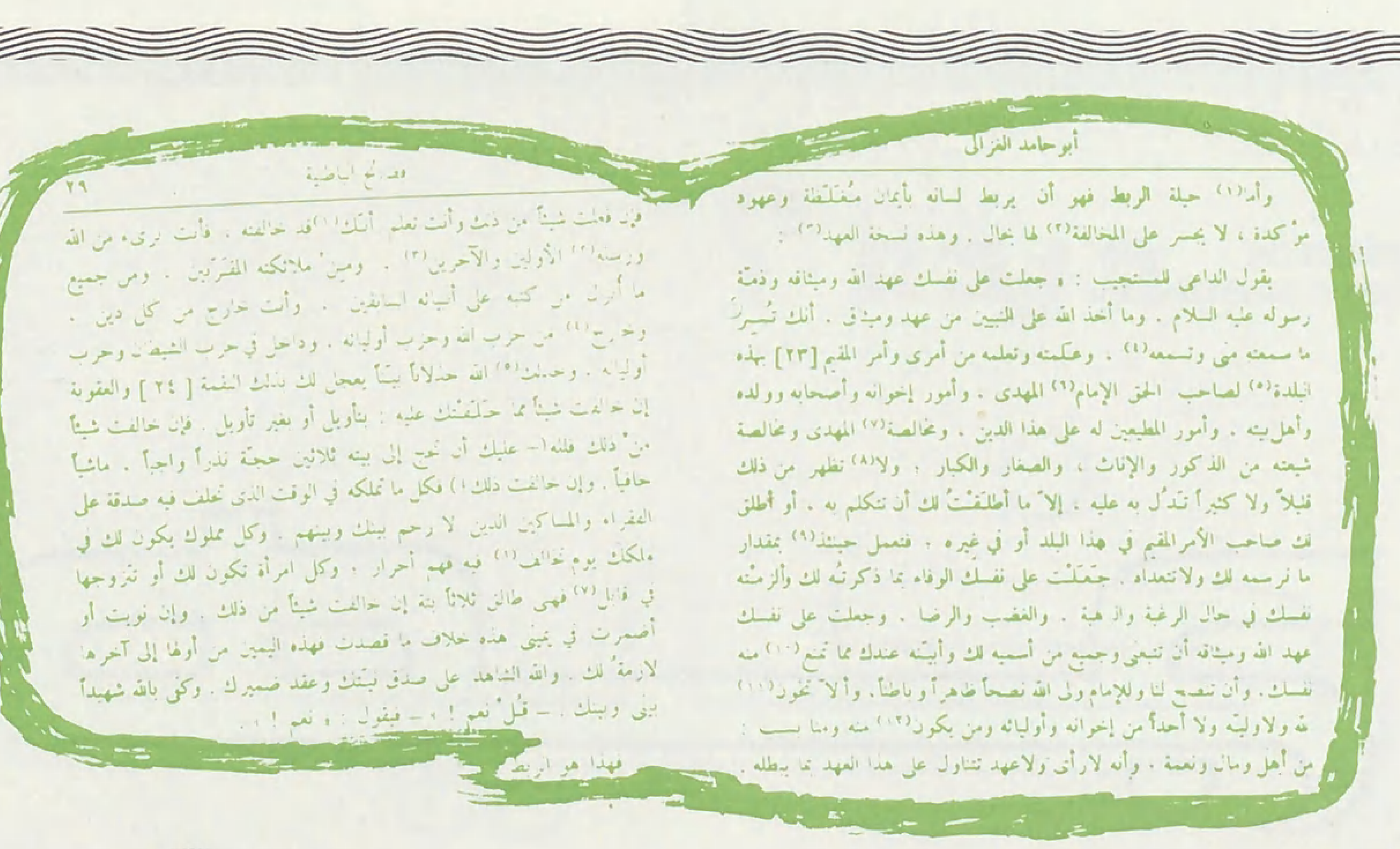

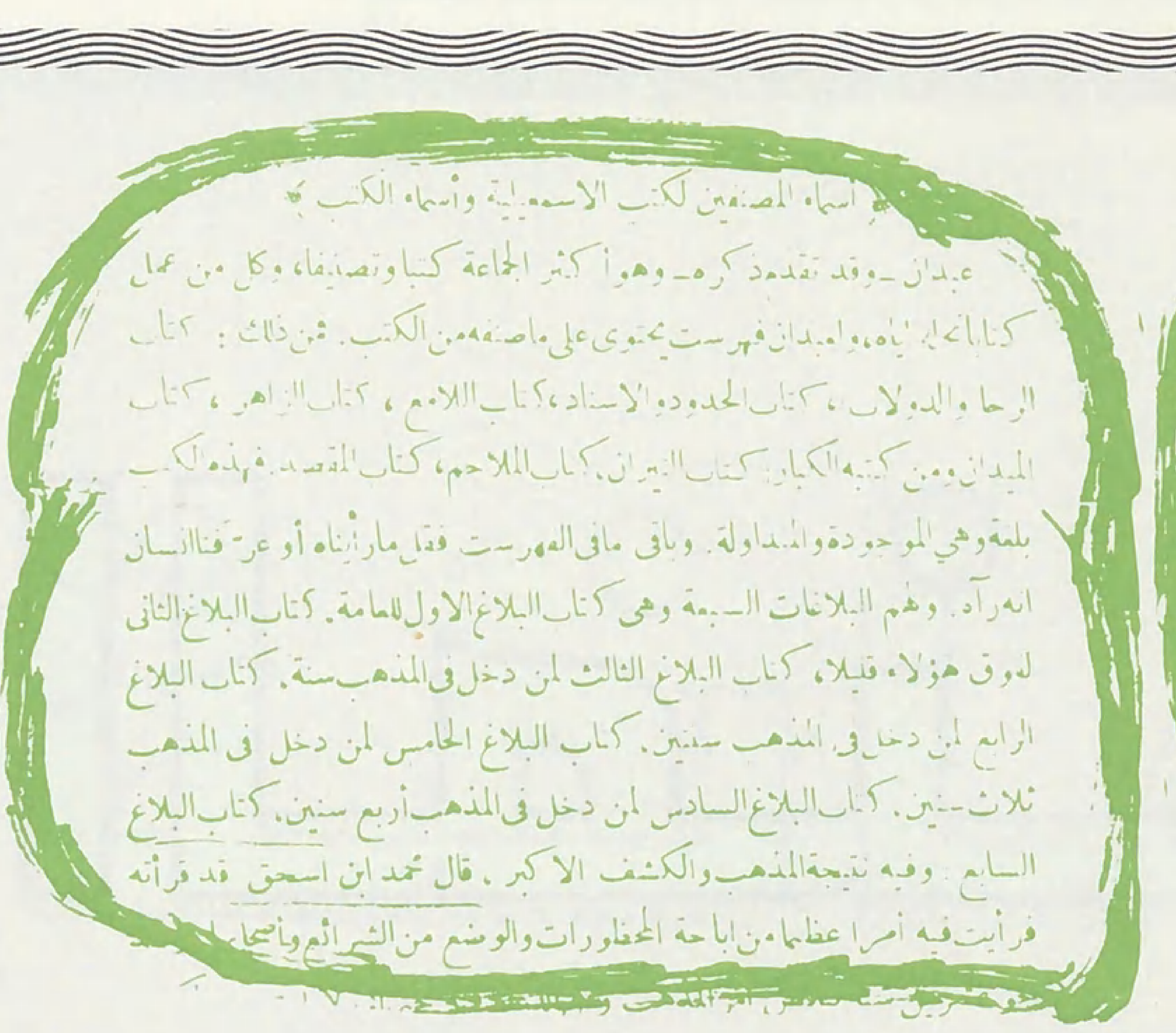

(٦) وأخيراً هل يسمح المنهج العلمي أن يخون احد (الدكاتره) المرجع الذي ينقل عنه، فيقصم ظهر النص ويمزقه، ويأخذ جزءاً منه على طريقة ذلك الشاعر المخمور:

ما قال ربك ويلٌ للألى سَكِروا

لكنه قال: «ويلٌ للمصلينا

ونترك الطبري، وننظر فيما قاله عن الإمام الغزالي وإيهامه لنا بأنه متناقض مع نفسه، **فماذا قال الغزالي؟**

جاء في كتابه (فضائح الباطنية ص ٢١ إلى ٣٢) بيان وتفصيل (لدرجات حيلهم) وأنهم «نظموها على تسع درجات مرتبة، ولكل مرتبة اسم. أولها: الزَّرق (بمعنى الخداع)، والتفرّس، ثم التأنيس ثم التشكيك، ثم التعليق، ثم الربط، ثم التدليس، ثم التلبيس، ثم الخلع، ثم السلخ».

وأخذ الإمام الغزالي يفصّل هذه الدرجات التي يلتزم بها الداعي القرمطي ويستدرج ضحاياه ويستنزلهم على مقتضاه، إلى أن وصل مرحلة (الربط) فقال «وأما حيلة (الربط) فهو أن يربط لسانه بأيمان مغلظة، وعهود مؤكدة، لا يجسر على المخالفة لها بحال. وهذه نسخة العهد: يقول الداعي للمستجيب: جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه، وذمةَ رسوله عليه السلام، وما أخذه الله على النبيين من عهد وميثاق انك تُسِرّ ما سمعتَه مني وتسمعه وعلمتَه وتعلمه من أمري وأمر المقيم بهذه البلدة لصاحب الحق الإمام المهدي، وأمور إخوانه وأصحابه وولده وأهل بيته وأمور المطيعين له **على هذا الدين.. ولا تُظهر من ذلك قليلاً ولا كثيراً تدل به عليه... فتعمل حينئذ بمقدار ما نرسمه لك ولا تتعداه،...**

وجعلت على نفسك عهد الله وميثاقه أن تتبعني وجميع من أسميه لك وأبيِّنه عندك... وأنه لا رأي ولا عهد تتناول على هذا العهد بما يُبطله. فإن فعلت شيئاً من **ذلك**، وأنت تعلم أنك قد خالفته، فأنت بريء من الله ورسله الأولين والآخرين،... وأنت خارج من كل دين، وخارج من حزب الله وحزب أوليائه، وداخل في حزب الشيطان وحزب أوليائه، وخذلك الله خذلانا بيّناً يعجل لك بذلك النقمة والعقوبة، إن خالفت شيئاً بتأويل أو بغير تأويل، فإن خالفت شيئاً من ذلك فلله عليك أن **تحج إلى بيته ثلاثين حجة نذراً واجباً، ماشياً حافياً**، وإن خالفت ذلك فكل ما تملكه في الوقت الذي تحلف فيه صدقة على الفقراء والمساكين الذين لا رحم بينك وبينهم.. وكل امرأة تكون لك أو تتزوجها في قابل فهي طالق ثلاثاً بتَّةً..».

وأما ما ذكره الغزالي في الموضع الآخر الذي أشار إليه الدكتور (التقدمي) (المنهجي) فهو:

ما جاء في الباب الرابع من ص ٣٧ ـ ٥٤ في تفصيل مذاهبهم وتطورها وتنوعها، «فسبيل دعوتهم ليس بمتعيّن في فن واحد، بل يخاطبون كل فريق بما يوافق رأيه بعد أن يظفروا منهم بالانقياد لهم، والموالاة لإمامهم: فيوافقون اليهود والنصارى والمجوس على جملة معتقداتهم ويقرونهم عليها» ثم يأخذ الإمام الغزالي في تفصيل معتقداتهم في الإلهيات، ثم النبوات، ثم الإمامة، ثم القيامة والمعاد، ثم يصل إلى تفصيل اعتقادهم في التكاليف الشرعية فيقول: «والمنقول عنهم الإباحة المطلقة، ورفع الحجاب، واستباحة المحظورات، واستحلالها وإنكار الشرائع. إلا أنهم بأجمعهم ينكرون ذلك إذا نسب إليهم».

انظر وانتبه للغزالي (الرجعي) الذي مضى عليه ما يقرب من عشرة قرون يحترم المنهج العلمي، فيحكي ما يقال عن الباطنية (القرامطة)، وما نقل عنهم، ثم يذكر لهم رأيهم **وانهم بأجمعهم ينكرون ذلك إذا نسب إليهم].**

ثم ينقل الغزالي قولهم بلسانهم عن معتقداتهم فيقول: «وإنما الذي يصح من معتقدهم فيه أنهم يقولون: لا بد من الانقياد للشرع في تكاليفه، على التفصيل الذي يفصّله الإمام.. وأن ذلك واجب على الخلق والمستجيبين إلى أن ينالوا رتبة الكمال في العلوم، **فإذا أحاطوا من جهة الإمام بحقائق الأمور، واطلعوا على بواطن الظواهر انحلت عنهم هذه القيود، وانحطت عنهم التكاليف العملية فإن المقصود من أعمال الجوارح تنبيه القلب، لينهض لطلب العلم.**

فإذا ناله استعد للسعادة القصوى فيسقط عنه تكليف الجوارح»

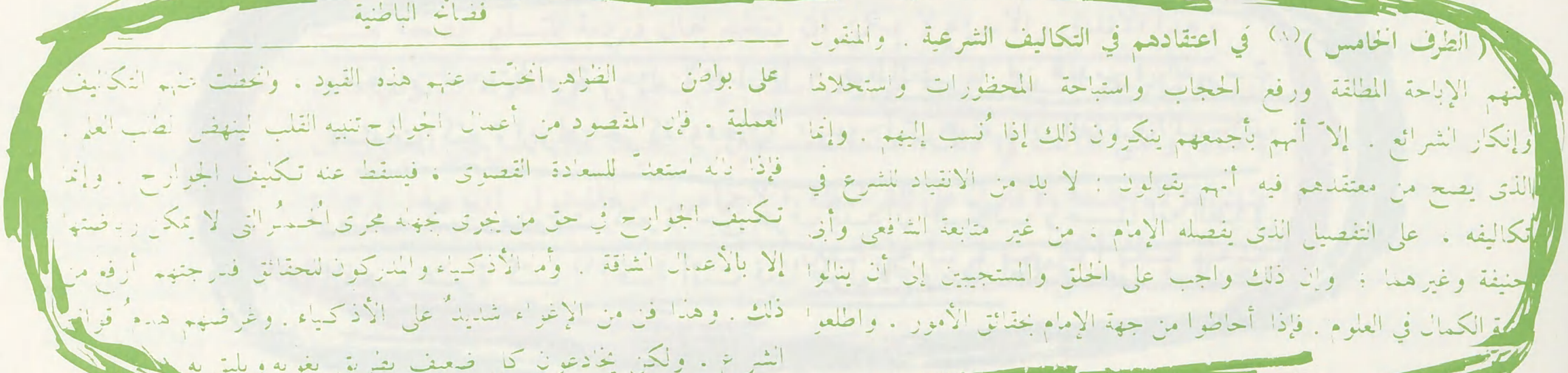
(الطرف الخامس)[١] في اعتقادهم في التكاليف الشرعية. والمنقول عنهم الإباحة المطلقة ورفع الحجاب واستباحة المحظورات واستحلالها وإنكار الشرائع. إلا أنهم بأجمعهم ينكرون ذلك إذا نُسب إليهم. وإنما الذي يصح من معتقدهم فيه أنهم يقولون: لا بد من الانقياد للشرع في تكاليفه. على التفصيل الذي يفصله الإمام؛ من غير متابعة الشافعي وأبي حنيفة وغيرهما؛ وأن ذلك واجب على الخلق والمستجيبين إلى أن ينالوا رتبة الكمال في العلوم. فإذا أحاطوا من جهة الإمام بحقائق الأمور. واطلعوا

فضائح الباطنية

على بواطن الظواهر انحلت عنهم هذه القيود. وانحطت عنهم التكاليف العملية. فإن المقصود من أعمال الجوارح تنبيه القلب لينهض لطلب العلم. فإذا ناله استعد للسعادة القصوى؛ فيسقط عنه تكليف الجوارح. وإنما تكليف الجوارح في حق من يجري بجهله مجرى الحمر التي لا يمكن رياضتها إلا بالأعمال الشاقة. وأما الأذكياء والمدركون للحقائق فدرجتهم أرفع من ذلك. وهذا فن من الإغواء شديدٌ على الأذكياء. وغرضهم هدم قواعد الشرع. ولكن يخادعون كل ضعيف بطريق يغويه ويليق به

لماذا..
رؤية اسلامية جديدة ؟ خيانة المنهج

هذا ما كتبه الغزالي بنصه في الموضعين اللذين اشار إليهما ، موهماً القراء انه ببحثه واستقصائه ، استطاع أن يكشف زيف (المؤرخين) و (المؤلفين) (اجمعين) حيث أظهر تناقضهم .

والآن هذه هي النصوص ، فأين التناقض ؟ وأي عقل بل أي هوى يرى فيها تناقضاً ؟ فمع أنه قدّم المؤخر ، وأخر المقدَّم ، ليزعم التناقض ، (فكيف ينحلون من التكاليف الشرعية ، وهم **يهددون المستجيب بثلاثين حجة حافياً ماشياً نذراً واجب الوفاء ؟**) هذا هو التناقض في نظره .!!!

هذا ما يريد أن يقوله المؤلف (الدكتور) (البحاثة) (المنهجي) (ربيب الاكاديميات) !!

ولنا أن نسأله : أي واجبات يعاقب (المستجيب) لدعوة القرامطة على الإخلال بها بأداء ثلاثين حجة حافياً ماشياً ؟

تريد أن توهمنا أنها الواجبات الشرعية والتكاليف الدينية !!!

كيف تستسيغ أن تزيف علينا الحقائق ؟ وتتهم الإمام الغزالي رضي الله عنه بالتناقض ؟ كيف تقبل (جامعيتك) و (منهجيتك) أن توحي لنا وللضحايا من طلابك وقرائك بهذا ؟ ومن أجل ماذا ؟ وفي سبيل ماذا من أجل القرامطة ؟ وفي سبيل إثبات براءة القرامطة من جرائمهم وفضائحهم ؟

من أجل تزييف تاريخ الأمة ؟ من أجل طمس معالم الطريق أمام الأمة ؟!!!

من أجل ترويج شيوعية القرامطة في الأموال والنساء والدعوة لها !!

إن الواجبات التي يحج (القرمطي) ثلاثين حجة إذا أخل بها ، هي كما في نص العهد :

١ ـ الا يبوح بسر ما سمعه من الداعي وما سيسمعه مستقبلاً وما علمه من امر الإمام وما يعلمه في المستقبل .

٢ ـ الإخلاص للداعي ومن وراءه .

٣ ـ الا يدل عليهم ، ولا ينطق إلا بما يُسمح له ان ينطق به .

٤ ـ ان يعمل بما يُرسم له ولا يتعداه .

٥ ـ ان يحمي الداعي وكل من وراءه ، مما يحمي منه نفسه .

٦ ـ ان ينصح للداعي ومن وراءه نصحاً صادقاً خالصاً ، ولا يخون باي سبب من مال ونعمة .

٧ ـ الا راي ولا عهد فوق هذا العهد .

هذه هي الواجبات التي « يشترط الداعي القرمطي على المستجيب للدعوة أن يحج إلى بيت الله ثلاثين حجة إن أخل بها » فهل هذه الواجبات الشرعية ؟؟ أم هو التدليس والتلبيس القرمطي الحديث ؟؟

وابــن النــديم :

أما عدوان المؤلف على ابن النديم وتزييفه عليه فيظهر فيما يلي :

قال في (ص ١٠٩ ـ ١١٠) : « يطالعنا ابن النديم في الفهرست بمصنفات كثيرة لرواد الحركة ودعاتها ، ومن أشهرهم عبدان الداعية الذي الف وصنف كتباً ومدونات كثيرة ، حتى عرف بعبدان الكاتب ، وحسبنا أنه الف في المذهب عشرة كتب قيمة فيها طول باع وسعة اطلاع ... » .

وعند آخر كلمة (عشرة كتب) وضع علامة هامش ، واحالنا على (الفهرست) دون أن يضع علامة تنصيص ، ربما لأنه لخص كلام الفهرست ، وربما لأنه أراد أن يوهمنا بأن وصف (قيمة) من عند ابن النديم ، هذه واحدة . والثانية أن الكتب التي ذكرها ابن النديم ليست عشرة بل ثمانية . وكل هذا أمره هين .

ولكن الأدهى أن باحثاً عن تراث القرامطة وكتبهم ، وآثار مفكريهم ، ينقل عن (الفهرست) خبر كتبهم ومؤلفاتهم ، ويتأسف على ضياعها ، وعدم وصولها إلينا وأمام عينه ، وبين أصابعه خبر عن كتبهم ومضمونها ، فيغض الطرف عنه ، لأنه يحمل حقيقة لا يريد أن يراها أو يصل إليها ، ويحمل رأياً لمعاصر للقرامطة اطلع على كتبهم ونظرياتهم ، وذكرها وأخبر عنها كما رآها .

جاء في (الفهرست) في السطور التالية مباشرة ، لما أحالنا عليه المؤلف (الأمين) (الثقة) ما يلي :

« ولهم (أي القرامطة) البلاغات السبعة ، وهي كتاب البلاغ الأول للعامة وكتاب البلاغ الثاني لفوق هؤلاء قليلاً ، وكتاب البلاغ الثالث

ومنظرين لدعوتها ومؤرخين لاخبارها ، فيطالعنا ابن النديم في الفهرست بمصنفات كثيرة لرواد الحركة ودعاتها ، ومن أشهرهم عبدان الداعية الذي الف وصنف كتباً ومدونات كثيرة حتى عرف بعبدان الكاتب وحسبنا انه الف في المذهب عشرة كتب [1] قيمة أثبت فيها طول باع وسعة اطلاع حتى قال عنه

لمن دخل في المذهب سنة ... وكتاب البلاغ السابع وفيه نتيجة الكشف الأكبر **« قال محمد بن إسحاق قد قرأته فرأيت أمراً عظيماً من إباحة المحظورات والوضع من الشرائع وأصحابها »** .

ومحمد بن إسحاق هذا هو المحدث الثقة الثبت المشهور بابن منده ، فلو كان صاحبنا باحثاً عن حقيقة القرامطة ، ويريد أن يرى تراثهم ونظرياتهم في كتبهم لنظر في كلام (ابن مَنْدَه) .

ولا يقولن قائل : إنه ليس مطلوباً من الباحث أن يقرأ كل ما يكتبه المرجع الذي يرجع إليه من استطرادات حول موضوعه ، فهو قد رجع إلى (الفهرست) ليرى ما كتبه ابن النديم عن مؤلفاتهم ، وهذا هو الشيء الذي يسأل فيه (الفهرست) فقط !! أما ما عدا ذلك ، فبوسع الباحث أن يضرب عنه صفحاً ولا يقرؤه ، ولا يعيبه ذلك ولا يضيره .

ومع أن التمحل والتهافت واضح في هذا الكلام ، إلا أننا سنقبله . ونقول : نعم . للباحث أن يغض الطرف عن السطر التالي للجزئية التي يبحث عنها ولو كان في الموضوع نفسه !!

ولكن ما الرأي إذا كان الكاتب عاد فأحالنا إلى (الفهرست) في الموضع نفسه ونقل كلام ابن النديم نفسه عن البلاغات السبعة(*) ، ثم سكت عما ذكره عن البلاغ السابع عن ابن منده !!!

مـاذا نسمي ذلك ؟؟

أعترف بأنني عاجز عن إيجاد تسمية له !!! وكل محصولي وقاموسي اللغوي لا أجد فيه اسماً يُطلق على هذا العمل ، أو وصفاً يليق به . وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وأخـــيراً :

كل هذه الخيانات للمنهج ، والجنايات على البحث ، في سطور قليلة لا تكمل صفحة واحدة ، وقد وضعنا أيدينا عليها ـ علم الله ـ هكذا دون اختيار ، فما بالنا لو تتبعنا كلَّ (بحثه) !!!

هـل من جـواب ؟

أحسب أن من حقنا أن نضع الأسئلة الآتية !! مجرد أسئلة بريئة عسى الا تظل حائرة ، وتجد لها يوماً (ما) جواباً .

- **ألم تطلع الجامعة التي يحمل هذا الأستاذ الدكتور اسمها على هذه الخيانة .**
- **وإذا لم تكن اطلعت فماذا هي صانعة الآن ؟**
- **هل تسمح دولة (اشتراكية تقدمية) ان ينشر عليها بحثاً ، بل قصة تنقد أوضاعها ، وتطبيقاتها بل (أيديولوجيتها) ونظرياتها وفلسفتها ؟**
- **إذا كانت عقيدتنا وتراثنا وفكرنا قد هان على حكامنا ، فسمحوا بالعبث به بحجة حرية الراي ، وحرية البحث ، وحرية الفكر ، اليس لنا ان نسال : من المسؤول عن حماية البحث ، وتزييف الفكروخيانة المنهج ؟**
- **دائماً يرفع (التقدميون الحمر) و (العلمانيون البيض) في وجه القابضين على دينهم ، المعتزين بتراثهم ، دائماً يرفعون في وجوههم سلاح (العلم) و (البحث) و (المنهج) .**

والسؤال : اين عبدة المنهج وسدنة المنهج ؟

اما انا فاقول : ايها المنهج . كم من الجرائم ترتكب باسمك !!!

(*) ص ١٢٦ من كتاب المؤلف ص ٧ ونص كلامه : « ولما استقل حمدان ابن الأشعث بأمر الدعوة ، وصار داعياً مطلقاً ظل محافظاً على الفلسفة السبعية فجعل مراتب الدعوة سبعاً لكل منها بلاغاً (كذا) حسب رتبة الفرد في البناء الهرمي التنظيمي ، فالبلاغ الأول للعامة والثاني لمن فوقهم قليلاً ، والثالث لمن دخل في المذهب سَنَة ، ثم يعطي بعد ذلك بلاغاً كلما طال بقاؤه سنة أخرى ، حتى يصل إلى الدرجة السابعة فيتلقى البلاغ السابع . والبلاغُ الأخير ، يتضمن أسرار المذهب وحقائقه الأساسية » ١ . هـ بنصه . والذي يهمنا هو أنه عند كلمة (البلاغ السابع) أحالنا إلى (الفهرست) حيث كلام محمد بن إسحاق امام عين كل من يريد البحث . ولا يريد التضليل .

وهذا الاتفاق والاجماع لا يمكن ان يتخذ بحال ذريعة للتسليم بصحة ما أورده مؤرخو الشيعة والسنة عن القرامطة ، إذ ينطوي على افتراءات واتهامات باطلة ، ونحن نخالف في ذلك أحد المتخصصين (٤) حيث قال ليس من المعقول ان نتهم هؤلاء جميعاً بالافتراء على القرامطة ، لاجماعهم ، فالمعقول ان هذا الاجماع مدعاة للشك أكثر منه قرينة على اليقين .

أين الخلل؟

■■ تتسم أوضاع العالم الإسلامي .. بالاضطراب والتعثر والتخبط .. ومن ثم نجد أحواله تتردىٰ .. من سيء إلى أسوأ .. من الوحدة إلى الشتات ..

ومن التماسك إلى التمزق ..

ومن القوة إلى الضعف ..

اللهم إلاّ .. من بصيص أمل .. يتراءىٰ لنا .. هنا .. وهناك .

ولقد قامت النخبة من العلماء والمفكرين والدعاة والجماعات والجمعيات الإسلامية .. في أرجاء العالم الإسلامي ، بجهود كبيرة استهدفت النهوض بالأمة الإسلامية إلى مستويات أفضل على أساس من كتاب ربها عز وجل ، وسنة نبيها ﷺ .

ولكن جميع تلك الجهود المثابة إن شاء الله ، لم تنجح حتى الآن ، في قيادة الأمة نحو التماسك والوحدة والقوة .. وإن كانت قد حققت بعض النتائج الإيجابية في مجالات محدودة .. وخصوصاً إصلاح الأفراد ، ونشر الثقافة الإسلامية على نطاق واسع وظهور عدد من الصحف والمجلات والدوريات الإسلامية .. التي تُعنى بتوجيه المسلمين إلى وجوب أخذ الإسلام كله ، ومعالجة قضايا الأمة في ضوء تعاليم هذا الدين .

ولكن ذلك كله لم يؤد إلى إيجاد وعي إسلامي .. راشد ومتكامل ينبثق عنه تيار شعبي إسلامي يقود الأمة إلى الحكم بما أنزل الله .

فلماذا لم تؤد كل هذه الجهود .. إلى الغاية المرجوة ؟..

يقال : إن جهود العلماء والمفكرين والدعاة ، قد نجحت في إيجاد صحوة ثقافية إسلامية ، تمثلت في أن يصبح الكتاب الإسلامي متصدراً قائمة الكتب المباعة بما لا يقاس ، ولكنها لم تنجح في تحويل هذه المعارف الإسلامية إلى انشطة بارزة للعيان ، ولا أن تترجم هذه التعاليم الإسلامية إلى أخلاقيات وسلوكيات إسلامية .

ويقال : إن قلة قليلة مما صدر من كتب إسلامية خلال هذا القرن .. قد رسم الطريق بوضوح .. إلى إيجاد المجتمع الإسلامي المنشود .

كما يقال : إن الجمعيات والجماعات الإسلامية ، لم تكن في تنظيمها إسلامية تماماً ، فلم تنجح في أن تجعل من أعضائها مجتمعاً إسلامياً صغيراً ، كالجسد الواحد الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر .. بل كانت هذه المنظمات والتشكيلات الإسلامية في الغالب مؤلفة على الأسلوب الغربي من حيث التنظيم والفاعلية .

ويقال : إن هذه المنظمات الإسلامية ، لم تتميز بالتخطيط الكلي والمرحلي المبرمج .. بحيث تؤدي كل مرحلة إلى أخرىٰ .

ويقال : من أسباب فشل هذه التنظيمات في تحقيق نجاح مستمر ومتواصل ونام إنما يعود إلى فقدان الإدارة المخططة الواعية ، القادرة على اكتشاف الطاقات الإيجابية ، وحشدها ، وتوجيهها لإقامة المجتمع الإسلامي المتماسك القوي .. والموحد .

ويقال : إن من أسباب العجز .. عدم وجود قيادة قادرة ذات كفاءة عالية متفرغة للتنظير والتخطيط والتنفيذ .. بوسائل تعين على بلوغ الغاية .

ويقال : لم يكن هناك محاولات جادة ، مؤثرة لمحو الأمية الفكرية والثقافية وفق برامج متتالية وتصاعدية .. بطرح موضوعات مركزة مدروسة بعناية ، لإيجاد تصور متكامل للشخصية الإسلامية وللمجتمع الإسلامي ، كما لم يكن لدى هذه المنظمات فريق متابعة متطورة .. لتتأكد باستمرار من استمرارية التوعية وفق الخطة المقررة .

كما يقال : إن من أسباب الخلل ، في عدم نجاح الحركات والجمعيات والجماعات الإسلامية .. هي أنها اقتصرت على الجانب الثقافي وحده أو قدمته على ما سواه ولم تتقدم إلى تبني المصالح الحيوية لجماهير الأمة .. كما أنها لم تعن بإيجاد المجتمع الإسلامي المتماسك ، ضمن إطارها كجماعة ، لكي تقدم بذلك المثال الحي ، بل الأنموذج المصغر والمتكامل ، لما يمكن أن يكون عليه المجتمع كله عندما يتخذ الإسلام نظام حياة .

ويقال أيضاً : إن من الأسباب عدم تركيز هذه المنظمات في إعداد العاملين فيها .. على الأهمية الأولى والقصوىٰ ، في إعداد المسلم الحق والتي يمكن حصرها بالآتي :

- التلاوة المستمرة للقرآن الكريم .
- قيام الليل وذكر الله على كل حال .
- تمثل الإسلام في السلوك بشكل دقيق .

كما يقال : إن الجانب الأخلاقي بقي سلبياً غالباً .. في إعداد شخصية المسلم في هذه الجماعات .. بحيث لم يوضع في ظروف تبرز فيها حقيقة اكتسابه لهذه المزية الخلقية أم لا ؟ ولم توضع له

بقلم : الدكتور نعمان عبد الرازق السامرائي

إنها دعوة نوجهها إلى كل صاحب فكر وقلب لكي يدلي بدلوه في هذا الموضوع البالغ الأهمية عسانا نستطيع تكوين رؤية واضحة ومشتركة ونحدد بدقة موطن الخلل من حياتنا

برامج .. يحتاج في تنفيذها إلى وجود أخلاق وسلوكيات إسلامية محددة . ولم يشغل باستمرار بما يؤكد هذه الأخلاقيات من خلال الممارسات والمواقف .

وقد يقال : إن الأمة قد أصيبت في عقيدتها .. فإن كان قد حدث ذلك ، فما هو هذا الانحراف ، وما مكانه ؟؟

وقد يقال : بأن هذا الخلل في السياسة التي مورست على الأمة برضاها ؟ أو بدونه ؟ فذهبت الشورى .. وفسدت العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، وكان من ثمرة ذلك فقدان الثقة وطغيان الحكم الفردي ؟

وهل يكون خلاص الأمة مما تعانيه بإصلاح النظام السياسي وعودة الشورى وتوثيق الصلة بين الحاكم والمحكوم (وكيف يتحقق ذلك) ؟

وهل هناك خلل في النظام الاقتصادي المتمثل في قلة الموارد وسوء توزيع الثروة ؟ وهل يصلح هذا الخلل .. بتوفر الوارد وبالتوزيع العادل للثروة ؟

هل منشأ هذا الخلل من تسرب الفساد والعفن إلى نظم التربية والتعليم بحيث صارت لا تنتج إلا مجموعة من الأميين المتسولين للوظائف والذين لا يصلحون لشيء .. فلا ينصرون حقاً .. ولا يدفعون باطلاً ولا يؤدون واجباً .. ويسيرون تحت كل راية .. ولو كان رافعها عدواً لدوداً ؟

أم أن الخلل قد ضرب النظام الاجتماعي فخربت الذمم ، وفسدت الأخلاق وانحلت الروابط ، فلم تعد النفوس تستهجن منكراً ، ولا تهش لمعروف ، وصار كل فرد يخدم نفسه ويجري خلف مصالحه وينسى أمته ؟

هل سبب الخلل .. تسرب الفساد إلى روح الأمة ، من طول ما عانت من هزائم سياسية وعسكرية .. فحملها ذلك على اليأس وعدم المبالاة حتى لم تعد تهزها النكبات ولا تحركها الهزائم ؟

هل هناك أزمة قيادة سياسية وفكرية .. بحيث لو توفرت القيادة المناسبة .. لنهضت الأمة .. وسلكت سبيل الخلاص ؟

كما أن هناك من يقول :

إن من أسباب التخلف :

(أ) فقدان الاستقرار النفسي والفكري .

(ب) وفقدان التخطيط المستوعب .

(ج) والتجزؤ بمختلف مستوياته .

(د) وضآلة التنسيق والتعاون بين العاملين للإسلام .

كيف نقنع الأكثرية الصامتة ، بأن تأخذ الإسلام .. بقوة .. عقيدة ونظاماً وأسلوب حياة .

كيف نستطيع أن نقدم الدليل بل الأدلة على أن في الإسلام العزة والقوة والرخاء والتوفيق والسعادة للعالم الإسلامي ولكل البشرية ؟

وأخيراً ...

هل تعاونت جملة أسباب .. حتى صنعت هذا التخلف والانحدار الذي نريد الخروج والخلاص منه ؟

قد يسارع بعضهم إلى القول : إن بعدنا عن الشريعة هو سبب ذلك ؟

والسؤال :

لماذا ابتعدنا عن الشريعة ؟ وكيف حصل هذا الابتعاد ؟ وكيف يتسنى لنا العودة إليها ؟

نعم هناك دول كبرى ، لا تريد لنا العودة .. ولا ترضاها .. وإلى جانبها حكام صغار .. يجهدون في تنفيذ هذه الإرادة .. ويستأسدون علينا ويتاجرون بدمائنا ويسدون المنافذ في وجوهنا .

وهناك طبقات من الأمة .. ترى مصلحتها في البعد عن شرع الله .

لكل ذلك :

- كيف يتسنى لنا العودة إلى شرع الله ؟
- ما هي الأولويات ؟
- بماذا نبدأ ؟
- وكيف نبدأ ؟
- وبماذا ننتهي ؟
- ثم كيف نقنع من يعادي الإسلام بتغيير موقفه ؟

هذه الأسئلة .. وأمثالها .. بحاجة إلى تدبر وتفكر .. ومن ثم الإجابة عليها بعيداً عن العواطف : عسانا نستطيع تكوين رؤية واضحة . لا يشوبها غبش ولا دخن .

إنها دعوة نوجهها ، إلى كل صاحب فكر وقلب .. لكي يدلي بدلوه بين الدلاء في هذا الموضوع الشائك البالغ الأهمية .

ومن كالمفكرين الإسلاميين المخلصين .. يمكن أن يضع أيدينا على الداء ويصف الدواء لتتوجه المسيرة الإسلامية إلى غايتها المرجوة : رضوان الله عز وجل .. الذي يتحقق لنا به عز الدنيا وسعادة الآخرة . والله المستعان . وهو ولي التوفيق .

كيف يتحول الاختلاف .. إلى خلاف

■■ إن شر ما يهدد الصحوة الإسلامية التي نبني عليها آمالاً عريضة في انتشال العالم الإسلامي مما تردّى فيه من تخلف وتبعية لغيره هو جرثوم الخلاف ، ونخشى أن يبدأ في نهش صفوف الصحوة الإسلامية المباركة ، كما نخر الأمة الإسلامية في السنين العجاف ، حتى غدا الخلاف الميزة الخاصة لأمة الإسلام أفراداً وجماعات على مر العصور .. فهل كتب على هذه الأمة أن تعيش مشتتة الصفوف متآكلة القوى لتسقط ثمرة ناضجة في أيدي أعدائها الذين يتربصون بها الدوائر ؟؟

إن جرثوم الخلاف أخطر وأشرس من قنابل العدو وأسلحته الفتاكة ، وذلك أن الأخيرة تضرب من الخارج فتزيد الصفوف التحاماً ووحدة ، والأولى تضرب من الداخل فيكون التمزق والضياع ، وتسقط الخلافة الراشدة مُلكاً عضوضاً ، وتنقسم دولة الأندلس إلى ممالك يلهو بها ملوك الطوائف لتسقط آخر الأمر في أيدي الإسبان .. وهكذا إلى يوم الناس هذا !! والمسلمون غافلون ، إن توحدوا يوماً تفرقوا أعواماً ، لا شغل لهم إلا التراشق بالتهم والسباب والشتم ، وهم الذين خاطبهم ربهم بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ ■■

بقلم : محمد الصالح عزيز

أسباب الخلاف ..

ويعزي أغلب الدارسين أسباب هذا الخلاف إلى الاختلاف في الرأي وفي الرؤى حول مسائل تستدعي الاجتهاد .. وهو رأي يحتاج إلى دليل ومناقشة ..

فهل صحيح ان الاختلاف في فهم النصوص وفهم ألفاظها والاختلاف في فقه بعض الفروع الشرعية سبب الخلاف الذي أدى إلى انقسام أمة الإسلام إلى بضع وسبعين فرقة ؟

إن الإسلام أوجب على علماء المسلمين أن يجتهدوا فيما لا نص فيه من القرآن والسنة .. وكلما فسح المجال لأهل الاجتهاد أن يبدوا آراءهم فيما يحدث من قضايا ليس فيها نص ، من العسير أن تتفق آراؤهم تبعاً لاختلاف أفهامهم واتجاهاتهم .. فكان من الطبيعي أن تتعدد مذاهبهم ، وتتباين آراؤهم لاختلافهم في فهم النصوص وتقدير مدلولها .. بل إن هذا الاختلاف ضرورة لا يمكن أن نستغني عنها ما دام للعلماء نظرات لا تتحد وأفهام لا تتفق ، وهو اختلاف يدل على مرونة الشريعة وسعة قابليتها للتطبيق في مختلف الأزمان ، بل لعله أهم ما يميز الإنسان عن بقية الكائنات الحية ويؤهله للقيام بمهمة الخلافة في الأرض على أحسن وجه ..

كل هذا يعني أن اختلاف الآراء وتباين المذاهب شيء لا يمكن تجاهله ولا الفرار منه ، فتلك سنة الله في الأنفس وفي الأذهان ، وهو أمر لا خوف منه لأنه يعتبر رحمة للمسلمين ؛ لو لم يكن لوجد المجتهدون أنفسهم في ضيق وحرج كبيرين ؛ الأمر الذي دفع الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز إلى القول :

« ما احب أن أصحاب محمد ﷺ لا يختلفون ؛ لأنه لو كان قولاً واحداً لكان الناس في ضيق ، وانهم أئمة يقتدى بهم فلو أخذ رجل بقول أحدهم لكان سنّة »[1] .. وذلك ما دفع أبا حنيفة للاتصال بعلماء من الشيعة والخوارج على اختلاف فرقهم وتباين آرائهم ، فكان يطلع على علومهم وآرائهم دون أن ينزع منزعهم ، بل كان يستفيد خير ما عندهم ويستخلص منه أفكاراً جديدة ومناحي قويمة .. وذلك الذي دفع الإمام مالك بن أنس أيضاً أن يتصل بالإمام جعفر الصادق ، ويخرج له في الموطأ سبعة أحاديث .. وتاريخنا حافل بقضايا عديدة كانت مسرحاً لاختلاف الفقهاء حولها ؛ فأثرت الفكر الإسلامي ووسّعت من أفق الشريعة الإسلامية .. هذا عندما يُفهم الاختلاف فهماً إيجابياً ، ويحسن دفعه وتوجيهه الوجهة الصائبة ، أما إذا ابتليت الأمة بأنصاف المتعلمين ،

■ لقد أثَّر مناخ الاستبداد السياسي في سلوك عامة المسلمين وعلاقاتهم فاصطبغ به وأثمر الاستبداد بالرأي والتعصب له .

■ العقـل الضيق هو الذي يجعل أفعال الشيخ أو الزعيم وأقوالـه هي المقيـاس النهائي للحق والبـاطـل ..

فطبيعي أن يتحول الاختلاف إلى خلاف لن يهدأ قبل أن يهدَّ أركان الوحدة الإسلامية ، وتزيد في اشتعاله عوامل متعددة منها :

١ ـ الاستبداد السياسي :

عاش المسلمون منذ انتهت الخلافة الراشدة فصولاً من الاستبداد أثّرت في تاريخ الأمة تأثيراً سلبياً لا نزال نقاسي آثاره حتى يومنا هذا .. فقد اضطهد الإنسان محور الرسالة الإسلامية وأبعد عن المشاركة في أخذ القرار السياسي وتحمله المسؤولية عند النجاح أو الفشل ، ومنع من إبداء رأيه في القضايا المصيرية كقضية الشورىٰ ، وقضية اختيار الحاكم وتوزيع الثروة وغيرها .. وأُبعد تبعاً لذلك علماء المسلمين وفقهاؤهم عن الخوض في مثل هذه الأمور .. وكان لا بد لهذه الطاقة الفكرية أن تحوَّل عن المسار الصحيح ؛ لتخوض فيها .. وتتدخل الأيدي الخفية لتثير قضايا ما كان يخطر على بال المسلمين إثارتها كقضية الجبر والحلول والذات والصفات .. ودخل المسلمون منعرجاً ليس من اليسير الخروج منه بسلام .. وأُلّفت كتب الفقه وحواشيها ، وأخرى تفسر الحاشية وأخرى لتفسر حاشية الحاشية بينما لا نجد شيئاً يذكر عن الإسلام السياسي ـ مثلاً ـ إلا القليل جداً .. وأهملت قضايا هامة وخطيرة شكلت فيما بعد مشكلات عويصة أمام المسلمين لا نزال نعيشها حتى الساعة ..

في هذا الجو الخانق ، كان من الطبيعي أن تولد الأفكار العفنة عفونة الجو السياسي الذي ولدت فيه ، وأن يتحول الاختلاف إلى خلاف مرير ذهب ضحيته ناس كثيرون ..

فكلنا قرأ عن الخوارج وعن المعتزلة وعما قاساه ابن حنبل .. وكان من الطبيعي أيضاً أن يستغل العدو الأجنبي هذا العامل ليزيد في تقسيم المسلمين حتى يسهل عليه احتواؤهم واستعمارهم ..

٢ ـ الاستبداد بالرأي :

كان من الطبيعي أن يؤثر هذا المناخ من الاستبداد السياسي في سلوك عامة المسلمين وعلاقاتهم ببعضهم بعضاً ، فتصبغ هي الأخرى بصبغة الاستبداد ، كان من أهم مظاهره :

(أ) **تعصب الفرد لرأيه ولو كان متيقناً من خطئه** .. فإذا وجد من يخالفه في رأيه تحوَّل النقد لا إلى الفكرة ذاتها بل إلى صاحبها ، فتكشف عوراته وتصنف خطاياه ، وتأخذ الاثنين العزة بالإثم ، ويجد الخلاف طريقه لينخر صفوف المسلمين ، بينما الأصل أن يكون الاختلاف فرصة لتلاقح الأفكار وإثراء المكتبة الإسلامية .. وكلنا يعلم الاختلاف بين الإمام مالك بن انس والإمام الشافعي الذي انتهى بتأليف كتاب « خلاف مالك » والذي أثبت فيه الشافعي ما هو كائن بينهما من خلاف .. ولكن مع ذلك لم ينل الشافعي من أستاذه بكلمة واحدة خارجة عن الجادة ، أو بجملة واحدة قد ندت عن النهج المهذب في أدب النقد ..

(ب) **المذهبية الضيقة التي تجعل افعال الشيخ او الزعيم واقواله هي المقياس النهائي للحق والباطل** ، فيشتد التعصب والمغالاة ، والرفض لكل نقد يوجّه إلى أعمال الشيخ ، وكأن الخير كله عنده وما عند غيره باطل .. ليأتي بعد ذلك من يقول بكل وقاحة : إن أتباع أبي حنيفة لا يقلون شراً عن الشيوعيين أتباع ماركس ، لا لشيء إلا لأنهم لا يقرؤون الفاتحة وراء إمامهم .. بينما المسلم الحقيقي الذي يحترم دينه وأمته لا يرى الصواب حكراً عليه فيما يعتقد من وجهات النظر ، ويعرف « **أن العمل الإسلامي لا يجوز أن يكون حكراً على شخص مهما كانت منزلته وعلت مكانته ، ولا يمكن له أن يدَّعي ذلك ، كما أنه ليس حكراً على جماعة من الجماعات أو فئة من الفئات أو جنس من الأجناس أو قوم من الأقوام** »[٢] .

وقد تنبه لهذا الخطر علماء المسلمين الأفذاذ ، فحذَّر كل واحد منهم أتباعه من الوقوع فيه ؛ فيجني على أمته وعلى نفسه الوبال .. **يقول الإمام ابو حنيفة** :

« **لقد أخذ الله الميثاق على العلماء ليبيننُّه للناس ولا يكتمونه ، لا ليكون العالم له خواص ولكن يعلّم الناس ، ويريد الله بتعليمه . هذا راينا احسن ما قدرنا عليه ، فمن جاءنا باحسن من قولنا فهو اولى بالصواب منا** » .

وقيـل لـه مرة :

« **هذا الذي تفتينا به الصواب بعينه** .

قـال :

مـا ادري عسى أن يكون الخطـا بعينه » .

ويقـول **الإمام مـالك** :

« **إنمـا انا بشر اخطىء واصيب ، فانظروا في رايي ، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به وما خالف فاتركوه . إن هذا العلم دين فانظروا ممن تاخذونه منه** »[٣] .

كيف يتحول الاختلاف.. إلى خلاف

ويقـول الإمـام الشافعي :

« خرجت من بغداد وما خلفت فيها أتقى ولا أفقه من ابن حنبل »[4] .

وقال أيضاً (الشافعي) مرة لتلميذه الربيع بن سليمان في مصر :

« أحمـد إمام في ثماني خصال : إمام في الحديث ، إمام في الفقه ، إمام في اللغة ، إمام في القرآن ، إمام في الفقر ، إمام في الزّهد ، إمام في الورع ، إمام في السنّة »[5] .

٣ ـ المتاجرة بالعلم :

لم يخل عصر من عصور الأمة الإسلامية من رجال ضعف وازع الإيمان في قلوبهم فاحتكروا العلم للمتاجرة ، وتملقوا السلطان يُحلّون حراماً ويحرمون حلالاً ، مما يثير حفيظة الغيورين على الدين فيندفعون للرد عليهم ، وتبدأ المعركة بين طائفة تبغي العراك وتشتري الأنصار بالمال ، وأخرى ليس لها من نصير سوى الإيمان والتقوى ، تنتهي آخر الأمر بتمزق الصفوف وتشتيت القوى والطاقات .. ولعل أحسن مثال على ذلك ، الرد المخزي الذي ردّ به فقهاء السلاطين على دعوة محمد بن عبد الوهاب .. فقد عثرت في كتاب « اتحاف أهل الزمان » لابن أبي الضياف التونسي على نص الجواب الذي ردّ به مفتي البلاد التونسية في ذلك الوقت ، على الرسالة التي وجهها ابن عبد الوهاب للأمصار الإسلامية ، اقتطفت منه الفقرة التالية :

« ... وقد زعمت أن الناس ابتدعوا في الإسلام أموراً وأشركوا بالله في الأموات جمهوراً ، في توسلهم بمشاهد الأولياء عند الأزمات وتشفّعهم بهم في قضاء الحاجات ونذر النذور إليهم والقربات ، وغير ذلك من أنواع العبادات ، وأن ذلك إشراك برب الأرضين والسموات ، وكفر قد استحللتم به القتال وانتهاك الحرمات . ولعمر الله إنك قد ضللت وأضللت وركبت مراكب الطغيان بما استحللت ، وشنّعت وهوّلت وعلى تكفير السلف والخلف عوّلت » .. « لقد أشرت في كتابك إلى النهي عن الفرقة واختلاف العباد ، فأصبحت كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ .. بهذا التعنت وهذا العناد يشارك فقهاء السلاطين في إشعال نار الفتنة والخلاف وتمزق الصفوف .. وقد تنبه رسول الله ﷺ لهذا المرض الفتّاك ونبه الأمة المسلمة لخطره ، فقال : « لا تعلموا العلم لتباهوا بـه العلماء ولا لتحتازوا به السفهاء ولا لتختاروا به المجالس ، فمن فعل ذلك فالنار ، النار » .

■ المطلوب من دعاة الإسلام أن يعملوا جهدهم ليسفر الصبح وتتعارف الوجوه ويعود الرشد إلى أبناء الأمة الواحدة فيعلموا أن الاختلاف في وجهات النظر ثروة مباركة لا يجوز أن ينقلب إلى جدل عقيم وافتراق .

٤ ـ قلة الزاد العلمي :

كما ابتُلي المسلمون برجال يحتكرون العلم للمتاجرة والتباهي ، كذلك ابتلوا بأناس نصّبوا أنفسهم للفتوى والاجتهاد وزعامة الحركات الإسلامية وهم لا يحملون من العلم إلا اسمه ، فتأتي فتاواهم واجتهاداتهم ارتجالية لا تستند إلى دليل شرعي أو عقلي فتكون مدعاة إلى إثارة الجدل حولها ليتحول بعدها إلى خلاف وسباب .. وقد كان السلف الصالح يدرك خطورة الفتوى بدون علم وما تسببه من فتنة في صفوف المسلمين ، فتراهم يتحرون جداً في الإدلاء بآرائهم . يقول الإمام مالك :

« ... ربما وردت عليَّ المسألة فأمضي فيها ليلتي ، بل وربما وردت عليَّ المسألة تمنعني من الطعام والشراب والنوم » .

ويقـول أيضـاً :

« إني لأفكر في مسألة منذ بضع عشرة سنة فما اتفق لي فيها رأي إلى الآن » .

٥ ـ القوى الخارجية :

لا ننكر أن هناك قوى خارجية تسهر على إشعال نار الفتنة بين المسلمين .. وأسهل طريقة لها أن تحول الاختلاف بين زيد وعمرو إلى خلاف مذهبي عقيدي فتعمل على نصرة أحدهما بما تملك من وسائل الدعاية والإشهار ، مشهرة بالثاني واصفة إيّاه بأقبح النعوت ، فيندفع هذا للرد على الشبهات التي أثيرت حوله ، ويتحول الاختلاف الذي كان من الممكن أن يكون ثروة مباركة في الفكر الإسلامي إلى جدل عقيم ، وتراشق بالتهم وتهميش للقضايا المصيرية ، ويغرق الجميع في مستنقع الفتن والحزازات التي لن تخدم إلا صفوف العدو ..

الخاتمة ...

هذه بعض الأسباب التي تحوِّل الاختلاف

في الرأي إلى خلاف مذهبي ينتهي بتقسيم الأمة الإسلامية إلى فرق وأحزاب متنافرة متباغضة ؛ على رجال الصحوة الإسلامية أن يدركوها جيداً ، ويعالجوها بحكمة مستفيدين من أحداث التاريخ الزاخرة ؛ ليحولوا هذا الاختلاف إلى مساره الصحيح ، ضمن الإطار الشرعي السليم لنفيد منه في بناء أمتنا ، ورصِّ صفوفها لتخرج من بوتقة التخلف وتعالج تراكمات الماضي يداً واحدة وإن اختلفت الآراء ...

وعلى رجال الصحوة الإسلامية أن يعملوا جهدهم على أن يسفر الصبح لتتعارف الوجوه ويعود الرشد إلى أبناء الأمة الواحدة ؛ فنصل إلى الأفق الرحب الذي يتجادل فيه الإخوة ويختلفون بل ويختصمون دون أن تتناثر من خلال مناقشاتهم كلمات قاسية حادة تنطلق انطلاق الرصاص لتصيب إخوة لهم ، كل ذنبهم أنهم لم يتفقوا في الرأي .. وليدركوا أن الواجب علينا أن نحصر مناقشاتنا في الموضوعات التي نتناولها فلا نخرج بها عن هدفها الحقيقي ، ولا ننحرف بها عن سبيلها الطبيعية ، وأن ينظر كل منا إلى مثيله نظرة الأخ ويشعر إزاءه بالألفة فإذا أخطأ فليس لأنه يضمر الخطأ ويصر عليه ، وإنما لأنه لا يعرف الصواب[٦] ، وليذكر كل منا قولة حسن البنا رحمه الله : « **نعمل فيما اتفقنا فيه ويعذر بعضنا بعضاً في ما اختلفنا فيه** » .

ولنذكر الكلمة الثمينة القائلة :

« **أنا خصمك في الرأي ، ولكني سأبذل آخر قطرة من دمي في سبيل الدفاع عن حرية رأيك .** » .

هوامش :

(١) الشاطبي : الاعتصام .
(٢) مجلة الأمة [العدد ٢٤] .
(٣) أنور الجندي : نوابغ الفكر الإسلامي .
(٤) وفيات الأعيان .
(٥) طبقات الحنابلة .
(٦) مجلة الثقافة العربية : التفسير العلمي للقرآن .

محمد عبد المنعم الخاقاني

في شارع الدمى المتحركة

فِي شَارِعِ الحِرْمانِ يَلْتَحِفُ البَنَفسجُ بِالتُّرابْ
تِمْثالُهُ الذَّهَبيُّ يَرْقُدُ فَوْقَ هامَتِهِ الذُّبابْ
تَتَزاحمُ الحَسَراتُ في عَيْنَيْهِ دامِيَةَ الإِهابْ
وَيَبيتُ يَرْشُفُ لَذَّةَ الأحْلامِ مِنْ نَبْعِ السَّرابْ
يَغْفو .. يُتَمْتِمُ بالمُنىٰ نَجْوَىٰ على صَدْرِ الضَّبابْ
فِي شارِعِ الحِرْمانِ أَبْصَرْتُ الخَوَرْنَقَ يَلْهَثُ
وَالحُزْنُ يَمْرَحُ بَيْنَ أَضْلاعِ الجُسُورِ وَيَعْبَثُ
فِي بَهْوِهِ الغِلْمانُ خائِرَةُ السَّواعِدِ تَحْرُثُ
وَأَمِيرُهُ النُّعْمانُ مَجْدوعُ المَشاعِرِ أَشْعَثُ
كُلٌّ يُقَلِّبُ ناظِرَيْهِ عَنِ الحَقِيقَةِ يَبْحَثُ
النَّارُ عابِثَةٌ تَذُوبُ علىٰ جَوانِبِها الشُّموعْ
وَعَلىٰ الرَّصيفِ حقائِبُ الترْحالَ تَغْسِلُها الدُّموعْ
وَتَغُوصُ أَحْداقُ المَنِيَّةِ بَيْنَ أَفْئِدَةِ الجُموعْ
وَعَلىٰ لَهِيبِ البُؤْسِ في الصَّحْراءِ تَنْصَهِرُ الضُّلوعْ
رَحَلَ السُّراةُ وَفي العُيونِ تَرِفُّ أَعْلامُ الرُّجوعْ
في الجَانِبِ الشَّرْقِيِّ عُرْسُ صاخِبٌ لِبَني النَّضيرْ
المَهْرُ مَذْبَحَةٌ وَفُسْتانُ الزِّفافِ بِلا نَظيرْ
في صَدْرِهِ وُئِدَ السَّلامُ وذيلُهُ سَحَقَ الضَّميرْ
وَعَلىٰ الضِّفافِ صَبِيَّةٌ سَمْراءُ تَصْرُخُ تَسْتَجِيرْ
اليَوْمَ لا وَطَنٌ يُضَمِّدُ لِي الجِراحَ وَلا مَصِيرْ
في شارِعِ الحِرْمانِ شَبَّ بِكُلِّ زاوِيَةٍ حَريقْ
وَتَساقَطَ الصَّفْصافُ مِنْ ظَمَأٍ بِقارِعَةِ الطَّريقْ
نامَتْ علىٰ الخُذْلانِ قافِلَةُ الصُّمودِ وَلَنْ تُفيقْ
فَلِمَنْ تُصَفِّقُ هٰذِهِ الأيْدي وَيَرْتَفِعُ النَّعِيقْ ؟
لَمْ يَبْقَ نَجْمٌ في السَّماءِ يَشِعُّ مِنْهُ لَنا بَريقْ
في شارِعِ الحِرْمانِ تَغْتَسِلُ الْلآلِئُ في الوَحَلْ
وَمَحارُها في الشَّطِّ تَأْكُلُهُ المَرارَةُ والخَجَلْ
فَالكُلُّ يَرْكُضُ بَيْنَ أَرْوِقَةِ الضَّياعِ علىٰ عَجَلْ
وَالنَّوْرَسُ المَجْنونُ يَصْرُخُ في الفَضاءِ : أَنا البَطَلْ
هَلْ أَغْرَقَ الطُّوفانُ كُلَّ الأوْفِياءِ فَلا أَمَلْ ؟

شعر : أحمد سالم

الشريف الإدريسي

وكتابة نزهة المشتاق في اختراق الآفاق

عالم وكتاب

■■ رحالة عربي، وعالم جليل من علماء الجغرافيا، عاش في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) قضى أغلب حياته في بلاط الملك روجر الثاني ملك صقلية مكباً على الدرس والبحث حتى أخرج للعالم موسوعة قيمة في علم البلدان سماها «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» لا تزال تشغل بال العلماء والمفكرين حتى وقتنا هذا.. ■■

بقلم الدكتور: أنور عبد العليم

نشأته وحياته

ذلك هو محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس المعروف باسم «الشريف الإدريسي» ولد ببلدة سبتة (Cueta) من ثغور المغرب في بيت ملك ودين.

تلقى الصبي تعليمه على الطريقة الشائعة في المغرب على عصره وهي حفظ القرآن الكريم والمتون وأشهر القصائد ثم انتقل إلى قرطبة بالأندلس لإتمام دراسته على أساتذتها المشهورين وتخصص في الجغرافيا والطب. وقد كانت الأندلس في ذلك الوقت من ممالك المغرب.

كان الإدريسي ولوعاً بالأسفار منذ الصغر فقيل إنه قام بسلسلة من الأسفار ولما يزل في السادسة عشرة من عمره: فطاف ببلاد الأندلس وتجول في موانىء البحر المتوسط. ثم زار مصر والشام وآسيا الصغرى وسنه ثمانية عشر عاماً. كما زار سواحل المحيط الأطلسي المعروفة على وقته.

بعد أن استولى روجر الأول ملك النورمان على جزيرة صقلية عام ٤٨٤هـ (١٠٩١م) بعد حروب طويلة ومناوشات لأهلها من البيزنطيين وفتن داخلية انتهى حكم المسلمين لها والذي دام (٢٦٦) سنة على وجه التحديد؛ وفي عهد روجر الثاني الذي كان مولعاً بالعلوم، وبعلم الجغرافيا بالذات، كانت دعوته للشريف محمد الإدريسي من أجل الإقامة في صقلية، واستجاب الإدريسي لتلك الدعوة وأقام في الجزيرة.

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق

يقول الإدريسي في سبب تأليفه لهذا السفر الجغرافي الممتع: إن الملك روجر الثاني أحب أن يعرف بلاده ويعلم حدودها ومسالكها براً وبحراً.. وما يخصها من البحار والخلجان مع معرفة غيرها من البلاد والأقطار في الأقاليم السبعة التي اتفق عليها المتعلمون وأثبتها في الدفاتر المؤلفون من أمثال المسعودي والجيهاني ومحمد الحوقلي البغدادي، واليعقوبي ... إلخ».

ولذلك فقد انتخب الإدريسي أناساً يثق بهم وبعثهم إلى أقاليم الشرق والغرب والشمال والجنوب ومعهم مصورون ليصوروا ما يشاهدونه عياناً وأمرهم بالتقصي والتمحيص والاستيعاب. وكان هو نفسه يناقشهم ويمحص أقوالهم ويقارن أشكالهم ثم يثبتها. كما اهتم الإدريسي كذلك بتدوين الأخبار السياسية والاقتصادية والاجتماعية لأقاليم المعمورة، فكان بذلك من أول من فطن إلى إيفاد بعثات الكشف العلمي كما نعرفها اليوم إلى المناطق النائية أو المجهولة.

ويعتبر الإدريسي بهذا العمل أيضاً أول جغرافي يقوم بمشروع علمي كبير يشمل جميع أقطار المعمورة بما فيها شمال أوروبا وبلاد الافرنج بعد أن كانت أعمال الجغرافيين العرب تهتم بالعالم الإسلامي وحده.

وقد تضمن الكتاب وصف البلاد ومواقعها والأرض وتضاريسها وبحارها وانهارها وغلاتها وتجارتها من صادرات وواردات ويسميها الإدريسي «التجارات» إلى جانب العجائب التي تنسب إليها أو تذكر عنها ومكانها من الأقاليم السبعة وأحوال أهلها وهيئاتهم ومذاهبهم وزيهم ولغاتهم، فجاء بذلك معبراً إلى حد كبير عن أحوال الأرض المعمورة وقت تأليفه سنة ٥٤٨هـ.

الأقاليم السبعة

درج أكثر الجغرافيين العرب على تقسيم العالم إلى سبعة أقاليم مناخية على شكل أحزمة أفقية تبدأ من خط الاستواء وترتب متوازية من الجنوب إلى الشمال. وقد اتبع الإدريسي التقسيم نفسه إلا أنه جعل الأقاليم تبدأ من المغرب بدلاً من المشرق أي تبدأ من بحر الظلمات وجعل الإقليم الأول يبدأ من خط الاستواء إلى خط عرض ٢٢° شمالاً (مدار السرطان) واشتمل كل إقليم من الستة الباقية على ست درجات وبذلك ينتهي الإقليم السابع عند درجة

■ الإدريسي يشرح تفاصيل كرته الأرضية الفضية للملك روجر الثاني .. ■

٥٩° شمالاً ، وقد اضاف إليه الإدريسي خمس درجات اخرى فأصبحت نهاية هذا الإقليم هي درجة ٦٤° شمالاً . ومن هذا الخط إلى القطب غير مسكون بسبب البرودة ، كما اعتبر الإدريسي المنطقة التي تمتد جنوب خط الاستواء هي الأخرى غير مسكونة بسبب الحرارة .

خارطـــات الإدريسي

وضح الإدريسي كتابه بسبعين خريطة للعالم المعروف على وقته تبين مواقع المدن والبحار والجبال والأنهار . وقد أحصيت اعداد المدن التي وردت على خرائطه فوجدت (٢٠٦٤) اسماً منها (٣٥٦) مدينة بأفريقيا ، (٧٤٠) مدينة بأوروبا ، (٩٥٩) مدينة بآسيا .

وقد استخدم الإدريسي في عمل هذه الخرائط لوحاً رسم عليه خطوط الطول والعرض سماه « لوح الترسيم » أثبت عليه مواقع المدن والمعالم الجغرافية ، وكان يستخدم الفرجار وادوات اخرى في رسوماته إلى جانب معرفته بالجداول الفلكية واستخدام الاسطرلاب واعتماده أيضاً على المشاهدة والمعاينة . وبهذا العمل استطاع الإدريسي أن ينقل علم الخرائط (الكروتوجرافيا) من الاهتمام بمملكة الإسلام وحدها إلى الاهتمام بالعالم كله ، ولذا يطلق على خرائط الإدريسي اسم « أطلس العالم » بحق . هذا وقد استعان الإدريسي على إنجاز بعض خرائطه وخاصة عن البحر المتوسط بالخرائط الملاحية المعروفة باسم « مرشد الموانىء » أو « البورتولان » « Portulan » .

كـــرة أرضية من الفضـة

وبعد أن أتم الإدريسي الخرائط السبعين المفصلة لأقاليم الأرض السابق ذكرها قام بصنع كرة من الفضة للأرض وضح عليها مواقع البلدان والمدن والجبال والبحار والأنهار . ويذكر هو نفسه أن كمية الفضة التي استخدمت في صنعها بلغت اربعمائة رطل بالرومي في كل رطل منها مائة درهم . ويقدر عالم إيطالي مقدار الفضة التي استخدمت في صنع مثل هذه الكرة بما زنته (٤٤٨٠٠) درهم (نحو ١٥٠ كيلوجراماً) . ولم تكن هذه الكرة أول كرة فضية جغرافية فقد سبقه في ذلك عبد الرحمن الصوفي عالم الفلك الشهير الذي صنع كرة فلكية لقبّة السماء ، كما صنع البيروني كرة اخرى للأرض في القرن الخامس الهجري ؛ وعن هذه الكرة الفضية صنع الإدريسي خريطة العالم المشهورة وصدر بها كتابه ، وفيها تبدو خطوط العرض على شكل دائري وليست خطوطاً مستقيمة مما يرجح أنها مأخوذة من الكرة الفضية للعالم . وفي هذه الخريطة تبدو سواحل البحر الأبيض المتوسط أقرب للواقع من الخرائط السابقة للجغرافيين العرب ، كما أن المدقق في هذه الخريطة يرى الجزر التي أثبتها الإدريسي في المحيط الأطلسي ولم يثبتها أحد من قبله مما يدل على علمه بها وبسواحل المحيط جنوبي مراكش . وبهذه المناسبة يذكر الإدريسي قصة الإخوة المغرورين في كتابه وهي من المحاولات الملاحية العربية لاستكشاف المحيط الأطلسي المعروف على وقته ببحر الظلمات ؛ وقد أورد هذه القصة غير الإدريسي من المؤلفين القدامى مثل : المسعودي وابو حامد الغرناطي والبكري والقزويني .

جغرافيـــة الإدريسي في نظـــر العلمـــاء

يقول الدكتور حسين مؤنس في تعليقه على قيمة كتاب الإدريسي « نزهة المشتاق » : إن هذا العمل يمثل القمة التي وصل إليها علم الجغرافيا في الشرق والغرب على حد سواء ، فقد اخذ من علم اليونان خلاصة ما فيه ، وأخذ عن أصحاب مدرسة الجغرافية الفلكية زبدة آرائهم وطور صناعة الخرائط والأطالس واعتبرها أساس علم الجغرافيا وانتقل بأطلس الإسلام إلى أطلس العالم . ويشارك مؤنس في هذا الراي العالم الإيطالي اماري « Amari » الذي يقول : « ... إن عمل الإدريسي يحتل مكان الصدارة بين كل ما الف الناس في الجغرافيا في العصور الوسطى » .

أما العالم الفرنسي (رينو Renaud) فيقول عن الإدريسي : « إنه استرابو العرب » (استرابو Strabo عالم يوناني جغرافي عظيم الشان من مدرسة الاسكندر القديمة) ، وتضيف دائرة المعارف الفرنسية بأن كتاب الإدريسي هو أوفى كتاب جغرافي تركه لنا العرب .. وما يحتويه من الوصف الدقيق يجعله اعظم وثيقة جغرافية من القرون الوسطى » .

هذا وقد عارض ابن خلدون نظرية الإدريسي القائلة بخلو المنطقة الواقعة إلى الجنوب من خط الاستواء من العمران لفرط الحر ويشاركه في ذلك ابن رشد (المتوفى عام ٥٩٥هـ) الذي يقول : إن النصف الجنوبي للأرض موافق تمام الموافقة لنصفها الشمالي . كما انتقد ابو الفدا (المتوفى عام ٧٣٣هـ) الإدريسي لعدم ذكره الأطوال والعروض . والأرجح أن الإدريسي كان يثبتها على « لوح الترسيم » ولكن لا يضعها في الخرائط الصغيرة .

تحقيق جغرافية الإدريسي

طبع كتاب « نزهة المشتاق » للإدريسي لأول مرة في فلورنسة بإيطاليا عام ١٥٩٢م وتعد هذه الطبعة من أقدم الطبعات الأوروبية بالحروف العربية ، ثم ظهرت بعدها ترجمات كثيرة ومختصرات باللغات الأوروبية المختلفة .

وقد استرعت المعلومات التي وردت عن دول أوروبا وغيرها في كتاب الإدريسي نظر علمائها فقاموا بدراسات كثيرة حولها ، ومنها ما نشره علماء الألمان تحت عنوان « أفريقيا في كتاب الإدريسي » الذي صدر عام ١٧٩٦م وما نشره الإسبان عن بلادهم عام ١٨٨٥م أو ما نشر عن إيطاليا وصقلية وعن وضع مدينة تريستا ، وكذلك ما كتبه المستشرقون عن النمسا وروسيا وعن البلقان والدانوب وما ورد عن روسيا وتجارتها في كتاب الإدريسي ، وحتى المؤلفون من فنلندا والسويد وأهل صقلية خاصة اهتموا بتحقيق ما ورد عن بلادهم في هذا الكتاب : كالشجاعة والحرية والكرم ، والنساء المتحفظات ، بل إنهم شعب يختلف اختلافاً كبيراً عن سائر شعوب إيطاليا . كما قام المؤرخ السعودي حمد الجاسر بتحقيق الأسماء التي وردت في كتاب الإدريسي خاصة بجزيرة العرب .

المعنى السياسي

■■ من مظاهر الشكل العام الذي تتخذه الدولة في رسمياتها وتاريخها ذلك التقويم الذي تسير عليه في هذا السبيل . وقد اختار لنا القرآن السنة العربية تاريخاً وتقويماً وبدأ عمر رضي الله عنه تاريخ الإسلام بالتحديد من أول السنة العربية أي من المحرم .

وهو اختيار له قيمته الدينية إلى جانب قيمته السياسية التي تراعي القيم والذاتية والإنسانية للأمة إلى جانب المقدسات الدينية والعقيدية . فقد خلا هذا التقويم العربي ، مما تصطبغ به التقاويم الأخرى من مظاهر وثنية ونزعات إلى الشرك كما سيأتي .

تحديد زمن العبادات

وحديث القرآن إلينا في هذا المجال ، حديث واسع ، ويؤكد بعضه بعضاً بأن التقويم القمري هو التقويم الذي يجب أن يتبع . فقد أقام تشريعنا فيما يتصل بالمواقيت على تلك الشهور ، سواء في العبادات كصوم رمضان وحج البيت ، أو بالسياسة كالأشهر الحرم ، أو الاجتماع كالعيدين ، أو الاقتصاد كوجوب الزكاة ، إلى آخر ما هناك من تشريع يقوم على التوقيت أو يتصل به :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ (البقرة : ١٨٩) . فقد روي عن رسول الله ﷺ بصدد تفسير هذه الآية أنه قال : « جعلها الله مواقيت لصوم المسلمين وإفطارهم ، وعدة نسائهم ومحل دينهم » .

وفي رواية أخرى « يعلمون بها حل دينهم وعدة نسائهم ، ووقت حجهم » . وهنا نستطيع أن نرى مدى تقدير الله سبحانه لهذه الأمة ولتاريخها ، فقد عمل على إحياء هذا التاريخ والعمل به بمثل هذه الآية المتقدمة ، وبآية أخرى هي قوله تعالى :

بقلم :

ابراهيم ابراهيم هلال

﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً ﴾ (التوبة : ٣٧) ، وكان هذا النسيء تأخيراً للأشهر الحرم عن مكانها ، إذا صادفتهم وقت القتال .

وقد ترتب على هذا أن وضعت الشهور في غير مواضعها . وفي العام العاشر للهجرة عندما حج الرسول ﷺ ، حيث كان الزمان قد استدار كهيئته ، وأصبح المحرم ، هو المحرم ، وذو الحجة هو ذو الحجة وذلك بتحديد الرسول ﷺ للشهور في أماكنها وإرجاعها إلى مواضعها . وجعل السنة اثني عشر شهراً لا أكثر ، كما قالت الآية الكريمة :

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ (التوبة : ٣٦) لأنهم كانوا يريدونها بهذا النسيء ثلاثة عشر ، أو أربعة عشر .

فبهذا العلاج من الله سبحانه ورسوله ﷺ لتعديل السنة وتقويمها كما كانت إبقاءً على ذلك التاريخ العربي القائم على الهلال ، وإشارة إلى أنه التاريخ الذي يجب أن يتبع ، وخاصة أن الشهر العربي هو الشهر الهلالي الذي يبدأ بالهلال وينتهي به بدءاً وختاماً ظاهرين لكل إنسان ، محددين من السماء تحديداً إلهياً بأن هذا شهر كامل ، وجزء من اثني عشر جزءاً من العام ، فهو من إبداع الله وخلقه ، لا ابتداع الناس وتقديرهم . قال رسول الله ﷺ « جعل الله الأهلّة ، فإذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا فإن غم عليكم ، فأكملوا العدة ثلاثين » .

إن في هذا التفصيل والتحديد في ذلك التقويم ، من جانب القرآن والحديث إشارة إلى وجوب تمسك المسلمين بكل ما أتى به الإسلام وأقره ، كما أن في إبقائه على تاريخ عربي لقوم عرب كانوا يؤرخون به من قديم ، إشارة إلى وضع هذا التقويم وهذا التاريخ موضع التقدير والرعاية .

وكأن القرآن الكريم بذلك أراد أن يجعله مظهراً ، وإطاراً لأمة إسلامية صاعدة ، لها مميزاتها وصبغتها الذاتية . كما أن لها امتدادها البعيد القديم من الزمن بهذا التاريخ وإن كان قد غشيه من أغاليط العرب في الجاهلية ما غشيه . فهو تاريخ الأنبياء من أولهم إلى آخرهم ، وهو التقويم الذي كانت عليه الأمة الإسلامية في قديمها مع مختلف أنبيائها قبل محمد ﷺ فقد أخبرنا رسولنا ﷺ بأن اليوم العاشر من المحرم هو اليوم الذي استوت فيه سفينة نوح عليه السلام على الجودي ، وهو اليوم الذي نجى الله فيه موسى عليه السلام من الغرق ، كما أغرق فيه فرعون وقومه .

فالشهر الهلالي ، والتقويم الهجري ، هو التقويم الديني المعتبر ، والذي درجت عليه الأمة الإسلامية في سابق عهودها ومع مختلف أنبيائها ، وهو المقياس الزمني الملاحظ في التشريع الذي ندين به .

فهو التقويم الظاهر البادي للعيان ، المحدود البدء والنهاية ، المعلوم لكل أحد إذا اختلط الأمر في التواريخ الأخرى واضطرب ، وهو الخالي من كل مظهر وثني ، أو منزع إلى الشرك ، إذا نزعت هذه التقاويم إلى ذلك ، فأسماء الشهور الميلادية ، ما هي إلا أسماء لآلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله أو لبعض ملوكهم الأقدمين . فمثلاً شهر مارس سمي باسم إله الحرب عندهم : (مارش) .

أما شهورنا العربية فقد سميت بأسماء أوقاتها التي صادفتها أول العمل بها . فرمضان ، مصدر رمض يومنا إذا اشتد حره ، وسمي به هذا الشهر ، لأن الصوم

في الالتزام بالتقويم الهجري

عبادة قديمة ، فأول ما صامه آباؤنا الأوائل في عهد الأنبياء السابقين صادف أن كان ذلك في شدة الحر . ويقدم لنا صاحب القاموس تعليلاً آخر هو أنه « مأخوذ من رمض الصائم ، إذا اشتد حر جوفه ، أو لأنه يحرق الذنوب » . ورمضان إن صح أنه من أسماء الله تعالى فغير مشتق ، أو راجع إلى معنى الغافر أي : يمحو الذنوب ويمحقها .

هذه هي المعاني التي من أجلها سميت شهورنا بأسمائها ، وهي معان إن لم تكن ذات مغزى ديني توحيدي ، فقد برئت كل البراءة ، من مسميات الشرك والوثنية في الشهور الأخرى ، وهي إلى جانب ذلك قد اعتبرت أياماً للناس وتاريخاً لحياتهم منذ أن عرفت البشرية الأنبياء كما تقدم . وقد ذكر الإمام أحمد بن حنبل أن رسول الله ﷺ قال : « أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان ، وأنزل الله القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان » وروى ابن مردويه « أن الزبور أنزل لاثنتي عشرة خلت من رمضان » .

وأمام هذا كله ، لا بد من الالتزام بالتقويم الهجري ، تتميماً لصبغتنا ، ومحافظة على وحدتنا وسيماء حضارتنا ومدنيتنا ، فلكل قوم سيماء ، ولكل حضارة صبغة وذاتية بها تتأصل وتثبت . وصبغتنا وذاتيتنا هي في التزام الحكومات الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها هذا التقويم الهجري ليس غير ، كما تفعل بعض الشقيقات العربيات ، ففي الالتزام به إلى جانب ما تقدم رباط يربط البلاد الإسلامية ببعضها إلى بعض ، كما أن فيه إعداداً للشخصية الإسلامية ، وبث الثقة فيها بكل مقومات حضارتها وتقاليدها ، ومن هنا نتمسك بهذه التقاليد كمظهر محمود للتمسك بالدين ضد أي تقليد أجنبي طارىء أو وارد من خارج البيئة الإسلامية ، وحمل النفس على مناقشته ، وقياسه بمقياس الدين فإما أن يفوز ويعتبر متمشياً مع الدين كما هو شأن الإسلام في تمشيه مع حاجات الناس في كل عصر ومصر ، وإما أن يخفق ، ويرفض حسب مبدأ الدين العام « لا ضرر ولا ضرار » .

وهكذا نصل إلى أن الدين يجب أن يكون هو المقياس والميزان (للموضات) والأزياء ، والتقاليد لا أن تكون هي مقياساً له تخضعه بدلاً من أن تخضع له ، فنصل جميعاً ، أفراداً وحكومات ـ عن اقتناع وإيمان ـ إلى أن الإسلام هو الأساس ، وأنه أولاً وقبل كل شيء ، أساس لجميع القيم ، وأنه يسع كل مدنية ، وكل تحضر وتطور في حدود الإيمان ، وفي إطار التقوى والخلق ، وأنه هو الذي يقف من كل ذلك موقف المناقض ، فيحكم عليها بالقبول والموافقة أو بالرفض والامتهان ، بكل قوة واعتزاز .

وهذا هو الرأي العام الإسلامي الذي نريد تكوينه ونسعى إليه ، والذي لا بد من وجوده لكي تنهض الأمة الإسلامية على قدميها ، لأن الرأي العام في كل دولة ، هو دليل حياتها ، ومقياس نهضتها ونور لها يحميها من التخبط والاضطراب .

وفي هذا إحياء للدين في البيئات الإسلامية كلها ، وجلب للتعاطف ، والتناصر ووحدة الشعور بين هذه البيئات فنحقق بذلك قول الرسول ﷺ « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم ، وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .

ألا إن لنا في الالتزام بالتقويم الهجري دون غيره وحدة وعزة ، فلنعمل لتلك العزة والله هو الهادي إلى سواء السبيل .

مواجهة التبشير للنصرانية بين صفوف الطلبة المسلمين

بقلم الدكتور : فاروق مساهل

■■ مع بداية كل عام جامعي جديد ، ومع وصول وفود طلابية من مختلف أرجاء العالم الإسلامي للدراسة وتحصيل العلم في المعاهد والجامعات البريطانية ، يدب النشاط في أوساط منظمات التنصير الصليبية ، التي تعمل وفق خطة ثابتة هدفها تحويل الطلبة المسلمين عن الإسلام ، إلى النصرانية .

عوامل .. تساعد المنصِّرين

ويعتمد هؤلاء المنصِّرون على عدة عوامل يعتقدون أنها تساعدهم على تحقيق نواياهم :

١ ـ عدم إلمام الدارس المسلم إلماماً كافياً باللغة الانجليزية عند بداية دراسته ، خاصة وأن التحدث باللغة مختلف عن قراءتها .

٢ ـ تعاون الجهاز الإداري في المعهد أو الجامعة مع هؤلاء المنصِّرين وذلك بمدهم بالعناوين والمعلومات اللازمة عن الطلبة المسلمين .

٣ ـ إدخال العنصر النسائي في التنصير مما يجعل الإغراء بالجنس فخاً للتورط فيما بعد .

٤ ـ إذا كان المسلم قد ترك بلاده سعياً وراء العلم الحديث في بلاد الغرب ، والنصرانية هي دين الغرب ، إذاً فالنصرانية هي دين الحضارة .

وهذا خطأ فاحش جسيم ، فأغلب علماء الغرب ـ إن لم يكن كلهم ـ إما من اليهود أو من الملاحدة ، ولا يعرفون من النصرانية إلا التعصب ضد الإسلام . كذلك فإن الغرب لم يعرف التقدم العلمي إلَّا حينما تخلى علماؤه عن دينهم ، بينما المسلمون لم يعرفوا الجهل والتأخر إلا حينما تركوا الإسلام !!

٥ ـ بعض هذه المجموعات التنصيرية يتصل بأهل المسلم في بلاده ـ عن طريق المنصِّر أيضاً ـ حتى يكون التنسيق منسجماً .

وتتكرر زيارات المنصِّرين حسب خطة موضوعة لكي تنتهي بتوقيع المسلم بخط يده على إقرار باعتناقه للنصرانية . فإذا ما نجحوا في تنصير المسلم هنا ؛ فإن هؤلاء المسلمين سيعودون إلى بلادهم ويعتلون مناصب هامة فيها ، وعن طريقها يخدمون النصرانية .

تقرير عن التنصير بين صفوف الطلبة المسلمين

ولقد وقع في أيدينا تقرير سري مفصل صادر عن اتحاد الكنائس هنا لتوزيعه على المنصِّرين بين صفوف الطلبة المسلمين ، ويشتمل على لمحة عامة عن الإسلام والمنظمات الطلابية الإسلامية في بريطانيا ، ونبذة عن نشاطاتها ، ثم تعريف دقيق بالطلبة المسلمين وجنسياتهم (إيرانيين وعرب وماليزيين وباكستانيين) وعاداتهم ، وكيفية الاقتراب منهم بقصد التنصير .

وينصح التقرير المنصِّرين بالبدء بالطالب الخالي من اهتمامه بدينه ، لكونه فريسة سهلة ، وفرصة سانحة للمنصِّرين .

ويحدد التقرير طريقة الاتصال بالطالب المسلم بعدم ذكر الدين مطلقاً عند بداية التعرف عليه ، وأن يكون المنصِّر طبيعياً في معاملته له ، سواء أثناء الأكل أو في المختبر أو الملعب ، وأن يظهر اللطف والعطف والتفاهم طوال الوقت ، وألا يسعى إلى قطف الثمرة قبل نضجها فهذا سيؤدي حتماً إلى انهيار المخطط من أساسه .

ويدعو التقرير المبشرين النصارى « بالنفاق » في تعاملهم مع الطلبة المسلمين ، فيطلب منهم أن يكونوا « معتدلين » في علاقاتهم مع الفتيات أمام الطلبة المسلمين ، وأن يتجاهلوا ذكر المشاكل والمنازعات القائمة بين الدول الإسلامية ، وأن يتجنبوا كل حديث عن فلسطين ويتخلوا عن تأييدهم لإسرائيل أثناء مقابلاتهم للدارسين المسلمين ، وأن يتركوا عادات البخل والشح المشهورة عن المجتمعات الغربية ؛ فيدعوا المسلمين إلى زيارتهم في بيوتهم ويقدموا لهم الطعام .

ويركز التقرير الصادر عن اتحاد الكنائس على كيفية الحديث مع الطالب المسلم فيطلب من المنصِّر أن يكون مستمعاً ومنصتاً في أول الأمر لكل ما يقوله الدارس المسلم عن الإسلام ، لأن هذا سيساعده بعد ذلك في جعل المسلم ينصت إليه وهو يحدثه عن النصرانية .

ويعرج التقرير إلى ذكر الخلافات العقيدية بين الإسلام والنصرانية وكيفية الرَّد عليها ، وينتهي بنصح المنصِّرين بإتمام إعلان تنصير المسلم في هدوء وبعيداً عن الضجة والدعاية حتى لا يتسبب ذلك في إحراجه مع أسرته وأصدقائه ، مؤكداً على أن يتم التنصير هنا قبل عودة الطالب إلى وطنه .

تذكير .. ونصح

ولعلَّه من المناسب هنا أن نذكِّر الطالب المسلم الوافد للدراسة ببعض الأمور المتعلقة بموضوع التنصير ، ثم بعد ذلك نتقدم بالنصح للمسؤولين في البلاد الإسلامية كافة

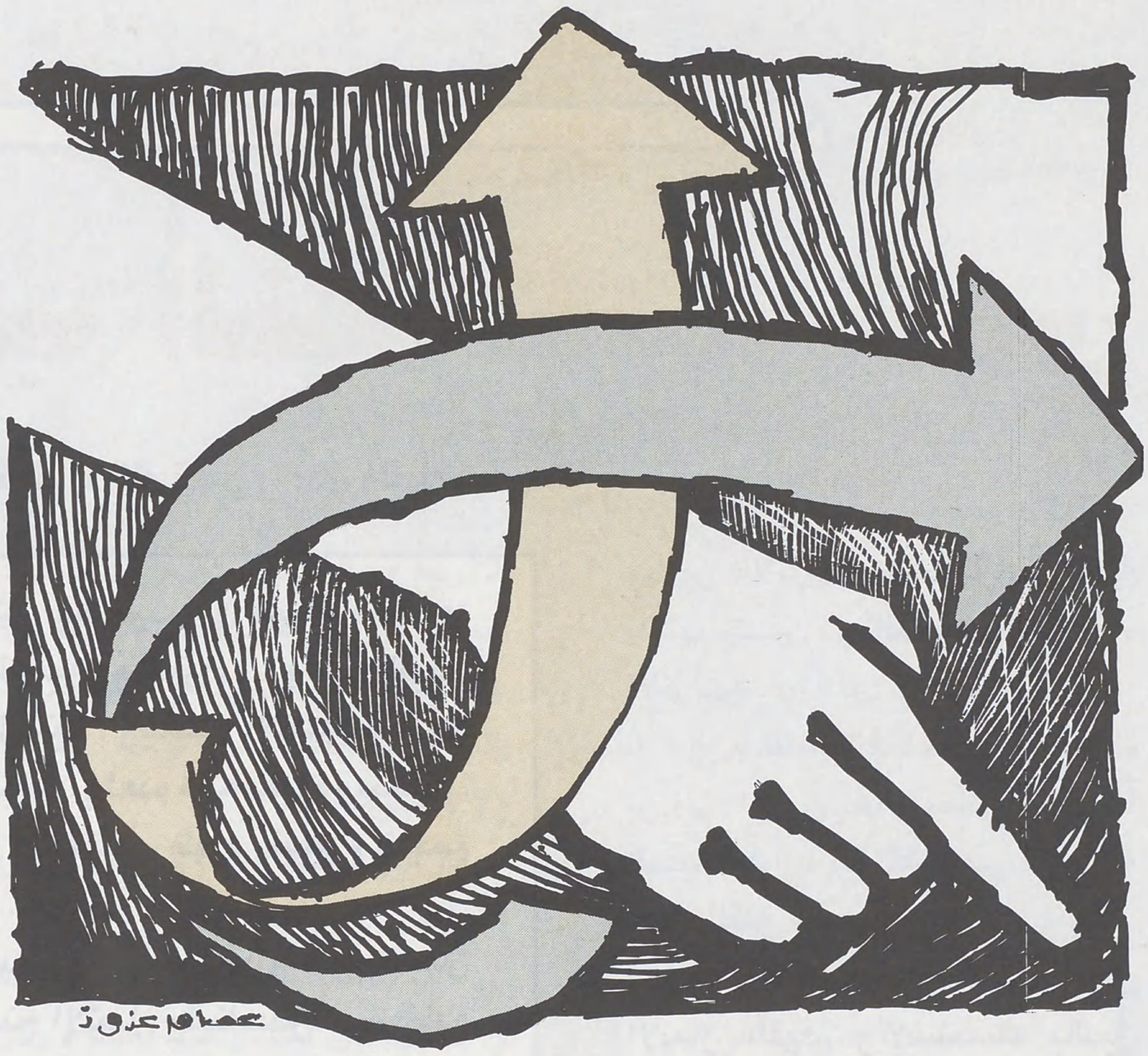

التي ترسل أبناءها إلى بلاد الغرب للدراسة والتدريب .

أولاً ــ للطـــــالب :

١ ـ على الطالب المسلم أن يعلم جيداً أن مكوثه خارج وطنه للدراسة إنما هو لفترة محدودة يعود بعدها إلى بلده المسلم ليساهم في بنائه وتقدمه ، وعلى هذا فكلما تفرغ لدراسته قصرت مدة غربته عن بلاده .

٢ ـ على الدارس أن يعلم يقيناً أن عقل المسلم هو أرقى وأنقى وأفضل عقلٍ على سطح هذه البسيطة ، والسبب هو قبول هذا العقل لوحدانية الله سبحانه وتعالى ، وأن الإسلام يحثُّنا ويشجعنا على استعمال عقولنا فيما يفيد هذه الإنسانية الضَّالة ، بينما تقوم المعتقدات الأخرى (ومن بينها الديانات السماوية التي انحرفت عن طريق الله الواحد) بالاستهزاء والسخرية من عقولنا بل وبتحقيرها ، فالعقول المريضة المعتلة هي التي تصدّق بالتثليث أو بمصارعة إنسان لله جلَّ وعلا ، وما إلى ذلك مما لا يستقيم مع المنطق والتفكير السويّ .

٣ ـ وبناء على هذا فإن ما يراه الدارس أمامه من نهضة وتقدم حضاري إنما هو حدث مؤقت لا يصح أن ينبهر بـه ، فلولا حضارة الإسلام لما قامت حضارة الغرب ، وبينما كانت في بغداد ودمشق والقاهرة حضارات مزدهرة كانت لندن عشيشاً خرباً وحلاً ، وبينما كانت شوارع قرطبة تضاء بالأنوار ، ومساجدها عامرة بالمؤمنين والسَّاعين وراء العلم والمعرفة ، كانت باريس تعيش في ظلمات الليل والجهل ، واعتقد ملكها الساعة الرملية التي أهداها له الخليفة هارون الرشيد ضرباً من ضروب السحر والشعوذة .

فالدنيا سجال ، وما هي إلاَّ أن يفيق المسلمون من غفلتهم وترجح الكفَّة لصالحنا بمشيئة الله .

٤ ـ على الطالب المسلم أن يستمر في تقوية وتوطيد علاقته بالله سبحانه وتعالى ، وأن يداوم على حضور حلقات الذكر في المساجد والمراكز الإسلامية المنتشرة في أغلب المدن الغربية ، وأن يعاون إخوانه هناك فيما يعود على نفسه وعلى إخوانه ودينه بالنفع والفائدة ، وليعلم أن في الوحدة والترابط منعة وقوة ، فالذئب لا يأكل من الغنم إلا القاصية .

٥ ـ أن يعتذر لضيق وقته عن لقاء هؤلاء المنصِّرين في بيته ، وأن يتحاشى كل اقتراب مقنَّع منهم .

ثانيـاً ــ للمســؤولين :

١ ـ أجمع كل من قابلتهم هنا من المبعوثين على أن وجودهم هنا للدراسة لا ضرورة له ، فالمشرفون الأجانب غير مخلصين في إشرافهم عليهم ، والأجهزة معدومة أو ناقصة أو تالفة ، وإن ما يصرف على كل مبعوث يكفي لشراء أجهزة حديثة في بلده لا تكفي الطالب وحده بل وتفيد الآخرين أيضاً .

بل والأدهى من ذلك وجود بعثات لدراسة الشريعة الإسلامية في جامعات غربية ، أو لدراسة أدب شكسبير ومسرحياته ، أو دراسات فلسفية يقضي الدارس كل وقته في قراءة الكتب في مكتبة الجامعة .

ونحن نتوجه إلى المسؤولين أن يتقوا الله سبحانه وتعالى فيما يؤتمنون عليه ، وألا يبعثروا أموال المسلمين التي يستحقونها في غير ما منفعة ، وأن يريحوا الدارسين من كل هذه المشقات وحتى لا يكونوا هدفاً يسيراً للمنصِّرين في هذه البلاد ، وباختصار لا داعي البتة لبعثات يمكن إنجاز دراساتها داخل الوطن أو في أي مكان إسلامي آخر .

٢ ـ أن يداوموا الاتصال بالدارس طوال مكوثه خارج وطنه ، وأن يحلوا له مشاكله كافة حتى لا يشعر بالاغتراب والوحدة .

٣ ـ أن يعلموا جيداً أن المسلم هو الوحيد الذي يخدم وطنه وأمته لارتباطه بأرضه ، فإن أرادوا إيفاد البعثات للدراسة إلى بلاد الغرب أو غيرها فلينتقوا الصالحين منهم ، وأن يسهلوا لهم أمورهم هنا ، ويشجعوهم على المحافظة على دينهم والالتزام بهديه ، والتمسك بأخلاقياته ...

وبعـــد ، فلعلي أختم كلمتي هذه بالقول بأن شبابنا وإخواننا الطلبة والدارسين الذين يتشرفون بحمل أفضل رسالة لهداية الناس أجمعين ، لهم على مستوى رفيع ، وكلهم ثقة واطمئنان بأن المستقبل لهذا الدين الحنيف ، بل لعليّ أقول بأن العديدين منهم الذين ووجهوا بهذه الحملة التنصيرية : شعروا بالخجل لعدم إلمامهم ببعض جوانب دينهم ، فانكبوا ينهلون منه ، ويستزيدون من نبعه الذي لا ينضب ولا يجف ، وعادوا إلى بلادهم والفضل لله سبحانه وتعالى أشدّ إيماناً وأقوى يقيناً .

ولهؤلاء المنصِّرين المتعصبين أقول : لقد وعدنا ربنا حقاً ، أما أنتم .. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ (الأنفال : ٣٦) .

وصدق الله العظيم

الإيمان والطب النفسي

بقلم : الدكتور عز الدين فراج

■■ نعيش الآن في عالم متأثر مضطرب ، في صراع دائم بين مختلف الطوائف .. بين الأغنياء والفقراء .. وبين البيض والسود .. وبين الطوائف الدينية ، ويعيش الإنسان أيضاً في صراع مع نفسه لعدم إيمانه بالله ، ولعدم ثقته بغيره وبنفسه ، يعيش يلهث وسوط المادة من خلفه يلهب ظهره ، ليسرع في جمع مال أو اغتصاب حق لآخر ...

كل هذه الأعراض تتعلق مباشرة بالحياة المحرومة من الإيمان بالله ؛ إن هذا الإيمان بالله يمنح الإنسان يقيناً جباراً ، يستطيع بواسطته مواجهة أعتى المشكلات والصعاب ، فهو يجاهد في سبيل هدف أعلى ، ويغض بصره عن الأهداف الدنيئة القذرة .

والإنسان بحاجة إلى عقيدة الإسلام ، لتكون الشاطىء الذي يأوي إليه ، والركن الذي يعتمد عليه إذا ألمت به الشدائد ، وحلت به المصائب ، أو خاب أمله في موضوع ما ؛ عندئذ تأتي العقيدة الإسلامية فتمنحه القوة بعد الضعف والأمل بعد اليأس ■■

والذي يعيش في هذه الدنيا بغير عقيدة الإيمان بالله ، يرجع إليها إذا تتابعت الخطوب وحلت الكروب ، فإنه يعيش مضطرب النفس حائر الفكر ، مشتت الذهن ، وأمثاله كذلك يتعرضون أكثر من غيرهم للقلق النفسي والتوتر العصبي والاضطراب الذهني ، وهم ينهارون بسرعة إذا حلت بهم النكبات والمصائب والخطوب .

هذا ما يؤكده علماء علم النفس ؛ وفي هذا الصدد يقول البريطاني « **أرنولد توينبي** » وهو أحد فلاسفة مؤرخي العصر الحديث : « **الدين إحدى الملكات الضرورية للطبيعة البشرية .. وحسبنا أن نقول بأن افتقار الإنسان للدين يدفعه إلى اليأس الروحي** » .

إن الذي يعيش بغير دين وبغير عقيدة ، وبغير إيمان بالله واليوم الآخر إنسان محروم شقي ، إنه مخلوق يعيش ثم يموت من غير أن يعرف هدفاً في الحياة ، أو يدرك سر الوجود .

الإيمان علاج القلق

وتجارب التاريخ والحياة الواقعية تنطق بفضل الإيمان بالله وضرورته للإنسان ، فهو ضروري له ليطمئن ويسعد ، وضروري أيضاً للمجتمع ليستقر ويتماسك ويرقى .

والنفس المحرومة من العقيدة الدينية لن تنتهي به إلا إلى الخوف واليأس والقلق ، وهذه بدورها تنتهي به إلى أمراض عصبية ونفسية ، وعلماء النفس يحللون الأمراض النفسية والعصبية ولكنهم ينسون دور العقيدة في علاج هذه الأمراض .

« إن أعظم علاج للقلق هو الإيمان »

إن المرء المتدين حقاً لا يعاني قط مرضاً نفسياً ؛ يقول « **ديل كارنيجي** » في كتابه « **دع القلق وابدأ الحياة** » :

« **إن أطباء النفس يدركون أن الإيمان القوي والاستمساك بالدين كفيلان بأن يقهرا القلق والتوتر العصبي وأن يساعدا على الشفاء من الأمراض** » .

إن الإيمان بالله يعطي الإنسان محركاً للأخلاق الطيبة وهو مصدر قوة للعقيدة ، والعقيدة قوة محركة عظيمة لا توزن بأي ميزان .

وقد قرر علماء النفس ، أن الإيمان أهم عامل من عوامل شفاء الأمراض النفسية ، كما أنه خير وقاية منها ، ويقول « **وليم جيمس** » أستاذ الفلسفة بجامعة هارفارد :

« **إن أعظم علاج للقلق ولا شك هو الإيمان** » .

والتوكل على الله لا ينافي أخذ الحذر من كل ما يضر قال تعالى :

﴿ **يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ** ﴾

وأمر بحفظ النفس فقال :

﴿ **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ﴾ .

ويؤكد علماء النفس أن لا شيء يملأ نفس الإنسان بالسعادة قدر الإيمان بالله ... فالإنسان المريض نفسياً يرتاح عندما يتجه إلى طبيبه يشكو إليه آلامه ، فيستمع إليه ويرفه عنه ويعده بمساعدته والخلاص مما هو فيه ؛ فما بالك لو أنه

لجأ إلى الله سبحانه وتعالى ، وآمن به وهو القائل لرسوله ﷺ :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ .

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ .

الصبر مفتاح الفرج

ولعل أروع ما يثير في النفس الراحة والاطمئنان : الاستماع إلى قول الله سبحانه :

﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ﴾ .

﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً ﴾ .

نادى علم الطب النفسي مرضاه بالصبر ، لأن عدم صبر الإنسان يصيبه بأخطر الأمراض النفسية ، ولا شك أن ما قيل عن ذلك ليس بجديد ، بل سبقه قول نبينا الكريم **محمد** ﷺ : « **ما رزق الله عبداً خيراً له ولا أوسع من الصبر** » .

أما في المجتمع الذي نعيش فيه فعلى كل فرد أن يساعد أخاه ولو بكلمة طيبة . « **يسروا ولا تعسروا ...** » « **بشروا ولا تنفروا ...** » .

هذه « **وصفة** » لا لفرد فقط ، بل للمجتمع بأجمعه .. هذه أجل وصفة لإشاعة الراحة النفسية الدائمة ، إن مجرد سماع كلمة يأس أو إضعاف الهمم يؤثر تأثيراً قوياً وعميقاً ، قد يغير من ضغط الدم صعوداً وهبوطاً ، وقد تحل بالإنسان نوبة قلبية .. ولهذا يجب الترويح عن النفوس بما يملأ القلوب أملاً وسروراً : ولهذا قال **النبي الكريم** ﷺ عبارته المعروفة : **بشروا ولا تنفروا ...** وقال أيضاً في قضاء الحاجات : **يسروا ولا تعسروا ...**

قال **أبو سعيد الخدري** : قال **رسول الله** ﷺ :

« **إذا دخلتم على المريض فنفسوا له في الأجل فإن ذلك لا يرد شيئاً** » وهو تطييب لنفس المريض ، وفي هذا الحديث إرشاد إلى ما يطيب نفس المريض من الكلام الذي تقوى به طبيعة المريض ، فتساعده على تخفيف علته ، إذ أن إدخال الطمأنينة على نفس المريض من أهم أسباب الشفاء .

ويوصي أساتذة علم النفس بأن يشغل الإنسان نفسه بالعمل اليدوي ، إذا ضاقت نفسه وزاد همه ، لأن هذا العمل يملأ نفسه وفكره ويبعده عما يؤلمه ويفكر فيه .

إن لبدنك عليك حقاً

ومن الجانب الآخر نجد إنساناً يعمل ويعمل ولا ينقطع عن العمل ، ولو تأمل في أمر استعجاله الزائد لوجد أن ذلك يستهلك أعصابه وحياته سريعاً ، فلا يحقق ما يصبو إليه في نهاية الأمر ، وقد عالج ذلك رسول الله ﷺ بقوله منذ أربعة عشر قرناً من الزمان :

« **إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى** » .

وينصح النبي الكريم لحماية الإنسان من الإجهاد والإرهاق فيقول : « **إن لبدنك عليك حقاً ...** » .

حتى في الدين طالب بالاعتدال ، فعندما سمع **رسولنا الكريم** ﷺ بعض المسلمين يقول :

أنا أصلي الليل ولا أرقد أبداً ، وأصوم الدهر ولا أفطر أبداً ، وأعتزل النساء ولا أتزوج أبداً ... ردّ النبي ﷺ قائلاً :

« **أنا أتقاكم فأنا أصلي وأصوم وأتزوج ، فمن رغب عن سنتي فليس مني ...** » أو كما قال .

ويريد بذلك عدم الإرهاق في شؤون العبادة .. فمن باب أولى أن ينهى عن الإرهاق في شؤون الدنيا ، فالإرهاق طريق يضعف الأعصاب وقد يحطمها .

ولهذا أيضاً جاء في أحد أحاديثه الشريفة :

« **إن الرفق لا يكون في شيء إلّا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه ...** » أي : عابه .

قاتل الله الغضب !!

حذَّر نبي الإسلام **محمد** ﷺ من أثر الغضب المتكرر على النفس والأعصاب والأمراض النفسية فنصح قائلاً :

« **ما من جرعة أعظم عند الله من جرعة غيظ كظمها عبده ابتغاء وجه الله** » .

وقال أيضاً :

« **ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب** » .

وعالج أيضاً بعض حالات الغضب قائلاً :

« **إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس يذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع** » .

وقال أيضاً :

« **ما على أحدكم إذا ألح عليه الهم إلّا أن يتقلد قوسه** » والمقصود هنا : أن يعمل عملاً .

قصة قصيرة

الحصاد

■■ اتكات بمرفقها على وسادة وثيرة بعد ان ادت صلاة المغرب وتسلل الهدوء النفسي متعانقاً مع الشعور بالرضا إلى كيانها ، فاكتسى وجهها الجميل القسمات بالضياء والدّعة .

راحت تجول بعينيها الواسعتين الصافيتين ، وتمر بهما بإمعان على ما حولها .. منزل حبيب إلى نفسها ، لا ينقصه شيء من متاع الدنيا ولا تغادره البركة .. عرفتها السعادة منذ دخلته وما فتئت تظللها كشجر وارف عَبق .. رنت إلى اعلى ، فنفذ شعاع من عينها الحوراء وتسلل من نافذة علوية إلى السماء .. فهمست :

— الحمد لله .. الحمد لله الذي مَنَّ عليَّ بزوج صالح حنون .. مؤمن كريم .. عوَّضني عن سنوات شقاء مضت .

ورغماً عنها . صحت الذكرى .. فهبت كرياح خماسينية صفراء على صفائها وسكينتها . رات نفسها عروساً صغيرة تُزف إلى ثريٍّ من اثرياء المدينة تحيطها نظرات الزهو والفرح من اهلها ، وبعض نظرات حاسدة من صويحباتها .. لكن شعوراً غامضاً داخلها كان يطيح بكل إحساس بالفرحة يوشك ان يعتريها حينئذ .. لماذا هذا الشعور المتجهم الغامض ؟ لم تدر وقتها .. لكن الأيام كشفت لها كلَّ شيء .. زوج ضعيف الإيمان .. كل همه في حياته ان يجمع المال باية وسيلة .. لا يميز بين حلال وحرام .. فالمال في حياته كل شيء .. يسمي الأشياء بغير مسمياتها .. فالربا عنده تجارة ، واحتكار السلعة مهارة ، والبخل الشديد حرص وتدبير ... والغيرة العمياء حب ومحافظة ..

انتفضت تتحسس خدها حين تذكرت يده الغليظة وهي تنهال على وجهها بصفعات جنونية حين قالت له ذات مساء مرشدة ومحذرة :

— إن مال الربا حرام .. والحرام يذهب بالحلال .. ثم إنك لست فقيراً !!..

لم يدعها تسترسل ، احاله شيطانه إلى وحش شرس انهال عليها صفعاً قائلاً :

— اخرسي ايتها الكئيبة الغبية العاقر .. منذ تزوجتك وانا في فشل مستمر .. وكانك اتيت بالنحس معك .. قلَّ كسبي ، وبارت تجارتي ، حتى اوشكت ان اصبح فقيراً معدماً .

انكمشت على نفسها حينئذ ، ولم تشا ان تقول له ما قالته دموعها . « إنك اغنى اغنياء المدينة ، لكن ثراءك لن ينفعك ولن يدوم طويلاً .. » وآلت على نفسها ألا تاكل غير الخبز الجاف .

غشى استرجاعها الجبري لاحداث سنوات مضت ، ضجيجُ مرحٍ يصدر من فتية واطفال في الحواري والأزقة المجاورة .. فهمست وهي تمسح دموعاً تساقطت على وجنتيها :

« لعل هلال العيد قد ظهر .. آه .. مَرَّ رمضان سريعاً .. وشوال سريعاً ، وذو القعدة سريعاً .. واغلب الناس لا يتعظون .. » .

نهضت وتشاغلت بملابس زوجها الأنيقة الجديدة تحيك بعض ازرارها وهي ترنو إلى ملابس اخرى جديدة اتى بها زوجها ليعطيها لمن يحتاجها .. فطاردتها الذكريات بعنف .. قارنت بين زوجها الكريم الذي لا يعد من الأثرياء ، وزوجها السابق الثري الشحيح ..

كان زوجها الأول يأمرها ان تحيك سراويله مراراً وتملأها بالرقع .. ويمر حَوْلٌ او أكثر حتى يفكر في ان يرتدي سروالاً جديداً .. وياتي لها بجلباب شحيح على نفسه في كل شيء إلا في الطعام .. كان يعتقد انه بالتهامه دجاجتين كل عشاء وانكبابه عليهما كفهد شرس سيوقف مرور السنين على شبابه الغارب .. تذكرت قوله .. وهي تنظر إليه متافقة ذات مساء وهو يعقب الدجاجتين بحبات التفاح ينهشها بشراهة مقززة ، بينما تكتفي هي بكسرات من الخبز الجاف وجرعة لبن .. قال لها حينئذ وكأنه يشجعها على ألا تاكل أكثر من هذا :

— انت لا تحتاجين إلى غذاء مثلي .. انت يا صغيرتي الجميلة .. صبية ناضرة ، اما انا ، فقد انهكني الكفاح والسفر من اجل تجارتي ورزقي ...

آه .. ما بال هذه الذكريات الكئيبة تصحو من رقادها لتنغص هداتي وتكدر صفائي .. لماذا اليوم بالذات ؟

سنوات اربع عاشتها مع زوجها الحالي لم تهاجمها الذكريات إلا لماماً ولهنيهات قليلة .. ثم تردها بتركيزها على التفكير في هنائها الحاضر ونِعَمِ الله التي حباها إياها .. وسنوات اربع عاشت خلالها من قبل ثيباً مطلقة ، حينما حاصرته بنصحها وإرشادها كي يرجع إلى الله ويتقيه في تجارته ويقنع برزق حلال ويذهب بمال الربا إلى مصادره .. قبل أن يذهب الربا بكل ماله .. لم يطق الشحيح ما أسماه بنكدها الدائم .. طلقها وهو يصرخ :

— أريد زوجة صالحة . تشاركني بأفكارها ومشورتها وجهودها في تنمية ثروتي لا في إتلافها وإفقاري ..

— اعوام أربعة لم تطاردها الذكريات الشرسة كما تطاردها هذا اليوم .. جلست منهكة .. وكانها بذلت مجهوداً شاقاً .. مكدرة الصفاء .. لماذا هذا اليوم بالذات .. تنتابني هذه الذكريات ؟ .. اتجهت إلى حيث الماء .. توضأت .. امسكت بالمصحف تتلو آياته .. ورويداً رويداً زال غبار الذكرى .. بدت صفحة وجهها هادئة .. سمعت حركة قريبة من باب الدار .. فُتح الباب .. دخل زوجها .. استمرت في القراءة .. ابتسم زوجها وانتظر بعيداً حتى سمعها تقول : « صدق الله العظيم » وتقبل المصحف وتضعه برفق على منضدة بجوارها ..

ردت على تحية زوجها الذي اقترب منها وربت على كتفها قائلاً :

— كل عام وانت بخير يا زبيدة .. هَلَّ الهلال يا زوجتي الصالحة . آن لنا ان نستعد للحج .

[تركت مرفقها ليده الحانية قائلة وهي تنهض] :

— وانت وكل المسلمين بخير وسلام يا عبد الله .

— هيه .. هل أعددت العشاء ؟

— اجل .. ما طلبته . انتقيت اكبر ديك في الحظيرة وأعددته كما تحب بالهناء والشفاء .. ولن اغضبك اليوم .. سآكل نصفه وانت النصف الآخر كما تريد دائماً .. لقد اعددت نفسي لهذه الوليمة ، فلم اتناول غدائي ..

[قهقه الزوج وهو يتحرك نحو الماء ليغسل يديه استعداداً للطعام .. بينما اتجهت هي لتفتح اكياس الفاكهة التي اتى بها .. قال زوجها وهو يجفف يديه] :

— علينا ان نسافر غداً إلى مكة المكرمة يا زبيدة ..

بقلم : أحمد محمود مبارك

حفظك الله لنؤدي معاً فريضة الحج .

[ابتسمت منتشية وهي تحمل اواني الطعام والثريد قائلة] :

ـ ليغفر الله لك يا عبد الله .. وجزاك عني خير الجزاء !..

جلست مع زوجها استعداداً للطعام . وقبل ان يشرعا في تناوله ، سمعا طرقاً على الباب .. نهض زوجها وفتح .. صوت واهن يطلب إحساناً .. تهلل وجه الزوج ... رحب بالطارق وجذبه بحنو إلى الداخل ، بينما تعثر الرجل في خطواته وهو يحرك عصاه التي يستند عليها ولا يكاد يبصر ما حوله ..

كانت الزوجة تهم بالنهوض ، لكنها لمحت هيئة الرجل القادم فوجمت .. جلست . لم تقو على النهوض .. جحظت عيناها وهي ترنو إلى الرجل ، ثم انحنى راسها ليلمس صدرها منكمشاً ومحاطاً بمرفقيها .. بينما أسرع زوجها إلى الطعام المعد ..

احاطه بلفافات محكمة .. انصرف الرجل بعدما جاهد قليلاً في ان يركز شعاعي عينيه الواهنتين محاولاً رؤية وجه صاحب المنزل او ما حوله ..

وعاد الزوج إلى زوجته ، فوجىء بحالها .. احاط ظهرها بيديه ..

ـ ماذا بك يا زبيدة ؟

[اجابت وهي على وضعها نفسه] :

ـ لا شيء يا عبد الله .. لا شيء .

[رفع وجهها بحنان] :

ـ ماذا حدث يا زبيدة ؟ ماذا بك ؟

ثم قال وهو يضحك مازحاً ..

ـ اأغضبك انْ اعطيت الديك لسائل ؟ لم اطلب منك إعداد آخر .. سأذبح انا ديكاً واعده لك طعاماً شهياً في دقائق قليلة ..

رفعت راسها ونهضت بتثاقل وهي تتجه نحو غرفة اخرى .. سمع نحيبها وهي تسير .. أسرع نحوها :

ـ لا يا زبيدة .. اكيد ان في الامر شيئاً .. اخبريني .. ماذا بك ؟

[نظرت إلى وجهه والحيرة تكسوه وتركت يدها في يديه] :

ـ امر غريب يا عبد الله . لقد اعترتني هذا اليوم مشاعر غريبة .. وسيطرت على عقلي ذكريات محزنة .. الآن تبين لي كل شيء ..

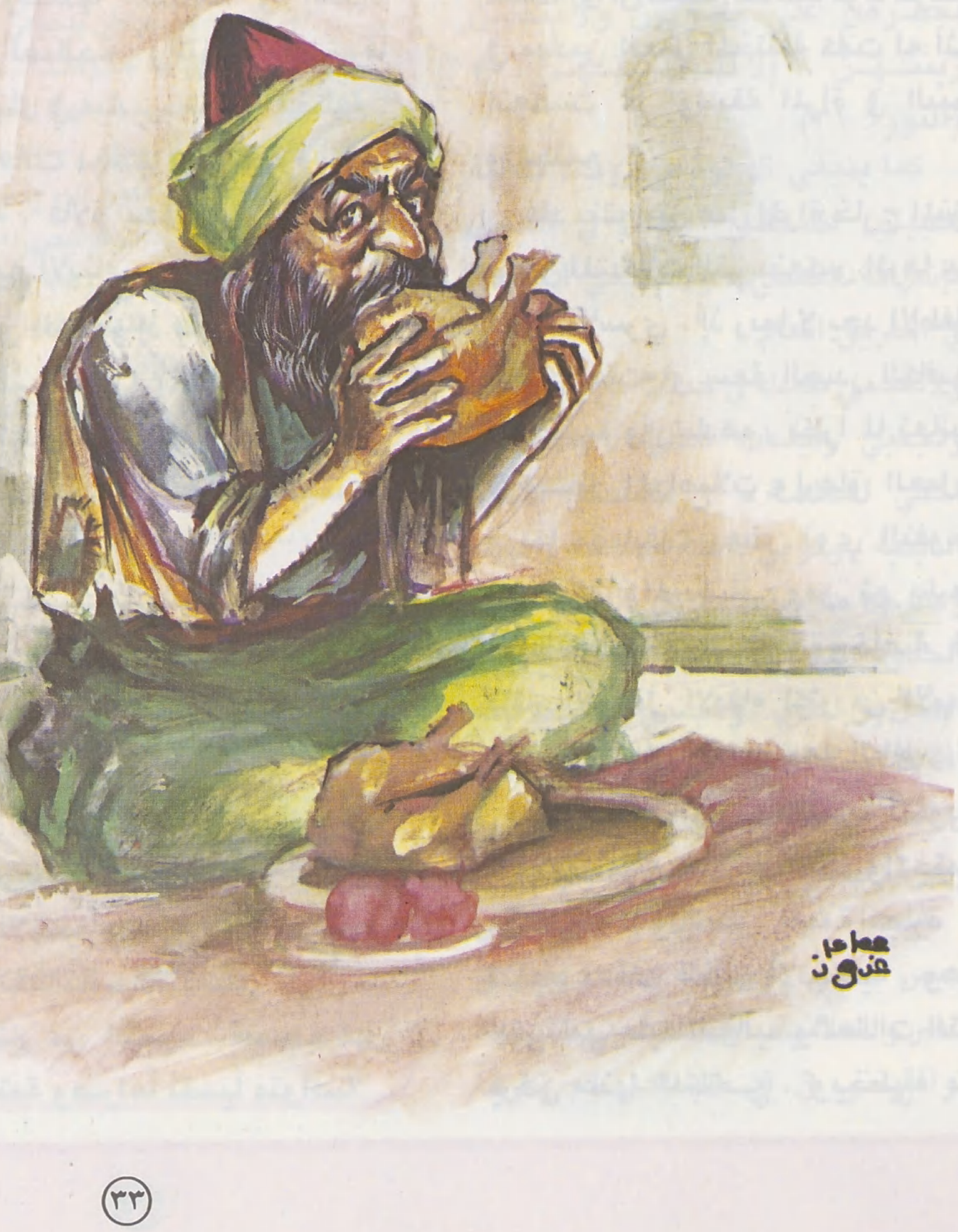

لم تبدد كلماتها حيرة زوجها .. سار بها قليلاً واجلسها إلى جواره وتساءلت عيناه من جديد ..

فاجابت :

ـ عبد الله .. اتدري من هو الرجل الذي اعطيته الديك ؟ إنه زوجي السابق ..

[... قطب جبينه في شبه تامل وذهول .. وتحركت شفتاه بغير كلام] ..

فاسترسلت :

ـ والأغرب من ذلك .. آه .. انني ادركت الآن مغزى كل شيء .. الأغرب من ذلك انني في آخر عام كنت فيه زوجة له .. وفي مثل هذا الوقت .. وهذا اليوم .. تماماً .. في يوم ظهور هلال ذي الحجة .. طرق بابنا سائل ، وكان زوجي يتناول طعامه وحده وامامه دجاجتان .. فنهره وطرده شر طردة .. وجلس ينهش في لحم الدجاجتين كالفهد الشرس ..

تحركت عينا زوجها وغامتا وكانهما تغوصان في ذكريات سنوات بعيدة .. وقال وهو يمسح دموع زوجته ..

ـ منذ متى كان هذا الأمر يا زبيدة ؟

[اجابت بصوتها المتهدج] :

ـ منذ ثمانية أعوام .. في آخر عام كنت فيه زوجة له ..

بذل جهداً كبيراً كي يحاول ان يخفي اضطراب مشاعر سيطرت عليه ، وتحرك قليلاً في الغرفة وهو يقول : « لا حول ولا قوة إلا بالله » ..

ـ اين كان منزلكما .. حينئذ يا زبيدة ؟

ـ اجابت وقد اعترتها دهشة جديدة .. من جراء أسئلة زوجها المتواصلة المضطربة :

ـ كان في زقاق عال من ازقة الشعاب التي يسكنها بنو هلال ..

صمت .. وصمتت .. وتوجه نظره ـ دون قصد منه ـ إلى النافذة العالية .. تمتم وهو يرنو إلى السماء الصافية المتالقة بظهور هلال شهر كريم ..

ولما رات دموعه تتساقط .. كبرت دهشتها واعترتها سحابات حزن .. وتولد لديها بسرعة الضوء استفسار مُلحّ .. ولكنها لم تستطع النطق به .

اجاب وكانه قرا سؤالها المكتوب على صفحات وجهها وشفتيها :

ـ اتعرفين من هو الرجل الذي طرق بابكما في مثل هذا اليوم منذ ثمانية اعوام يا زبيدة ؟

[رفعت راسها إليه تريد الإجابة .. فاسترسل بصوت متهدج باك] ..

ـ إنه انـا .. زوجك عبد الله ..

شهقت .. وارتفع صوتها بالنشيج وجرت إليه ، فارتمت على صدره .. ضمها إليـه .. وتلاقى نشيجهما واختلطت دموعها بدموعه .

من قضايا الأســرة

المشاكل النفسية للمرأة العاملة

بقلم : آمال عبد الرحمن محمد

■■ تواجه المرأة العصرية بعض المشاكل النفسية بعد أن طرقت ميدان العمل ، لاسيما في البلدان التي أصبح فيها عمل المرأة من الأمور الأساسية ، حيث تتعرض المرأة لسوء التوافق نتيجة لعوامل من أظهرها أن يترتب على عملها خارج المنزل حرمانها من أداء رسالتها الطبيعية ووظيفتها الأساسية وهي الأمومة ، وأن تتولد في نفسها صراعات بين مغريات الحياة العامة خارج المنزل وبين حنينها إلى الاستقرار وبناء بيت تكون فيه الزوجة والأم ، وتؤدي رسالتها المقدسة في إعداد الأجيال الصالحة ، والتي لا تقل شرفاً عن النضال في ميادين العمل المختلفة ، بل ربما كانت مهمتها أشد خطراً وأكثر حساسية ، فالام معهد التربية الذي يتربى فيه الأبناء .

وصدق الشاعر إذ يقول :

الأم مدرســة إذا أعددتها

أعددت شـــعباً طيب الأعراق

العمل والأمومة

والمقرر والمعروف أن المرأة لا يكتمل نموها الجسمي والنفسي إلا بالأمومة ، ولقد أكدت الأبحاث أن المرأة العاملة أبعد عن الاتزان الانفعالي من الرجال ، وكل تلك سمات تؤثر في مناخ المنزل ، ذلك لأن الاختيار بين البيت وبين العمل مشكلة انفعالية حادة تشغل المركز من قلوب كثير من النساء ، فتسبب لهن حيرة دائمة وصراعاً نفسياً متواصلاً .

إنه اختيار بين بيت وأطفال ، مع التضحية ببعض معالم الحياة التي تتوق إليها المرأة ، وقد لا تكون المرأة شاعرة طوال الوقت شعوراً واضحاً بما يولّده هذا الموقف في نفسها من صراع ، لكنه صراع يكون له في الواقع أثر عميق في شخصيتها .

من مشكلات عمل المرأة

ولاشك أن هذا الواقع الجديد للمرأة الذي بدأ في انتقالها من مجرد حارسة للبيت إلى أن تصبح منافساً قوياً للرجال في ميادين العمل المختلفة كانت له آثار انعكست على وظيفة المرأة في البيت والمجتمع .

فقد ينتج عن عمل المرأة خارج المنزل بعض المشكلات التي ينعكس اثرها على المناخ الأسري ، إذ ربما لا يجد الأطفال لديها الوقت أو سعة الصدر الكافيين لتوجيههم وإرشادهم ، نظراً لما تعانيه في وسائل المواصلات وإرهاق العمل ، وربما مضايقات بعض ذوي النفوس الضعيفة والمريضة ، ومن ثم يشعر الأبناء بجفاف الحنان ، وخاصة أن تأثير الأم على الأبناء أكثر من الأب ، لانها أول كائن يتفاعل معه الطفل .

فالأم حجر الزاوية بالنسبة لتكوين العلاقات الإنسانية بين الطفل والمجتمع من حوله ، وللحنان أهمية كبيرة في تنمية علاقات الطفل الإنسانية ، وهي التي تملي عليه التقاليد والعادات التي يرضى عنها المجتمع ، ويخطىء من

التجربــة والخطــأ

□□ عنـدما تتنـاول بعض الاخبـار او الموضوعات - التي تنشر تحت عنوان هذا الباب - ظواهر سلبية او تجارب فاشلة في العلاقات الاجتماعية والأسرية في المجتمع الغربي ، فإننا لا نهدف من وراء ذلك إلى أن نعقد مقارنة لإظهار مجتمعـاتنا عـلى انها الافضل ، ثم نركن إلى هـذا ولا نلتفت إلى عيوبنا ؛ فالحقيقة أن معظم هذه السلبيات هي بعض امراض مجتمعنا ، وإنما ننشرها لكي نكشف عن اصل مصدرها ونحذر من مخاطر الاستمرار في تقليد كل ما هو غربي والإصرار على استيراد القيم والسلوكيات ضمن ما نستورده من السلع المختلفة ، وقد يكون النظر في نتائج التجارب الفاشلة التي انتهى إليها الآخرون ما يضمن - إلى حد بعيد - عدم الوقوع فيها ..

وفي هذا الإطار ، نشير إلى كتاب - يباع الآن في الأسواق الأمريكية - تحت عنوان ، تاريخ خروج المرأة للعمل في الولايات المتحدة ، لمؤلفته ، اليس كيسللر هاري ، تقول فيه : إن ما تحقق للمراة من مساواة بالرجل في مجال العمل قد اعطاها قدراً زائداً من الحـرية والاعتماد على النفس .. نتج عن ذلك مشكلات جديدة اساسها انفصال المراة عن الكيـان الأسري ، وظهور حواجز بين الرجل والمراة داخل هذا الكيان ، كما نشا عنه تفكك العلاقات الأسرية ... ولأن هذا كله خارج عن طبيعة المراة فإنه قد اوقعها في معاناة نفسية شديدة وإرهاق عصبي .. وكان الثمن الذي دفعته المرأة العاملة مقابل ما توهمت انه اهم حقوقها : انتشار الأمراض النفسية والعصبية بين النساء في القرن العشرين وإقبالهن على تعاطي المهدئات حتى يستطعن تحمل تلك الضغوط .. □□

يتصور الأم مستودعا للّبن ، فهي التي تكوّن عند الطفل الضمير ، وهي تلقنه أول درس في الأخلاق فينبغي عليك - اختي المسلمة - أن تلقنيه الصالح .

وقد تواجه الأم العاملة مشاكل في تربية الأبناء مع الخدم أو في دور الحضانة ، وربما أدّت ظروفها إلى تقصيرها في حق الزوج وأداء الواجب الديني .

واجبات المرأة العاملة

أما إذا لم يكن هناك بد من عملك خارج المنزل فعليك - اختي المسلمة - أن ترتدي زياً إسلامياً ، وتتجنبي أن تسترعي انتباه المارة بضحكاتك الثقيلة وحركاتك الرعناء ، ولاتجعلي أجمل ثيابك للعرض في الشوارع ومجالات العمل كما لو كنت أنموذجاً متنقلاً لعرض الأزياء ، فاذا رجعت إلى بيتك انخلعت من الجمال الى القبح ليراك زوجك قبيحة ... عملا بقوله تعالى :

﴿ وقُل لِلْمُؤمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أبْصارِهِنَّ ويَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ولايُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلّا ما ظَهَرَ مِنْها ولْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلا لِبُعُولَتِهِنَّ .. ﴾ (النور : ٣١) .

كما ينبغي ألا تودّعي زوجك مقطبة الجبين لتستقبلي زميلك في العمل بإشراقة الصباح ، ولا ينبغي أن تأكلي في الطريق العام .

ولاتقحمي نفسك في حديث مع الغرباء ، وتجنبي رفيقات السوء ، وعليك - اختي المسلمة - ان تتمسكي بالقيم الدينية ، وكوني داعية إسلامية في بيتك وخارجه ما استطعت إلى ذلك سبيلاً في الحدود المقبولة ، ولا تحملي هموم العمل إلى المنزل ، وتجنبي الغضب فإنه آفة مذمومة فقد قال الرسول ﷺ « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وألطفهم وأبرّهم بأهله » [رواه البخاري] .

فأجمل ثياب تتحلى بها المرأة هي حسن الخلق ، ومراقبة الله عز وجل في السر والعلانية ، ولعلك أختى المسلمة توافقينني في أن المشاكل لم تعرف طريقها إلينا إلا لأننا لم نأخذ بتعاليم ديننا الإسلامي الحنيف ، واندفعنا وراء التيارات المستوردة التي تدّعي التقدم والمدنية وهي منه بعيدة ، فأصبحنا نرى بعض المشاهد التي لاتليق بمسلمة ويرفضها الإسلام .

عوّدي أطفالك على التشبث بالدين منذ نعومة اظفارهم وعلى الصلاة في أوقاتها وعلى تلاوة القرآن في جو تصنعينه لتحبيبهم في هذه التلاوة ، واجعلي تعاليم الإسلام سلوكاً في حياة أطفالك وليست ألفاظاً جوفاء ، وكوني صادقة وأمينة مع نفسك ومع الله واجعلي التقوى منهجاً في حياتك والإيمان شعارك .

أختي المسلمة يمكنك أن تجعلي من البيت حديقة وأنت البستاني لها ترعينها وتزينينها بشتى صنوف الزهور وتخلّصينها من الأعشاب الضارة وذلك باتباعك لهدي رسولنا الكريم ﷺ وبهذا يمكن لك أن تظفري بشرف الدنيا وثواب الآخرة .

زواج المسلمة من غير المسلم

■■ من الرسائل التي ترد إلى باب الأسرة ، رسالة من العاصمة البلجيكية « بروكسل » ، تعكس صورة دقيقة لواحدة من المشكلات التي تعانيها الأسرة المسلمة في مجتمع الاغتراب .. تقول الرسالة :

[... إنها مشكلة خطيرة ، تشغل بال المسلمين في بلجيكا .. وهي تتلخص في تفشي ظاهرة زواج فتيات مسلمات من رجال أوروبيين ، كتابيين كانوا أو مشركين .. والمؤسف أن هؤلاء الفتيات لسن من الأوروبيات - أصلاً - أو المقيمات في أوروبا وإنما قدمن إلى بلجيكا زائرات من بلادهن الإسلامية ..

وتظهر بدايات المشكلة عندما تنتهي الفترة الزمنية الممنوحة للفتاة الزائرة لتمضيها في بلجيكا ، حيث الشرطة ما تنفك تطاردها في كل مكان لإبعادها عن البلاد ... إنها لا ترغب في العودة إلى وطنها فهي قد خرجت منه ، لأسباب متعددة قد يكون من أهمها عدم التزام الضوابط والآداب الإسلامية في تزويج الفتاة ، مما يؤدي إلى الهروب ومن ثم الضياع .

وفي دوامة البحث عن سبيل يضمن لها البقاء لأطول فترة ممكنة في « بلجيكا » ، تجد الفتاة نفسها أمام خيار واحد لا بديل له :

أن تتزوج من مواطن بلجيكي ، فتحصل من ثَمّ على حقّ الإقامة والمواطنة والجنسية البلجيكية أيضاً .. وتزيّن لها صديقات السوء الأمر ..

وفي لحظة الاستسلام لهذا الخيار ، تواجه بمشكلة جديدة : هي مسلمة بينما الرجل الذي تعتزم الزواج منه غير مسلم ، والقنصلية التابعة لبلدها تشترط ، لإكمال إجراءات عقد الزواج « الرسمية » ، أن يكون الزوج مسلماً !.. وإزاء هذا لا يجد « الزوج المختار » بأساً أو حرجاً في الادعاء بأنه أسلم ، وقد تحرر له شهادة بذلك ..

وتدخل الفتاة بذلك مرحلة جديدة من مراحل حياتها المضطربة .. ولكن بعد أن خسرت عفتها وكرامتها وفارقت أهلها ووطنها ، وخالفت أمراً شرعياً صريحاً يحرم زواج المسلمة من كتابي أو مشرك .. إنها خاسرة .. أمّا هو ، فقد حصل على ما يتمناه كثير من أمثاله الأوروبيين .. إنه يفخر بهذه الزيجة أمام أصدقائه وصديقاته ، إذ أنه نجح في أن يتزوج بمسلمة وهو غير المسلم ، وأن يخوض تجربة جديدة مع واحدة يختلف لونها عن لون بنات جنسه .. ويضاف إلى ذلك أنه مقابل زواجه منها قد يحصل على ما لديها من أموال ومقتنيات ..

وبغض النظر عن النتيجة التي سينتهي إليها هذا الزواج أو ما يمكن أن يترتب عليه من سلبيات كثيرة ، إلّا أننا لا بد وأن نقف لمعرفة وتحديد المسؤول المباشر عن هذه المشكلة ..

ليس لدي أدنى شك في أن المسؤول الأول هو البيت والبيئة التي نشأت فيها وترعرعت هذه الفتاة أو تلك .. فـ « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » .. ثم تقع المسؤولية من بعد ، على ولاة الأمور ومن بأيديهم سلطة استخراج جوازات السفر ومنح تأشيرات الخروج وما إلى ذلك .. بل المسؤولية تقع بصورة أكبر على عاتق دعاة انطلاق المرأة المسلمة من كل قيد ديني أو خلقي أو عرفي وتحررها من كل مفهوم يصطدم أو يتعارض مع المفهوم الغربي لما يسمى « حرية المرأة » ..

لست أريد من طرح هذه المشكلة معرفة حكم شرعي أو رأي فقهي ، فالحكم معروف لا جدال فيه ، ولكن أردت فقط أن أنبه الجميع إلى خطر زاحف يتهدد ركناً أساسياً في كيان المجتمع المسلم . ألا قد بلغت .. اللهم فاشهد .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. ■■

عبد الحميد مصطفى فرج - بلجيكا

تأصيل الوجود الإسلامي في أوروبا بعد مرحلة اكتشاف الذات

استطلاع

■■ في تاريخ بلجيكا المعاصر سابقة احتكاك مباشر بالعالم الإسلامي ـ نعرفها من خلال كتب التاريخ ـ تتمثل في الحملات الاستعمارية التي قامت بها في أواسط أفريقيا ، وبصفة خاصة منطقة الكونغو ، وفي أقاليم « رواندا ـ أوراندي » ، بعد الحرب العالمية الأولى ـ عندما جرى تقسيم ممتلكات ألمانيا وتوزيعها بين بلجيكا وبريطانيا والبرتغال .. فهناك حدثت مواجهات وجرت حروب بينها وبين جماعات المسلمين ، تغلبت فيها ـ بطبيعة الحال ـ القوات البلجيكية على مجموعات المسلمين المتناثرة .

... وهناك أيضاً استمرت المواجهات مع بعثات التنصير وحملاتها ، التي كانت قد بدأت تنشط قبل مرحلة الاستعمار ـ حيث مهدت له الطريق في أعقاب ما يُعرف بحملات « برتون وسبيك » (١٨٥٨م) لاكتشاف بحيرة تنجانيقا ...

كانت هذه هي المرة الأولى التي تتم فيها هذه المواجهة ، بين الإنسان المسلم ، على أرضه الافريقية ، وبين البلجيك القادمين إليه من قارة أوروبا البعيدة ... أما كيف انتقل الإسلام بشكل مباشر إلى بلجيكا نفسها .. وطبيعة الظواهر والأسباب والوقائع والأحداث التي مهدت لهذا الانتقال وصاحبت مراحله وجرت خلاله .. وواقع الوجود الإسلامي اليوم في بلجيكا وأبعاده .. والمشكلات والتحديات التي تواجهه على المستويات كافة .. فقد تتضح معالم ذلك كله من خلال قصة تأسيس أول مركز إسلامي في العاصمة البلجيكية ـ بروكسل ـ إحدى وسائل تأصيل الوجود الإسلامي في أوروبا ، بعد مرحلة اكتشاف الذات ■■

■ المسجد الجامع والمركز الإسلامي والثقافي ببروكسل تكشف قصة تأسيسه عن تطور الوجود الإسلامي في بلجيكا ■

محاولات الاحتواء والتنصير

●● لم يكن الوجود الإسلامي في بلجيكا متاحاً بشكل مباشر ، وعملي إلا من خلال الندرة القليلة من الطلاب المبتعثين الذين وفدوا إلى بلجيكا للدراسة .. ومن خلال أعداد قليلة جداً من العناصر العمالية التي رحلت إلى هناك للعمل .. فقد كانت بلجيكا ـ كغيرها من الدول الأوروبية ـ تمر في أوائل الستينيات بمرحلة الطفرة الاقتصادية الهائلة والنهضة الصناعية القوية ، التي استدعت استقدام اليد العاملة الأجنبية ، وعمدت بلجيكا إلى استقدام هذه العناصر العمالية من تركيا ومن بلاد الشمال الافريقي ـ خاصة المغرب وتونس ـ وكانت هذه العملية تتم : إما بطريقة عشوائية حيث يأتي العامل

■ إن الجامعات الأوروبية عامة تكاد تكون شبه خالية من أي طالب من أبناء الجالية المسلمة بينما يرتاد أبناء الجاليات الأخرىٰ أرقى المنابر التخصصية العلمية .. فكيف يمكن للمسلمين من أبناء الجالية التأثير على هذه المجتمعات ؟! ■

■ حسين لطيف ـ مسؤول الجالية الألبانية المسلمة في بلجيكا : ... الكنيسة كانت أول من استقبل الجالية بعد فرارها من الحكم الشيوعي في البانيا في أوائل الستينيات ـ قبل أن تنشأ الجمعية الإسلامية .. ■

بنفسه فيتعاقد ويقيم هو وأسرته هناك ، أو بناء على اتفاقات عمالية ثنائية على مستوىٰ الدول يتم بموجبها تحديد علاقات العمل وواجبات العمال وحقوقهم ..

وإلى جانب هذا ؛ شهدت بلجيكا ـ خلال الفترة نفسها من أوائل الستينيات ـ هجرة من نوع آخر ، هي هجرة الجالية الألبانية المسلمة التي فرت من الحكم الشيوعي في ألبانيا .. وحينما وفدت إلى بلجيكا كانت الكنيسة أول من استقبلها ، فوفرت لها حاجاتها الاجتماعية والمادية من المأوىٰ والغذاء والكساء ، وكذا متطلبات التعليم والدراسة لأطفالها ..

وعلى الرغم من كل هذه الظروف ، فإن فكرة إقامة مركز إسلامي هناك لم تكن قد نشأت بعد ، فمعظم الطلبة الذين كانوا يدرسون في بلجيكا كانت تجتذبهم النزعة القومية أكثر من الانتماء الإسلامي لذلك أنشؤوا أول ما أنشؤوا نوعاً من النوادي الخاصة ، مثل اتحادات الطلبة العرب أو نوادي الصداقة العربية البلجيكية .. أما على الجانب الآخر ؛ فقد كان العمال المسلمون ـ بثقافتهم المحدودة ـ في انشغال بالبحث عن مصادر للرزق أو في كبد نتيجة أعباء العمل ..

غير أن ملاحظة الطلبة ـ المبتعثين من بلدان إسلامية ـ لبعض الظواهر في المجتمعات الأوروبية ، بشكل عام ، وفي المجتمع البلجيكي بشكل خاص ، وأبرزها ـ في ذلك الوقت ، محاولة الكنيسة احتواء الجالية الألبانية المسلمة وأبنائها ـ قد أثار في الأذهان فكرة إنشاء مركز إسلامي في بلجيكا كضرورة لحماية المسلمين من خطر الذوبان ومن محاولات الاحتواء والتنصير ..

الأثـر الحقيقي ..

أما قرار إقامة المركز ، فقد جاء بعد هذا المشهد الذي جرىٰ في إحدى محطات السكك الحديدية في بروكسل ـ العاصمة ـ أمام مجموعة من الطلبة المسلمين ، حيث شاهدوا قطاراً ممتلئاً بالأطفال ، وعلى رصيف المحطة . وقفت مجموعة من الرهبان والراهبات والعائلات البلجيكية ، يودعون هؤلاء الأطفال ، وعندما استُجلي الأمر تبين أن هذا القطار مشحون بأطفال المسلمين من الجاليات العربية والإسلامية التي تقطن المناطق الفقيرة من شمالي فرنسا .. معظمهم من أبناء عمال المناجم أو المتهنين لأعمال التنظيفات وغيرها مما يسمى بالأعمال الوضيعة .. وباعتبار أن هؤلاء الأطفال محرومون ، فقد قامت الكنيسة باستضافتهم لدى بعض العائلات لفترة العطلة ، وقدمت لهم ما يفتقدونه من أسباب الترفيه .. ولعل أخطر ما في هذا المشهد ، أن الأطفال الصغار كانوا يودعون الراهبات وعيونهم تفيض بالدمع .. مما يعني أن أثراً حقيقياً قد تركته الزيارة في قلوب أطفال المسلمين الأبرياء ...

الجنـــاح الشرقي

●● ونستكمل قصة إنشاء أول مركز إسلامي في بروكسل ـ بلجيكا ـ من خلال الحوار الذي

تأصيل الوجود الإسلامي
في أوروبا بعد مرحلة اكتشاف الذات

استطلاع

أجريناه مع الرجل الذي شكّل بنفسه ثلث الأعضاء المؤسسين ـ من غير البلجيك ـ مع ثلثين من البلجيك ، هما رجل وزوجته ، أو الأسرة البلجيكية المسلمة الوحيدة في ذلك الوقت ـ حتى يتحقق بهم الشرط القانوني المعمول به هناك لإنشاء المؤسسات ...

أما الرجل فهو **الدكتور محمد الهواري** .. أحد شهود قطار أطفال المسلمين في محطة سكك حديد بروكسل .. كان موفداً من جامعة دمشق للتحصيل العالي في بلجيكا (١٩٥٨ ـ ١٩٦٢م) ، [حصل على درجات علمية عن دراساته في الكيمياء الغذائية الصناعية ، وفي كيمياء الصيدلة الصناعية ، وفي الكيمياء الحية وعلم الجراثيم ، وكانت دراساته لدرجة الدكتوراه عن التأثير الفعّال للأدوية على الجراثيم وبصورة خاصة جرثومة السل حيث أمكن إيجاد مركبات عديدة قادرة على قتل جرثومة السل ومنعها من النمو ..] ●●

ـ الحقيقة أن القوانين في معظم دول أوروبا ، وفي بلجيكا خاصة ، تسمح بإنشاء الروابط والمؤسسات ضمن القانون وفي حدود معينة ، شريطة أن يكون ثلثا الأعضاء المؤسسين من البلجيك والثلث من غيرهم ، وعلى هذا الأساس تمت دراسة القوانين وملاحظة المتطلبات اللازمة لإنشاء ما يسمى بالمركز الإسلامي ، وتم اجتماع ضم أحد الإخوة المسلمين البلجيك وبعض الطلبة المسلمين العرب ، ولم تكن هناك سوى عائلة واحدة بلجيكية مسلمة في ذلك الوقت ، مؤلفة من زوج اسمه **رضوان فاندوم بروك** ، كان قد أسلم في جنوب أفريقيا ، وزوجته (**فاطمة**) الأندونيسية الأصل ، التي حصلت على الجنسية البلجيكية بالتبعية .

وتقدمنا نحن الثلاثة إلى السلطات المختصة بطلب تأسيس المركز بعد أن حققنا الشرط القانوني .. وحصلنا على الموافقة ، ونشر دستور المؤسسة في الجريدة الرسمية في أواخر عام ١٩٦١م .. ونظراً لأن هذا الدستور قد خولنا إنشاء المراكز والمدارس ورعاية أبناء الجالية الإسلامية ، بالإضافة إلى تعريف البلجيك بالإسلام ونظرته إلى الحياة ، وبالثقافة والفلسفة الإسلامية ، فقد عمدنا إلى تشكيل الهيئات القانونية التي يسمح بها الدستور حتى يستطيع المركز من خلالها أداء رسالته مثل هيئة مكتب المركز ولجانه المختلفة ..

■■ وبطبيعة الحال استدركتم ذلك من العناصر المتوفرة في إطار الطلبة المسلمين والجالية الإسلامية بصفة عامة .. وهنا تبرز ملاحظة ، فمن المعروف عن بعض المراكز الإسلامية أو المساجد في أوروبا أنها تختص بجالية معينة حسب حجم أعضاء هذه الجالية ، فهذا مركز أو مسجد للأتراك .. وهذا للمغاربة أو للتونسيين ، فهل أخذتم هذه الملاحظة في الاعتبار عند تشكيل الهيئات القانونية في بدء نشوء المركز ؟ ، أو بمعنى آخر : هل أخذ المركز لوناً من جالية معينة ؟ أم حرصتم على أن يكون أفراد الجالية جميعاً مشاركون فيه .. الألبان والمغاربة والأتراك .. وغيرهم من المسلمين ؟

ـ الحقيقة لم تكن هناك نظرة جزئية مطلقاً ، وإنما كنا ننظر إلى أبناء الجالية الإسلامية عامة بأنهم جسد واحد ، والمسؤولية بالنسبة لهم جميعاً واحدة ، وكانت اللجان تتشكل من الأتراك ومن الألبان ومن البلجيك ومن العرب .. من مختلف الجنسيات على السواء ..

ولم يكن هناك مقر للمركز حتى ذلك الوقت .. والحقيقة كان عنوان المركز هو عنوان بيتي نفسه ـ السكن الذي أسكنه ـ وكان هذا العنوان والهاتف موجوداً لدى الإخوة المهتمين لإجراء الاتصالات اللازمة ، ثم كان أن هيأ الله تعالى لنا

■ **بلجيكا شهدت في أوائل الستينيات هجرة الجاليات الألبانية المسلمة التي فرَّت من الحكم الشيوعي .. والكنيسة كانت أول من استقبلها ..**

فيما بعد أداء صلاة العيد في السفارة الباكستانية .. وهناك استطعنا أن ندعو جموع المسلمين إلى ضرورة إيجاد مكان يرتاده المسلمون عامة لأداء الصلوات ، ووفقنا في الحصول على مكان من ثلاث غرف .. أمكن أن نقيم فيه لأول مرة صلاة الجمعة .. واستمرت الأمور هكذا في إطار المركز الذي كان ـ على بساطته ـ يستوعب الأعداد القليلة من الطلبة والعمال ، الذين ساهموا في تأسيسه وفي إدارة شؤونه .

غير أن المشكلات لم تكن في بداية الأمر كبيرة وملحة ، باعتبار أن الجالية الإسلامية كانت لا تزال في أول نموها .. ولكن شيئاً فشيئاً ، وعلى مر الزمن تبين أن أعداد الجالية آخذة في ازدياد هائل ، وكان لا بد من إشراك العناصر المسؤولة في الهيئات الدبلوماسية الإسلامية ، حتى تباشر دورها في هذا المجال ، وبدأنا الاتصال بالسفراء لدعم المركز وإعطائه الصفة المسؤولة أكثر من ذي قبل ، خاصة وأن العمل بالمركز أصبح يتطلب بعض الاحتياجات المادية والدعم الأدبي والحماية ، حتى يكون له نفوذ في نظر السلطات البلجيكية .. ونستطيع أن نقول : إنه مع الزمن تكوَّن المركز الإسلامي من عناصر شعبية وعناصر مسؤولة من السفارات .

[بلغ عدد السفارات الإسلامية في بروكسل في هذه الفترة (٢١) سفارة من أفريقية وآسيوية ، وبلغ عدد المسلمين المقيمين في بلجيكا ما يقرب من ثمانين ألفاً ، بين طلبة وعمال وتجار وموظفين .. من مختلف الجنسيات ..] .

وخلال محاولات البحث عن مكان أكثر اتساعاً .. اكتشف في الحديقة الخمسينية في بروكسل (أقيمت في ذكرى تاريخية بمناسبة مرور خمسين عاماً على استقلال بلجيكا) بناء كان يسمى بالجناح الشرقي أو الجناح المصري ، وهذا البناء ظاهره عبارة عن مسجد له قبة ومئذنة من الطراز الفاطمي وتبين أنه قد أنشىء في أواخر القرن التاسع عشر كجناح في معرض كان قد أقيم في بلجيكا ، وشاركت فيه مصر والبلاد العربية بهذا الجناح ، الذي عمد المهندس في تصميمه أن يكون على شكل مسجد ليعطي دلالة على الدول المشاركة ذات الطابع الإسلامي ... أما داخل هذا البناء فهو عبارة عن فراغ ، زُينت جدرانه بلوحات مصورة وملونة بألوان زيتية ، تمثل

■ **حاول اليهود محاربة مشروع المركز الإسلامي والقضاء عليه ، فدبَّروا حادثةً لإثارة مشاعر البلجيك والإساءة إلى الجالية الإسلامية ..**

مناظرها مدينة القاهرة في ذلك العصر ..

وتمت المتابعة مع المسؤولين لمعرفة كيفية الاستفادة من هذا البناء وتحويله إلى مسجد ، فتبين أنه يتبع المتحف وهيئة الآثار البلجيكية .. ومن خلال الاتصالات المستمرة ، أفادت وزارة العدل - التي انتهى الأمر إليها في شأن البت في الموضوع - بأن الأمر في بدايته صعب جداً باعتبار أن البناء مملوك للحكومة وتشرف عليه هيئة الآثار ، وقد لا يتم التخلي عنه بسهولة ، ولكنها لم تقطع الأمل في إمكان إيجاد صيغة للاستفادة من البناء بشكل ما .. واستمرت المحاولات لفترة طويلة . **إلا أن هذه الفكرة قد استقرت بشكل عميق في أذهان المسؤولين البلجيك ، وكانت مهيأة لأمر ما ، حتى قام الملك فيصل رحمه الله بزيارة بلجيكا عام ١٩٦٧م ، وكان أن تقدمت الحكومة البلجيكية بإهدائه البناء بهذه المناسبة ، وكان هذا الأمر بمثابة تحميل الملك فيصل المسؤولية لإعداد البناء وتحويله إلى مكان مناسب يخدم مصالح المسلمين ، باعتبار أن شكله الذي كان عليه آنئذ لا يمكن الاستفادة منه بحال من الأحوال .. ونستطيع أن نقول - في الحقيقة - : إن الملك فيصل رحمه الله ، هو الذي دعم هذا البناء دعماً كاملاً ، وأراد في الوقت نفسه أن تشارك الجاليات الإسلامية كلها ليكون لها أيضاً شرف المساهمة في إقامته** ، وحتى يمثل المشروع المسلمين جميعاً ، فطلب من جميع المسؤولين هناك أن يقدموا ما يستطيعون تقديمه - كرمز لهذه المشاركة - من السجاد أو الأثاث أو المنبر .

■ طلبة وطالبات المعهد الإسلامي الأوروبي في إحدى المحاضرات ■

واقعة مثيرة

وأذكر هنا واقعة مثيرة حدثت بتدبير من الطائفة اليهودية بهدف التآمر بإثارة مشاعر المواطنين البلجيك ضد المشروع وإفشاله في النهاية ، فقد كانت هناك في الحقيقة عقبة عند بدء العمل ، وهي كيفية إزالة اللوحات الزيتية التي كانت بارتفاع شاهق وبمساحات هائلة ، وكانت هيئة الآثار تعارض بأي حال من الأحوال إزالتها من مكانها أو حتى لمسها .. وكان أن أراد بعض اليهود أن يسيئوا إلى الجالية الإسلامية ، فدبّروا حادثة تثير مشاعر المواطنين البلجيك ، بأن تسللوا إلى داخل البناء سراً وقاموا بتقطيع اللوحات فوقعت على الأرض ، وثبت من نتيجة تحقيق الشرطة هنا أن بعض العناصر من اليهود هي التي قامت بهذه الفعلة .. وعلى كل حال ، فقد أزالت هذه الحادثة عقبة كانت تعترض المسؤولين ، وتعترض طريقنا نحو الاستمرار في إعداد هذا البناء لخدمة مصالح المسلمين ، كما تصورها المهندس المسلم - المغربي الأصل عندما بدأ في تعديله ، وتحويله إلى ما يُعرف اليوم بالمركز الإسلامي والثقافي ، والمسجد الجامع في بركسل ... الذي يتبع رابطة العالم الإسلامي .

■ **وقبل أن نستأنف حوارنا مع الدكتور الهواري حول رسالة المركز ، والدور الذي يقوم به لخدمة الجالية الإسلامية في بلجيكا ، نقوم بجولة داخل مبناه ، الذي يقع عند طرف الحديقة الخمسينية الفسيحة - في قلب بروكسل - على مقربة من مباني المقر العام للسوق الأوروبية المشتركة والدوائر العامة والحكومية في بلجيكا .. والمبنى مكون من أربعة طوابق : طابق القبو الذي يضم الخدمات والمرتفقات العامة ، به مطعم وناد للشباب ومحطة الإذاعة الإسلامية ، كما يشتمل على حمامات الوضوء التي تعمل بطريقة حديثة تضمن عدم تسرب المياه بلا فائدة حيث تقفل الصنابير ذاتياً بعد انتهاء الوضوء .. والطابق الأول يشتمل على جزء من الإدارة ، وقاعات الدراسات الإسلامية لطلبة المعهد الإسلامي الأوروبي . وصفوف الدراسة لأبناء الجالية ، والطابق الثاني يحتوي على مكاتب الإدارة ، ومختبر للغات ، حديث ومزود بالوسائل السمعية والبصرية ، ومكتبة إسلامية تضم أكثر من أربعين ألف كتاب ومجلد (جرى بقاعتها الاحتفال الرسمي بافتتاح المركز الذي حضره الملك خالد بن عبد العزيز - رحمه الله - و « بدوان » ملك بلجيكا ..) أما الطابق الثالث فهو عبارة عن المسجد الذي يتسع لقرابة ٤٠٠٠ - ٥٠٠٠ مصلٍ وفوق قاعة المسجد الفسيحة بنيت قاعة أخرى أصغر حجماً ، مخصصة للنساء** ■

معطيات الاعتراف بالدين الإسلامي

■■ من المعروف أن بلجيكا اعترفت - في مرحلة تالية - بالدين الإسلامي ،

تأصيل الوجود الإسلامي في أوروبا بعد مرحلة اكتشاف الذات

استطلاع

■ في الشوارع الرئيسة ببروكسل ـ ظاهرة انتشار المواقع التي تدل على تواجد الجالية الإسلامية ونشاطاتها ■

■ المكتبة بالمركز الإسلامي والثقافي ببروكسل تشغل حيزاً كبيراً من الطابق الثاني وتضم أكثر من أربعين ألف كتاب مجلد ■

فما هو الدور الذي قام به المركز لتحقيق ذلك ؟ وماذا أعطى هذا الاعتراف للمسلمين من مزايا وحقوق يمكن للمركز أن يحققها لهم ؟ وكيف استفاد المسلمون من ذلك في تطوير القضية الإسلامية في بلجيكا ؟

ــ عندما تشكلت هيئة رسمية للمركز ووضع له دستور جديد ، تعدَّلت بعض القوانين تبعاً لذلك وبناء على تأسيس منظمة عالية باسم « **المركز الإسلامي والثقافي ببروكسل** » التي نالت اعتراف الحكومة البلجيكية ، ومنحتها الشخصية الاعتبارية المدنية بمقتضى مرسوم صادر في أبريل ١٩٦٨م ، وكان من أول مهماتها محاولة الحصول على الاعتراف بالإسلام من الدولة البلجيكية ..

وقد تم الحصول على الاعتراف بالدين الإسلامي بصدور القانون في الجريدة الرسمية في ١٩ يوليو (تموز) ١٩٧٤م ـ الذي يشتمل على الاعتراف (أولاً) بالمؤسسات الإسلامية التي ترعى شؤون المسلمين ومصالحهم ، وبعد ذلك جرى الاعتراف نهائياً ـ في ٢٠ فبراير (شباط) ١٩٧٨م ـ بالدين الإسلامي في هذه البلاد .. وهذا الاعتراف كان الأول من نوعه في أوروبا .. حتى إن بلجيكا سبقت في ذلك النمسا ..

وفي المرحلة الثانية نقول : ماذا أعطى الاعتراف للمسلمين من مكاسب ، الحقيقة إن الاعتراف هو مكسب بحد ذاته يحقق الوجود القانوني للمسلمين في المجتمع البلجيكي ..

ونستطيع أن نقول : إن من الفوائد التي عادت على الجالية الإسلامية أنه أعطاها وضعاً قانونياً واعترف بها هيئةً اعتبارية ، يمكنها أن تطالب بحقوقها من خلال القانون ، وتحقق مصالحها الدينية عامة ، مثل سائر الهيئات في المجتمع البلجيكي ... ولكن من ناحية أخرى ، نستطيع أن نقول : إن القوانين التي تحكم بلجيكا هي قوانين لائكية علمانية بصفة عامة .. ولذلك لم ينعكس هذا الاعتراف عملياً على ما يسمى بالأحوال الاجتماعية للمسلمين ، مثل الزواج والطلاق والإرث .. وغيره .. فقد بقيت مقيدة بحدود القانون البلجيكي ..

غير أن أبرز مكسب حققه المسلمون في هذا الإطار ، هو أولاً إمكانية إنشاء المدارس الإسلامية كمؤسسات خاصة .. **والشيء الثاني** هو إنشاء المراكز وإقامة المساجد التي يمكن أن تدفع تكاليفها أو تساهم في تحمل أعبائها المالية الحكومة البلجيكية .. والأهم من ذلك أنه ـ **من خلال السعي الحثيث ـ أمكن إدخال التعليم الإسلامي في المدارس الرسمية البلجيكية لأبناء المسلمين ، وصدر في هذا الصدد قانون (١٩٧٥م) بإدخال دروس التربية الإسلامية ضمن البرامج المدرسية لأبناء الجالية المسلمة اعتباراً من العام الدراسي ١٩٧٥/١٩٧٦م ويشمل التعليم جميع الصفوف .. من الصف الأول الابتدائي حتى الصف الثاني عشر ...**

■ حضور المرأة المسلمة ومشاركتها في نشاط المركز

■■ **ما هو دور المركز في إعداد المعلم المناسب والمنهج والكتاب من خلال التجربة التي بدأت منذ ما يقرب من سبع سنوات ؟ وما هي ملاحظاتكم على هذه التجربة ؟**

ــ بالنسبة للمعلم ، فقد أمكن مع الزمن الاستفادة من نوعين من الناس هنا : الطلاب المقيمين والمعلمين المستقدمين من البلاد التي أتت منها الجالية ، وبصورة خاصة من بلاد الشمال

■ المبنى المجاور للمركز الإسلامي .. المحاولات جارية لضمه إلى مبنى المركز ■

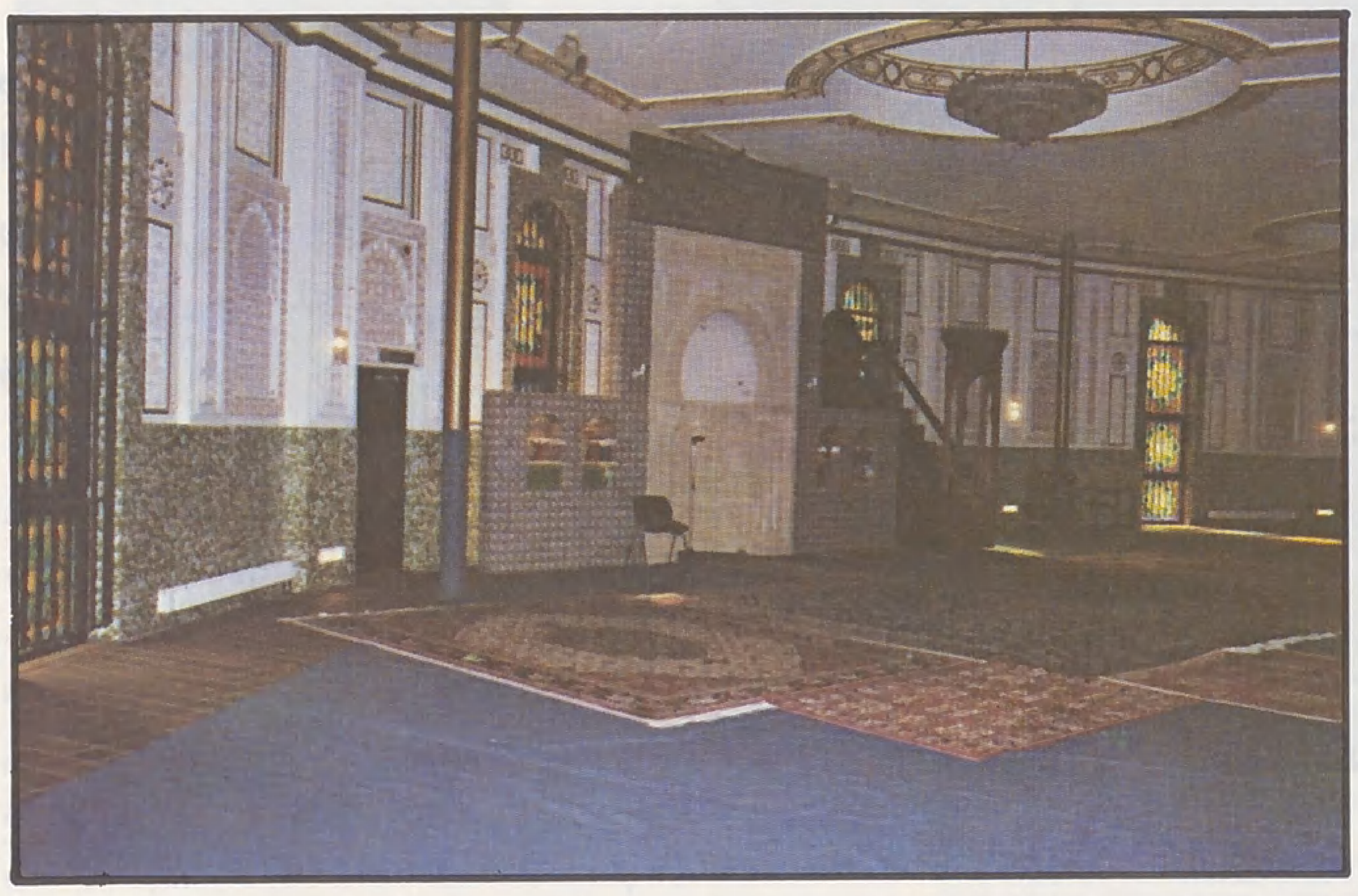

■ المسجد الجامع ببروكسل يتسع صحنه لأكثر من أربعة آلاف مصلٍ ■

الأفريقي وأيضاً من تركيا .. ولكن لنا في الحقيقة عدد من الملاحظات ، منها أن المعلمين ليسوا مهيئين لتدريس التربية الإسلامية كما يجب ، بمعنى أنهم يتمثلونها بعلمهم وسلوكهم ، ويستطيعون من خلال ذلك أن ينقلوها إلى الطلاب .. وأيضاً من الصعوبات القائمة أنه لا يمكن تدريس التربية الإسلامية باللغة العربية وإنما يجب تدريسها في المدارس البلجيكية باللغة الأجنبية .. الفرنسية أو الفلاماندية ..

■■ ولكن إذا اعتبرنا أن تعليم القرآن الكريم جزء هام في منهج مادة التربية الإسلامية ، فلا بد من إعطاء دروس في تعليم اللغة العربية ليتمكن الطالب من قراءة القرآن ، وهذا يمكنه في المستقبل من أن يبدأ بتعلم الكلمات العربية بعد معرفة الحروف الهجائية من كلمات القرآن الكريم ، ويمكن انتقاء مصحف مناسب من حيث الرسم المبسط الذي يتلاقى مع رسم اللغة العربية بشكل قريب ، وبذلك نستطيع أن نستفيد من الفرصة المتاحة لتعليم اللغة العربية .

ـ الحقيقة أن الحكومة البلجيكية سمحت بتدريس مبادىء اللغة العربية لإمكان قراءة القرآن ، ولكن ليس تحت عنوان تعليم اللغة العربية .

■■ لا يهمنا العنوان .. العنوان يبقى اسمه درس القرآن الكريم .

ـ هذا صحيح .. ولكن لا يمكن أن نعتبره كافياً بحال من الأحوال .

■■ يمكن أن يكون كافياً إذا تابعنا بجهود المدرسة الإسلامية الخاصة فيما وراء المدارس الرسمية ، باعتبار أن عدد المساجد والمراكز الإسلامية الآن في بلجيكا قد جاوز المائة والخمسين في مختلف المدن والقرى ، فيمكن أن تقدم في معظمها دروس تعليم اللغة العربية .. ليتم نوع من التكامل بين مدارس نهاية الأسبوع وتدريس مادة التربية الإسلامية في المدارس الرسمية ..

ـ يحدث هذا بالفعل ، ولكن الأمر لا يزال يعتمد على مبادىء وأساليب مختلفة حسب إمكانية المدرس ومؤهلاته ..

■■ هذا يعني أن القضية لا تزال تابعة للإمكانية الموجودة ، وإلى الآن لم توضع الخطة المناسبة التي تنتظم المدرس وإعداده على شكل خاص للتدريس في هذه البلاد ، وإعداد الكتاب المناسب أيضاً للتدريس لأبناء المسلمين في هذه الديار وكذا المنهاج ...

■ الدكتور محمد الهواري : ... خلال ربع قرن ، ازدادت التجربة الإسلامية في أوروبا خصباً ودراية ■

المعهد الإسلامي الأوروبي

ـ الحقيقة .. نظراً لما يلاحظ الإنسان في قضية تعليم اللغة العربية والمشكلات التي تنتج عنها في هذه البلاد ، كان لا بد من التفكير بإيجاد الأسلوب المناسب والكتاب المناسب ، وقد شكلت لجنة ـ ليس على مستوى بلجيكا فحسب ـ وإنما على مستوى أوروبا كلها ، لجمع الكتب المتوفرة في أيدي الطلاب في مختلف الجهات لإعادة النظر فيها ، وتهيئة برنامج معين لاستيعاب بعض المربين المسلمين ، وخبراء اللغة العربية في العالم الإسلامي والعربي ، ومحاولة إيجاد كتاب موحّد يراعي ظروف البيئة التي يدرس فيها الطالب ، ومساعدة المراكز الإسلامية المختلفة على أداء هذه المهمة .. ولا شك أن من يقوم بهذه المهمة لا بد من إعداده إعداداً مسبقاً ، ولذلك ـ في إطار هذا الموضوع ـ تم التفكير بإنشاء معهد للدراسات العليا الإسلامية لتخريج أشخاص قادرين على تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية .. وبالفعل ، تمت المباشرة بإنشاء هذا المعهد في إطار المركز الإسلامي في بروكسل ، وأصبح عدد المنتسبين فيه يزيد عن الستين طالباً .. والأمل أن تقوم بعض الدول الإسلامية ، أو بالأحرى بعض الجامعات الإسلامية بالمساهمة بتقديم الخبراء والمناهج والمختصين

تأصيل الوجود الإسلامي في أوروبا بعد مرحلة اكتشاف الذات

استطلاع

والأساتذة الزائرين - نظراً لما يحتاجه هذا المشروع الهام من مساعدات جمة، بالنظر إلى رسالته التي لا تقتصر على بلجيكا فحسب وإنما على مستوى أوروبا .. التي أصبح عدد المسلمين فيها كبيراً جداً.

وقد يكون من المناسب، قبل مناقشة مستقبل العمل الإسلامي، في بلجيكا بشكل خاص، وفي أوروبا بشكل عام - أن نتعرف على بعض أبعاد مشروع المعهد الإسلامي الأوروبي، في مراحله المختلفة:

● يقول قرار إنشاء «المعهد الإسلامي الأوروبي» الذي أصدره المجلس القاري للمساجد في دورته (بروكسل - المحرم ١٤٠٣هـ):

بأنه نظراً لحاجة المسلمين في أوروبا إلى دعاة من داخل القارة، قادرين وعارفين بمعطيات البيئة وظروف الحياة والتيارات المعادية للإسلام، فقد رؤي إحداث «المعهد الإسلامي الأوروبي» لتكوين أئمة ودعاة ومدرسين تمهيداً لتحويله إلى معهد أكاديمي عال للعلوم الإسلامية وأن يفتتح من السنة الهجرية (١٤٠٣هـ) لتلبية الرغبات المحلية ورغبات البلدان المجاورة، ورأى المجلس أيضاً في هذا الإطار أن تدريب الداعيات والمدرسات أمر هام ويستحق عناية خاصة، وأن معادلة الشهادات - منذ البداية - أمر هام حتى تكون لها قيمة في البلدان الأوروبية وفي الدول العربية والإسلامية .. وأوصى باستقدام بعض الأساتذة الزائرين من المغرب العربي ومن بعض البلدان الإسلامية، والاستفادة من العلماء والأساتذة المقيمين في أوروبا كل في ميدان اختصاصه.

● جاء ضمن أهداف المعهد:

توفير أسباب التعليم الجامعي والدراسات العليا في العلوم الإسلامية وما يتصل بها من علوم أخرى في الثقافة الإسلامية كالتاريخ الإسلامي وغيره، لكل الذين يتطلعون إلى استكمال المعارف الإسلامية ولمن فرضت عليهم الظروف الإقامة بأوروبا .. والمساهمة بتلبية حاجات الجاليات الإسلامية إلى تخصيص طائفة من المربين، وسد الفراغ في ميدان الدراسات الإسلامية بالديار الغربية .. وإعداد دعاة مؤهلين ومدرسين في الحقل الإسلامي عارفين بالبيئة الأوروبية ومطّلعين على معطيات الحضارة الغربية .. والتصدي للتيارات الهدامة والمبادىء المنحرفة .. وإعداد دراسات موضوعية عن الإسلام ..

● تقول المعلومات الخاصة ببرامج الدراسة بالمعهد إنه يمنح درجة الإجازة في العلوم الإسلامية بعد دراسة لمدة خمس سنوات بمعدل عشرين ساعة في الأسبوع، لأربعة أقسام من المواد:

اللغة العربية (نحو، وصرف، وبلاغة، ومنطق)، والعلوم العصرية (علم نفس، وتربية، واجتماع، وفلسفة، وتاريخ، وجغرافية القارة الأوروبية، وتاريخ الأديان ومقارنتها، وقضايا الفكر الإسلامي المعاصر). والدراسة المتعمقة في الشريعة الإسلامية (علوم القرآن، والحديث، والفقه، وأصول الفقه، العقيدة الإسلامية، الدعوة والخطابة، تاريخ التشريع، فلسفة إسلامية، فقه السيرة والتاريخ الإسلامي، تفسير القرآن الكريم، تفسير الحديث، علم التجويد) أما القسم الرابع من المنهج فيختص بتدريس اللغات الفرنسية والانجليزية والنيرلندية والألمانية والإسبانية ...

المعهد الإسلامي الأوروبي يهدف إلى إعداد المدرسين الدعاة الذين يعرفون حقيقة البيئة الأوروبية ومعطيات الحضارة الغربية .. ورسالته لا تقتصر على بلجيكا فحسب ..

حلقة حوار

■ وخلال جولتنا بمقر المعهد الإسلامي الأوروبي، بالمركز الإسلامي والثقافي ببروكسل، نظمت - بهذه المناسبة - حلقة دراسة ومناقشة من مجموعة من الدارسين من الذين يقومون بمهمة تعليم مادة التربية الإسلامية لأبناء الجالية الإسلامية بالمدارس البلجيكية .. وحضره مدير المركز الإسلامي والثقافي ببروكسل محمد العلويني حول عدد من المعاني ... منها:

● أن الوسيلة الحقيقية للتغيير إنما تكون عن طريق التعليم، وأن مهمة الدعوة إلى الله تعالى لا تستقيم ولا تبلغ مداها المطلوب بدون طريقة علمية صحيحة ومستنيرة.

● أن العلم لا بد له من أخلاق المعرفة،

■ عدد المساجد في بلجيكا جاوز مائة وخمسين مسجداً .. تقدم فيها دروس تعليم اللغة العربية إلى جانب ما تقوم به المدارس الرسمية من تدريس التربية الإسلامية باللغة الأجنبية ... ■

حتى يكون وسيلة إلى التربية الصحيحة وإلى السلوك الذي يغري بالاقتداء بحامل الفكرة الحاصل على معلوماتها .

- أن عملية التعليم كوسيلة للتغيير عملية مستمرة ولا بد فيها لإنضاج الحقيقة من زمن .
- أن أبرز صفات المربي أن لا يكون سلوكه يناقض ما يعطيه للطلاب وأن قسماً كبيراً من العملية التعليمية إنما يكون بالاقتداء ، أو ما يسمى « التربية بالقدوة » .
- أن نجاح العملية التعليمية يحتاج إلى دأب واستمرار وتكيف مع الظروف ودراسة مشكلات المجتمع الأوروبي وظروفه وخطته التربوية ، وطبائع أهله وعاداتهم وتقاليدهم - التي تختلف كل الاختلاف عن تلك التي تسود مجتمعاتنا .
- أن تهيئة القابلية لدى الطلاب وأخذهم بالتدرج سبب من أهم أسباب نجاح عملية الدعوة والتعلم .
- أن إثارة المشكلات بالمدارس والاصطدام بالقائمين على إدارتها دليل إخفاق في العملية التعليمية مهما كانت الأحقاد التاريخية كبيرة عند من نتعامل معهم في المدارس الأوروبية ، وأن رسالتنا ليست فقط تأمين الحصانة الفكرية والتربوية لأبناء المسلمين وإنما تفكيك صورة الإسلام الاقتحامي المعتدي المقاتل الذي رسمه المنصِّرون والمستشرقون في أذهان الأوروبيين .
- الأصل في العملية التعليمية أن يكون البيت معواناً للمعلم ، وقد يقتضي عملنا مهمة أوسع مدى من المهمة في داخل المدرسة .
- أن حماية الأبناء من الذوبان هي مرحلة أولى ، لا بد بعدها من أن ننقل مواقعهم لتحقيق ذواتهم في المجتمع الذي يعيشون فيه .
- أن أوروبا الآن تعيش في ضيق الدنيا ، وحضارتها حضارة المصلحة والمادة وشبابها يتعالجون بالمخدرات والخمور ، وأنهم يقفون الآن على مفترق الطرق ، وعلينا أن نكون حكماء ، فنأخذ بيدهم وننقذهم ونلحق بهم الرحمة .
- أن المعهد الإسلامي الأوروبي لا بد أن يعطي العلم ويعطي التدريب ، وهذا يأتي عن طريق الحوار والمناقشة وطرح المشكلات .
- أن قضية التربية الإسلامية قضية فيها ثواب من الله وفيها عقاب ، فليست مجرد مهنة ، لأن أبناء المسلمين أمانة والمجتمعات الإسلامية أمانة .. وسوف يسألنا الله عن أعمالنا .

الوراثـة الحضارية

وقبل أن نختم جولتنا في المركز الإسلامي والثقافي ببروكسل .. نطرح على الدكتور محمد الهواري هذا السؤال :

■■ إن الأبعاد التي بلغتها القضية الإسلامية في أوروبا واليقظة التي أوجدها المبتعثون من الطلبة في صفوف الجالية قد أدَّت إلى لون من حماية الذات ، بحيث يمكن أن نسمي هذه المرحلة ، مرحلة تحقيق واكتشاف الذات ، والحيلولة دون الذوبان بعد أن كادت الجالية - بطبيعة ثقافتها وفقرها وظروف هجرتها - أن تذوب في

■ مطلوب من الجامعات الإسلامية المساهمة بتقديم الخبراء والمناهج الدراسية والأساتذة الزائرين للمعهد الإسلامي الأوروبي ، لتحقيق أهدافه في التصدي للتيارات الهدامة والمبادىء المنحرفة ، وفي إعداد دراسات موضوعية عن الإسلام ..

تأصيل الوجود الإسلامي في أوروبا بعد مرحلة اكتشاف الذات

استطلاع

المجتمع ، وإن كان الأمر لا يعدم بعض الضحايا ...

والسؤال الآن .. هل استطاع المسلمون هنا أن يحققوا شيئاً في إطار البلجيك في دعوتهم إلى الإسلام ؟ هذه نقطة .. والنقطة الثانية هي : كيف تتصورون مستقبل العمل الإسلامي في بلجيكا بصفة خاصة وفي أوروبا بشكل عام من خلال معايشتكم لهذا العمل في أكثر من بلد أوروبي ؟

— لا شك أنه في خلال ربع قرن من الزمن ، ومن خلال تواجد الجالية الإسلامية في أوروبا ونمو عددها بشكل مستمر ، نستطيع أن نقول : إن التجربة الإسلامية زادت زيادة واضحة ، وإن الصحوة الإسلامية قد نمت من خلال العناصر على مختلف المستويات ، ويتمثل ذلك في سعة الثقافة الإسلامية ، ولا أقصد بالثقافة هنا المعلومات ، وإنما على مستوى التحصيل الذي ينعكس على السلوك أيضاً ، ونلاحظ أبعاد هذه الصحوة ليس في إطار الطلاب فقط الذين كانوا هم الرواد في هذا المجال ، وإنما انتقلت إلى إطار الجالية بصورة عامة ، وتمثلت بوضوح في الأبناء ..

■■ هذا في الحقيقة أمر ضروري ، لأن الطلاب يعودون إلى بلادهم ، ولابد من العمل على القيام الذاتي للإسلام في أوروبا ..

— أستطيع أن أقول الآن في إطار المدن - باعتبارها المكان الذي تعيش فيه الجالية - وفي إطار الجامعات باعتبارها المجال الذي ينشط فيه الطلاب ، لا تكاد توجد مدينة أو جامعة تخلو من جمعية إسلامية .. أيضاً - إلى جانب الجمعيات التي شكلت في المدينة ، هناك الاتحادات : اتحاد الطلبة المسلمين في أوروبا ، ونظيره ، الذي تشكل مؤخراً ويُعرف باتحاد العمال المسلمين في أوروبا

■ حقق الاعتراف بالدين الإسلامي في بلجيكا للمسلمين إمكانية إنشاء المدارس الإسلامية كمؤسسات خاصة ■

■ الحديقة الخمسينية في بروكسل - حيث يقوم المسجد الجامع والمركز الإسلامي والثقافي ■

■ حلقة الحوار التي نظمها المعهد الإسلامي الأوروبي وحضرها مدير المركز محمد العلويني ومجموعة من الدارسين من معلمي مادة التربية الإسلامية بالمدارس البلجيكية ■

أيضاً ، وقد أخذ دوره من الناحية القانونية ومن الناحية الاجتماعية ، وأصبح يرعى شؤون العمال المسلمين وحقوقهم الاجتماعية ومصالحهم على مختلف درجاتهم ، وهو يتنامى شيئاً فشيئاً .

[لنا لقاءات مع مسؤولي اتحاد العمال المسلمين ، واتحاد الطلبة المسلمين في أوروبا ننشر تفاصيلها في أعداد قادمة ـ بإذن الله ـ في إطار مناقشة أبعاد العمل الإسلامي في الغرب] .

لكن على الرغم من هذه المظاهر الطيبة التي يراها الإنسان متمثلة في هذه المؤسسات والهيئات ، يجب أن لا يأخذنا الغرور كثيراً ، ذلك أن هناك عوامل شتى تتكالب على المسلمين من مختلف الجهات لمحاولة تفكيكهم وفك رباطهم عن الإسلام ، والكيد لهم بإبعادهم عن الطريق المستقيم ، ودفعهم إلى الرذيلة وإلى الجريمة والمخدرات ، وقد نجد هذا متمثلاً في المستويات الفقيرة في المجتمع الأوروبي ، وهي ظروف الحياة الاجتماعية نفسها التي يعيشها المسلمون بصورة عامة ، الأمر الذي يجعلهم ـ إن لم يكونوا مصونين صيانة طيبة ـ معرضين لهذه التيارات .. لذلك ، فالخطورة هنا خطورة كبيرة على مستقبل الجالية الإسلامية ، لأننا كنا نتوقع ـ في الأصل ـ أن المسلمين الذين وفدوا لهذه البلاد للعمل ، قد وفدوا بصفة مؤقتة وأنهم سيعودون إلى بلادهم ، ولكن ، وبعد أن ظهر الجيل الثاني من أبنائهم ، لا تدل الظواهر عملياً أنهم سيعودون في القريب ..

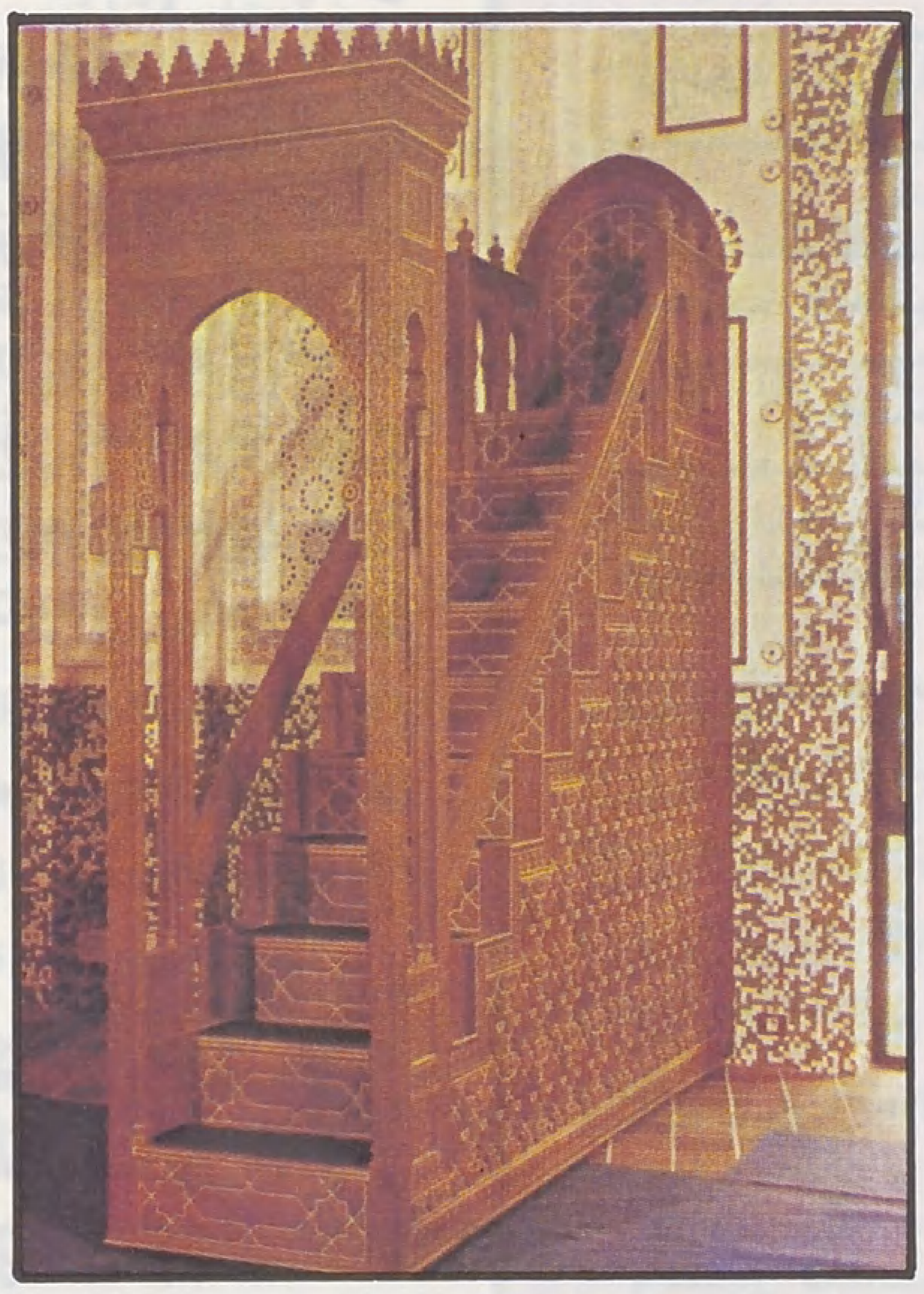

■ منبر المسجد ...
صورة رائعة للفن الإسلامي المغربي ■

■ جانب من محطة الإذاعة الإسلامية
إحدى وسائل نشاط المركز ... ■

■■ في الواقع اشتراط العودة أمر غير وارد بالنسبة للقضية الإسلامية ، فالإسلام لا يخص بلداً معيناً ، والمطلوب من المسلمين ـ أينما كانوا ـ أداء رسالة الإسلام ، فلا بد من التفكير على المدى البعيد بتأصيل الوجود الإسلامي في أوروبا ، من خلال الفهم الصحيح للإسلام ومتطلبات العقيدة والدعوة ، سواء عاد المبتعثون أو عاد العمال أو لم يعودوا ، لا بد من أن توجد منارات إسلامية صحيحة لتعريف أوروبا بالإسلام السليم وتفكيك عقدة الحروب الصليبية التي تعيش من وراء مواقعها إلى اليوم ، لا بد أن تعرف أوروبا شيئاً صحيحاً عن الإسلام وأنه دين الإنسانية جمعاء ، وأنه قدر الإنسانية في هذا العصر ، بعد أن أفلست الحضارة الأوروبية المادية ـ

بشرط أن يكون المسلمون في سوية إسلامهم وأن يكونوا مؤهلين للوراثة الحضارية ..

ـ وبالإضافة إلى ذلك ، هناك عامل لا بد أن نشير إليه .. هو أن أوروبا التي استقدمت اليد العاملة ـ في فترة من الفترات ـ حينما كانت في حاجة إليها ، أصبحت الآن ـ وهي تعاني من الأزمة الكبرى ـ مضطرة إلى حد ما إلى التخلي عن بعض هذه الأيدي العاملة والتخلص منها ، ليس بمجموعها ، لأننا نستطيع القول بأن بعض الأعمال التي يسمونها « **الأعمال الوضيعة** » لا يقدم عليها الأوروبيون ، وهي لا تزال بأيدي العمال المسلمين ، وعدا ذلك فإن الأوروبيين يعتقدون الآن أن الجالية الإسلامية تصارعهم على لقمة العيش أو على رغد العيش ، فقد بلغوا شأواً من الرفاهية ، وحين نذكر الرفاهية ، فيجب أن نذكر أن سببها إنما كان هؤلاء الذين يسعون إلى التخلص منهم اليوم .. ولهذا فإننا نجد على مستوى أوروبا ؛ حدّاً من الهجرة ، بمعنى عدم استقدام عمالة جديدة ، الأمر الذي أدى إلى رد فعل معاكس ، حيث لم يعد في نية الذين كانوا يريدون العودة إلى بلادهم ـ التفكير مرة أخرى في ذلك ، لأنهم يخشون أن لا تتاح لهم فرصة الرجوع إلى أوروبا مرة أخرى ، وبهذا فإنهم يشكلون أجيال الجالية الإسلامية المستقرة في أوروبا في المستقبل المنظور ، ويقع على عاتقهم تأصيل الوجود الإسلامي في أوروبا .. الأمر الذي يحتاج إلى جهد كبير ودعم أكبر ...

الكتاب : الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين
المؤلف : الدكتور فايد عاشور
الناشر : دار الاعتصام ـ القاهرة

□□ بعد نجاح الصليبيين في احتلال بيت المقدس ، جاهد المسلمون سنوات طويلة دون كل ونجحوا في القضاء على مملكة بيت المقدس اللاتينية الصليبية ، وحرروا المدينة المقدسة وطهروها من الرجس والدنس ... وتم لهم ذلك بعدما انتصروا على أنفسهم وذواتهم ، وتغلبوا على أهوائهم وشهواتهم ، وما أحوجنا في هذه الأيام التي تشبه إلى حد كبير أيام الغزو والاحتلال الصليبي حيث عادت الفرقة والاختلاف بين المسلمين ووقعت الأرض المقدسة بين براثن اليهودية العالمية بأحلامها التلمودية وأحقاد القرون ، ما أحوجنا إلى تدبر تلك الفترة من تاريخنا ...

والدكتور فايد في كتابه هذا يستقرىء الأحداث ويمحص القضايا ليحاول أن يقدم للأمة من خلال معاناتها الماضية ما تهتدي به للخروج من ظلمات حياتها الحالية ، ويتخذ من تاريخ الدولة الأيوبية المثل لذلك ، لأن الأيوبيين جاهدوا في سبيل الله ولإعلاء كلمته ، وقاتلوا أعداء الإسلام من صليبيين وباطنيين وسواهم ، واعتمدوا على المسلمين كافة دون نظر إلى جنس أو عرق أو لون ...

كما أنهم تعرضوا لظروف صعبة مرت بدولتهم فعالجوها بروح إسلامية ، ولم يتعللوا بقوة عدو ولا بتفوقه ، رغم تكالب الصليبيين عليهم من كل جانب ، ليتنازلوا عن شيء اعتقدوه أو آمنوا به ..

والكتاب يتكون من ثمانية فصول ، جعل أولها للحديث عن ظهور صلاح الدين الأيوبي رحمه الله ووصوله إلى السلطة ، وثانيها للحديث عن جهاده قبل موقعة حطين والجهود التي بذلها في هذا السبيل ، أما الفصل الثالث فجعله مقتصراً لإيراد « انتصارات إسلامية وهزائم صليبية » خاصة حطين وفتح بيت المقدس وتطهيره ؛ وفي الفصل الرابع كان الحديث عن الحملة الصليبية الثالثة ومقاومة المسلمين لها وصمود مدينة عكا ، وخيانة بعض الأعراب وهدنة الرملة مع الصليبيين ... وفي الفصل الخامس يصف أحوال الدولة الأيوبية بعد وفاة صلاح الدين رحمه الله ..

أما الفصل السادس فقد قصره على بيان جهاد السلطان العادل الأيوبي ضد الصليبيين ...

وفي الفصل السابع تحدث عن موقف السلطان الكامل من الصليبيين ... أما الفصل الثامن فقد بين فيه جهاد السلطان الصالح نجم الدين أيوب ضد الصليبيين ، ووقوفه في وجه حملاتهم ، وكيف تمكنوا من احتلال دمياط ؟ وكيف تم النصر للمسلمين عليهم رغم وفاة السلطان الصالح وأسر الملك لويس التاسع .. □□

الكتاب : كتاب المحن
المؤلف : أبو العرب محمد بن أحمد التميمي
المحقق : الدكتور يحيى وهيب الجبوري
الناشر : دار الغرب الإسلامي بيروت

□□ يتناول الكتاب موضوع المحن كما جاءت في الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين ، ثم يعرض لمقاتل الخلفاء الراشدين الثلاثة عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، ولما نزل بالصحابة والزهاد والفقهاء والعباد والقادة والولاة والمحدثين والقراء من محن ، مثل : الترويع والسجن والتعذيب والتغريب والقتل والصلب وغير ذلك ... متبعاً التسلسل التاريخي منذ عهد الصحابة حتى زمن المتوكل العباسي ...

ويتناول بالتفصيل محنة القول بخلق القرآن (المعتزلة) وما نزل بالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله والفقهاء الذين لم يقولوا بخلق القرآن من بلاء وشدة وضرب وحبس وقتل وتعذيب ... والكتاب في هذا الباب قد ياتي بمعلومات جديدة ينفرد بها .

ويعتمد المؤلف في كتابه على الرواية ، ويُعنى عناية كبيرة بالسند ، وقد يروي الخبر من أسانيد عدة فيوحد بين الروايات ، كما كان يرجع إلى الكتب وينقل منها ، وكان أميناً في الإشارة إلى تلك الكتب التي يرجع إليها ، وإذا كان محدثه استقى من الكتب يذكر ذلك ويبين نسبة الكتاب إلى صاحبه ...

قام محقق الكتاب بالتعريف بمؤلفه وبمنهجه وترجم للاعلام الذين وردت أسماؤهم في الكتاب ، إلى جانب تصحيح الأخطاء والأوهام التاريخية ، كما يسر الكلمات والتعابير الصعبة التي قد تغمض على القارىء ، وصحح بعض الاضطرابات الحاصلة في المخطوطة التي اعتمدها لتحقيق الكتاب ، كما قام بتخريج الآيات القرآنية ، وعزا كل حديث إلى موضعه من كتب الصحاح أو غيرها من كتب الحديث ، إلا أن جملة من الأحاديث لم ترد في هذه الكتب ، لكنها وردت في كتب التاريخ والأدب والمعجمات فأشار إلى ذلك ... وقد ألحق بالكتاب فهرساً للآيات القرآنية التي وردت فيه وآخر للأحاديث الشريفة ، وثالثاً للشعر ، ورابعاً للأعلام ، وخامساً للقبائل والأمم والأقوام ، وسادساً للمواضع والبلدان والوقائع والأيام .. □□

الكتاب : النظرية الإسلامية في فلسفة الدراسات الاجتماعية التربوية
المؤلف : الدكتور عبد القادر هاشم رمزي
الناشر : دار الثقافة ـ الدوحة

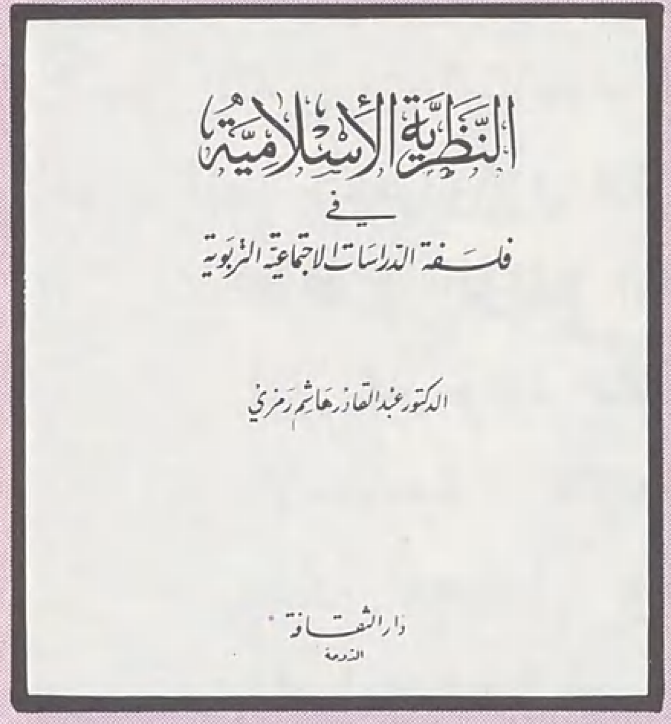

□□ الكتاب في أصله أطروحة تقدم بها المؤلف للحصول على درجة الدكتوراه في الفلسفة ، يتكون من مقدمة عرفت بالدراسة من حيث الفرضية التي تستند إليها ، ومن حيث التعريف ومسوغات طرحها ، ومن حيث

الكتاب : تحريم لحم الخنزير في العلم والدين

المؤلف : الدكتور سليمان عمر قوش

الناشر : دار الثقافة - الدوحة

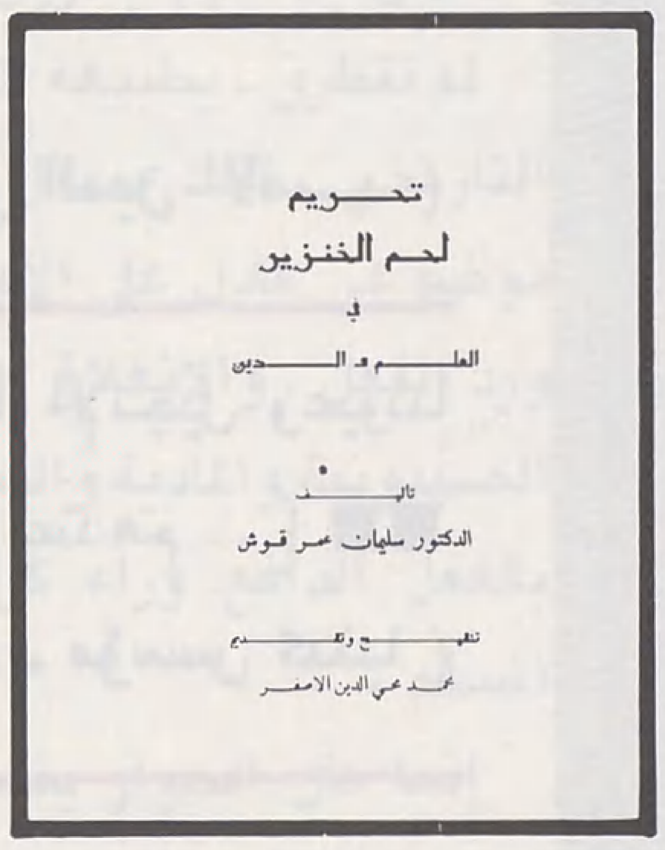

□□ تأتي هذه الدراسة على وجازتها في وقتها المناسب لتسد فراغاً في المكتبة الإسلامية وتقدم للمسلم ما يقوي إيمانه، وتمده بما يمكنه من الثبات في وجه الزعازع التي تحاصره وتحاول أن تقتلعه من جذوره بعيداً عن هذا الدين - إن استطاعت - وقد تناولت هذه الدراسة موضوع «تحريم لحم الخنزير» من جميع جوانبه، حيث مهدت له بمدخل وضحت فيه العلاقة بين الأحكام الشرعية بصورة عامة وبين العقيدة الإسلامية من جانب، والعلاقة بينها وبين الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها من جانب آخر، ثم تناولت من قائمة الممنوعات في الأحكام الشرعية: قضية أكل لحم الخنزير، بحيث يدرك القارىء مكان هذا الموضوع في إطاره الإسلامي العام وعلاقته بصحة الإنسان وحياته التي هي من الكليات الخمس التي جاء الإسلام ليحافظ عليها ويقيمها، وهي: الدين والنفس والعقل والنسل والمال...

ومما يميز هذه الدراسة: ما حشدته من معلومات قديمة غابرة، وحديثة معاصرة، حيث استعرضت آراء الأقدمين من الفلاسفة والأطباء، وآراء المعاصرين من الباحثين الذين استقصوا أنواع الطفيليات والجراثيم الموجودة في الخنزير ولحمه، والأمراض التي تنتج عن التغذي بهذا اللحم، فكانت النتائج مخيفة، والإحصائيات للإصابات والوفيات رهيبة رعيبة...

ولم تقتصر هذه الدراسة على آراء العلم والطب والفلسفة، بل استعرضت أيضاً ما جاءت به الديانات السماوية والوضعية (اليهودية - الهندوسية - الزرادشتية - البوذية - الكونفوشيوسية - النصرانية) واستشهدت ببحث كتبه أحد الرهبان النصارى، وهو أحد شهود القضية من أهلها وممن يتعاطاها...

وختمت ذلك كله بشرح بعض آيات كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وجعلت ذلك مسك الختام... ومما يجب ذكره أن المؤلف الدكتور جزاه الله خيراً حاول أن يستقصي لياتي الموضوع متكاملاً فيه الخير للناشئة المسلمة إن شاء الله، وقد جعل ريع هذه الدراسة للمجاهدين في سبيل الله ولإعلاء كلمته... □□

الكتاب : الصحافة القطرية نشأتها وتطورها

المؤلف : أسامة نور الدين وحسين أحمد محمد

إشراف : الدكتور أحمد حسين الصاوي

المطبعة : مطابع الدوحة الحديثة - قطر

□□ يسجل الكتاب نشأة الصحافة القطرية وتطورها استجابة لحاجة ملحة بسبب خلو المكتبة العربية وغيرها من كتاب أو مرجع شامل حول هذا الموضوع، وهو عمل توثيقي سوف يفيد منه الباحثون والدارسون والعاملون في مجال الصحافة...

يتألف الكتاب من تقديم كتبه المشرف الدكتور الصاوي، ومقدمة حول ارتباط الصحافة بالمجتمع، واهتمام المجتمعات النامية بالصحافة لما لها من قوة ودور فعال في المجتمع... ومن خمسة فصول، جاء الأول مدخلاً للموضوع متناولاً نبذة تاريخية عن قطر ومظاهر حياتها الثقافية وأثر ذلك في التمهيد لنشأة الصحافة..

والثاني: تضمن نشأة الصحافة الأهلية والبدايات الأولى لإصدار الصحف، ومراحل تطورها حتى نهاية عام ١٩٨٢م.

والثالث: تناول الصحافة الحكومية من حيث نشأتها وتطورها.

والرابع: تناول واقع ومستقبل الصحافة القطرية والعوامل التي أثرت في تطويرها، ودورها الذي أدته في المجتمع...

والخامس: تضمن التشريعات الصحفية في دولة قطر (قانون المطبوعات والنشر المعمول به ونص ذلك القانون)..

وحوى الكتاب أيضاً بعض الصور لبعض المؤسسات الصحفية في قطر، وفهرساً بمصادر الكتاب ومراجعه... □□

ملامحها الأساسية، إلى جانب التعريف بخطة الدراسة...

ومن قسمين، بيَّن في القسم الأول منها مصادر النظرية من حيث أصالتها ومعقوليتها، وانتهت إلى أن القرآن الكريم هو المصدر المقياس لكل تنظير إسلامي، وأن السنَّة مبينة للقرآن متكاملة معه، وأن التأسي بالرسول ﷺ والاقتداء به مصدر من مصادر التنظير والعمل... أما الصحابة فإجماعهم مصدر من مصادر العمل، وأما اجتهاداتهم فيستأنس بها لمكانتهم وثناء الله عز وجل ورسوله ﷺ عليهم، وهل جيل القدوة الذين ربَّاهم محمد ﷺ.. أما التابعون وتابعوهم وأئمة المسلمين ومجتهدوهم فهم قدوة في الضبط وبذل الجهد والاعتصام بالكتاب والسنة، والأمانة والمحافظة على الأصول، وفي تأصيل الأصول وتقعيد القواعد...

وأما التاريخ فهو المسار الذي بدأ والعبرة منه قائمة يجب على الجماعة المسلمة إدراك هذه العبرة، واكتساب الخبرة لتدارك ثغرات وأخطاء الماضي، ومواجهة المعوقات الحاضرة، واستئناف المسيرة الخيرة...

وتناول القسم الثاني من الكتاب بناء النظرية موضوع الدراسة، الذي اقتضى مواقف مقارنة، دُرست فيها تحديدات مطروحة من قبل بعض أشكال التنظير الوضعية (غير الإسلامية) وتحليل بنية كل مفهوم من المفاهيم الأساسية الستة وهي: مفهوم الشخصية - التفكير - الثقافة - المجتمع - العملية المجتمعية التربوية - القيادة... وتحديد واقعه من الناحية الإسلامية، ورصد المفاهيم الفرعية المرتبطة به وبيان واقعها...

وتبقى هذه الدراسة التي حاولت أن تقدم تصوراً إسلامياً في فلسفة الدراسات الاجتماعية والتربوية، تبقى وجهاً من أوجه الفهم الإنساني لجانب من جوانب الفكر الإسلامي، مطروح للمناقشة ولكل باحث من أجل بذل الجهد في استكمال الصورة في هذا الجانب أو في جوانب أخرى، من منطلق أن النصوص الإسلامية الصحيحة كاملة متتامة لكن الجهد الإنساني قد يقصر عن الإحاطة بصور تتامها أو أشكال كمالها في هذا الجانب أو ذاك... وهي محاولة لتقديم البديل الإسلامي للتحديات غير الإسلامية التي يتعامل بها الباحثون والدارسون مع هذه المفاهيم.. □□

تصريحات وأقوال

■■ [إن العالم الذي يُحارب العنصرية يجب أن يعلم أن المسلمين يتعرضون اليوم لنوع من الاضطهاد العنصري أو العقائدي ، تسانده بعض القوى الطاغية ..] ■■

(جاد الحق علي جاد الحق ـ شيخ الأزهر)

■■ [اللغة هي وسيلة للتفكير كما هي وسيلة للتعبير ، ولا يمكن أن يؤصل الفكر العلمي لأمة من الأمم إلا بلغة هذه الأمة ، ومن أجل هذا فإن المدارس العليا والجامعات في بلادنا كثرت وانتشرت وبعضها مر عليها قرن ، ولكن لأنها تُعَلِّم بلغات أجنبية لم يستطع العلم أن يتقدم] ■■

(الدكتور ناصر الدين الأسد)

■■ [عندما جاء الانكليز ، كانت عندنا الأراضي فقدموا لنا الإنجيل وعيوننا مغمضة ، وعندما فتحنا عيوننا وجدنا إنجيلهم عندنا وأراضينا عندهم ..] ■■

(جومو كينياتا ـ مؤسس كينيا)

■■ [لن يكون هناك سلام في الشرق الأوسط .. ولن تكون هناك حرب] ■■

(بريجينيف)

■■ [كما قمنا بإعادة بناء الحي اليهودي بالقدس ، فإننا سنقوم بإعادة بناء وتوسيع حجم الحي اليهودي في مدينة الخليل الذي تهدم عام ١٩٢٩م ..] ■■

(« موشي آرينز » وزير حرب يهود في البرلمان الإسرائيلي)

■■ [إن مصلحة التاج البريطاني تكمن في الالتفات إلى أمور أكثر أهمية من مسألة الاتجار مع شعوب الشرق ، وإن هذه المصلحة تتحقق في البحث عن الميراث الثقافي ، خاصة في منطقة جزيرة العرب وسورية .. مهد الحضارات القديمة المتفاعلة مع الفكر الإسلامي] ■■

(المستشرق البريطاني : سير جون جيلكريست)

■■ [هناك علاقة قوية جداً بين السياسة واللغة العربية ، لأن حركة التقدم السياسي مربوطة بنوع من الترقي اللغوي ... إن الوهن والضعف الذي أصاب الدول الإسلامية امتد إلى اللغة العربية أيضاً التي تعرضت للاضطهاد .. ولغتنا اليوم هي انعكاس لواقع العرب ..] ■■

(الدكتور عبد الله النفيسي)

■■ [نحن نعبد السلاح الذي ـ من خلاله ـ نكتشف صورة الإله] ■■

(جوفند سينج ـ أحد قادة طائفة السيخ بالهند)

● الشيخ جاد الحق ●

● ناصر الدين الأسد ●

● جومو كينياتا ●

● بريجينيف ●

٦ حتى يتبين لهم أنه الحق

يكتبها
دكتور : عماد الدين خليل

تأثيرات السلوك

■■ في حوار مع صديق عائد من الغرب طرح هذا السؤال : ما الذي يجعلهم ينفرون منا ؟

لم نتطرق - بطبيعة الحال - للبعد المذهبي أو الديني ، أو حتى التاريخي ، فتلك مسائل أخرى قد لا يكون للغربي فيها أي مبرر موضوعي عادل على الإطلاق اللهم إلا مبرر الحقد ، والمصلحة ، ورد الفعل ، والانغلاق الديني ، وسموم الأنشطة المضادة خاصة الصهيونية والمادية والتنصيرية .. وما شئنا من سلبيات قد تكون بالفعل الدافع وراء كراهية الغرب الصليبي والمادي للشرق المسلم ..

إنما كان الحوار ينصبّ على نقطة محددة ، كنا نجد أنه في إطارها المحدّد هذا قد يكون للغربي أن ينفر من الشرقي المسلم والعربي على وجه الخصوص ، وهو أمر يعرفه جيداً معظم الدارسين هناك من طلبتنا أو الذاهبين إلى هناك من الأساتذة والمتطببين والسياح

بعضهم يحيله على الدوافع التي ألمحنا إليها قبل لحظات ، فيحاول بذلك أن يتحايل على الأسباب الأكثر مباشرة وقرباً ، وبعضهم يحاول أن يتعامى عنه ولا يكترث به رغم أنه واقع مشهود .. وفئة ثالثة أقرب إلى الموضوعية وأكثر إحساساً بضرورة تجاوز « الوضع السيء » تسعى لوضع يدها على الأسباب علّها تنجح في أن تجد دواءً للداء المستعصي .

جرّنا الحوار إلى تركيز المسألة بكلمتين فحسب : تأثيرات السلوك ! فإن الشرقي المسلم ، والعربي على وجه الخصوص ، قلما يسعى ، وهو يحيا لفترات قد تطول وقد تقصر في لندن أو أدنبرة أو اكسفورد أو باريس أو ليون أو ميونيخ أو روما .. أو واشنطون أو موسكو .. أو غيرها .. للتحقق بسلوك متحضر ، مقبول ، ولا أقول متديّن ، لأن معظم الذاهبين إلى هناك ليسوا متدينين رغم أن الدين ، هو في ناحية من نواحيه ، الضمان الوحيد للسلوك المتحضر الموزون ..

فبمفردات السلوك الجافي ، غير المتحضر ، يمارس أصحابنا هناك خطيئة فادحة بحق كل ما هو عربي مسلم أو شرقي .. إنهم ، أو الغالبية منهم بعبارة أدق ، يضربون مثلاً عملياً يؤكد للقوم ، بالمنظور والملموس ، مدى تخلفنا عنهم .. مدى جفائنا المتأصل في العروق ويريهم الفارق الكبير بين المستوى الحضاري الذي بلغوه والمستوى المتدني الذي يخيّل إليهم ، بما يرونه من هذه المفردات السلوكية ، أن الشرق المسلم ، والعرب على وجه الخصوص يتخبطون فيه

تحدثنا بألم عن كثير من الحالات السيئة وضربنا الأمثلة على العديد من المفردات ، مارسها هذا الرجل أو ذاك ، وقدمها للخصم وسيلة إعلام سيئة تتحول على أيديهم إلى سلاح مضاد ، وتستقر في نفوسهم وعقولهم مزيد كراهية ونفور وازدراء ..

ليس ثمة مسوغ لطرح الشواهد ولا أعتقد أن ذي عينين يخفى عليه ما يجري هناك على أيدي العديد من الدارسين والسائحين في عواصم الغرب .. في المتنزهات والفنادق والأسواق المركزية والنوادي والمسارح والمقاهي والحانات والمباغي والأزقة والشوارع .. وحتى في الشقق وغرف المنام .

مفردات سلوكية ، متدنية ، جافية ، تحدث عنها الكثير من العائدين ، أما الغربيون فلم يكتفوا بالحديث عنها ، والتقزز منها ، وإنما تجاوزوا ذلك - بنزعتهم البراغماتية النفعية المعروفة - إلى استغلالها أدوات دعاية مضادة وابتزاز للأموال والأخلاق والعقول .. بل انهم تجاوزوا ذلك إلى نوع من الاستعباد والقنانة يفرضونها على أولئك الذين ارتضوا ، بالشهوة الساقطة والسلوك المتدني ، أن يغدوا أدوات بأيدي مراكز التوجيه الغربي ، يدفعون بها إلى الشرق لكي تؤدي دورها المرسوم ضد الأمة .. والوطن .. والعقيدة ..

وتذكرنا بأسى ، والحديث يدلف منا من مسألة لأخرى ، كيف أن سلاح السلوك المنظور هذا كان بأيدينا يوماً ففتحنا به العالم ، وكسبنا عقل الإنسان وقلبه ، وخفقت راياتنا في كل مكان .. وكيف أنه يتحول اليوم إلى سلاح مضاد ، نشهره ضد أنفسنا فننحسر في خرائط العالم ، ونزداد انكماشاً وتضاؤلاً .. ونرغم على أن ننزوي ، وسط إحساس غامر بالتية والمهانة ، وأكثر من مركب نقص تجاه كل ما يتعلق بخصومنا أياً كان موقع هؤلاء الخصوم ..

قلت لصديقي : لقد رأيت نماذج منهم وهم يتحدثون ، بتباهٍ ، عما فعلوه هناك مع هذه الألمانية أو تلك ، وفي هذا البار أو ذاك ، ووسط هذه المناسبة العائلية أو تلك .. لقد أصابني القرف والاشمئزاز وأنا أتمثل ممارساتهم هناك .. شيء يثير الاحتقار حقاً ، وهم أبناء بلدي ، محسوبون على الأرض التي أنتمي إليها فكيف بالغربيين (الغرباء) ؟ كيف بالغربيين (الخصوم) ؟ كيف بأعداء ديننا ووطننا إذا نظروا إلى هذه الممارسات الدنيئة ، الجافية ، البعيدة عن مطالب التحضر ، فضلاً عن مطالب الأخلاق والدين ؟ ماذا هم متصوّرون ؟ وماذا سيبنى على تصورهم هذا من مواقف وأحكام وسياسات !؟ ■■

بقلم : فــوزي صـــالح

حـــول الروايــة الإسلامية

■■ الالتزام في الأدب قضية قديمة ، ومعادة ، شغلت الأدباء والنقاد العرب ، وغير العرب . . . وما تزال شاغلهم الأكبر حتى الآن ، فمنهم من يؤمن بمبدأ الكتابة للكتابة (المدرسة التعبيرية) ، ومنهم من يؤمن بمبدأ التفاعل والاندماج ، أي التزام الأديب في كتاباته بقضايا عصره ومجتمعه السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ورفض كل ما عداها (المدرسة التأثيرية) ، ومنهم المعتدلون الذين يؤمنون بحياد الأدب ■■

وطبيعي أن تتباين وجهات النظر حول وظيفة الأدب ، ومدى مسؤولية الأديب ، وإذا جرتنا هذه التوطئة إلى الحديث عن الرواية الإسلامية كنوع من أنواع الكتابات الأدبية ، ونظراً إلى المطروح منها خلال العشرين سنة الماضية ، لهالنا أن بضعة أسماء تعد على أصابع اليد الواحدة قد اضطلعوا بها كل حسب إمكاناته ، وظروفه ، أذكر منهم « **سعيد العريان** » ، و « **علي أحمد باكثير** » ، و « **عبد الحميد جودة السحار** » ، و « **نجيب الكيلاني** » ، وقد يتساءل بعضهم .. لماذا لم أضف « **طه حسين** » و « **جورجي زيدان** » و « **نجيب محفوظ** » إلى قائمة الروائيين والقصاصين الإسلاميين خصوصاً وأن معظم كتابات **طه حسين** الأخيرة كانت تدور حول موضوعات إسلامية ، وأن روايات **جورجي زيدان** ـ رغم نصرانيته ـ كانت تتكىء على التاريخ الإسلامي ، والفتوحات الإسلامية كمنبع أساسي لها ، كما أن « **نجيب محفوظ** » قد اتجه في بعض قصصه إلى طرح تصور لبعض الأمور المتصلة بالعقيدة الإسلامية كالبعث والحساب .. **لكنهم إذا ما أمعنوا النظر في طروحات « طه حسين » الإسلامية لوجدوا أنها رؤية تاريخية بحتة متأثرة إلى حد كبير بآراء ونظريات المستشرقين الحاقدين على الإسلام (مرجليوث وغيره ...)** ولا يمكن عدها في عداد الروايات الإسلامية التي نصبو إليها ، ولا تعدو كونها ـ ردود فعل ـ مقصودة لسقطات اجتماعية وسياسية (راجع كتابيه ـ الشعر الجاهلي ، ومستقبل الثقافة في مصر) ..

أما روايات « جورجي زيدان » فقد كتبت لتشويه ومهاجمة الإسلام ، مظهرة حكامه وقواده العظام في صورة اللاهين العابثين الذين لا هم لهم إلا المتعة والبذخ ، كما صوَّرت الانتصارات الإسلامية على أنها مجرد صُدفٍ ، أو خيانة في صفوف الأعداء (العباسة أخت الرشيد ، وأرمانوسة المصرية ..) .

أما معالجات « نجيب محفوظ » الدينية (بعض قصصه القصيرة ـ كالسماء السابعة وغيرها) مع اعترافنا بداءة بأستاذيته في فن الرواية والقصة ـ فينقصها الانتماء والثبات العقيدي والرؤية الصائبة لأمور لا تصح الحيرة أو الجدل في ماهيتها ، وهي مجرد تهويمات غير مدروسة لنواح لا يجوز أن يتصدى لها غير دارس ـ على افتراض بأنه حسن النية ـ وبأن تصوره مجرد اجتهاد جانبه الصواب ...

قلت في صدر حديثي : إن ساحة الرواية الإسلامية خالية الآن إلا من بضعة أسماء تعد على أصابع اليد الواحدة ..

ذكرت منهم « **نجيب الكيلاني** » وهو الأغزر إنتاجاً ، و « **نجيب الكيلاني » ابن بار للثقافة الإسلامية الأصيلة ، تربى في رحاب القرآن الكريم ، ونهل من معينه الثر الذي لا ينضب عطاؤه صبياً ثم شاباً ثم رجلاً كامل النمو الفكري والعقلي لذا فلا عجب أن يكون اتجاهه إسلامياً خالصاً (انظر روايته ـ الطريق الطويل ..) ، ولا أكاد أعرف روائياً اسلاميا غيره مزج الخيال الأدبي ـ الفن ـ بالتاريخ ـ الإسلامي ـ وخرج بهذا المزج (الفنتأريخي)** الذي لا ينكره رجال الأدب ولا يغضب رجال التاريخ ، وعلى الرغم من أن ـ **الكيلاني** ـ ما زال متمسكاً بكلاسيكيته القديمة في المعالجة والحوار ، إلا أنه تخلص من الكتابة عن البيئات الشعبية المغلقة

■ الدكتور نجيب الكيلاني ■

■ باكثير ■

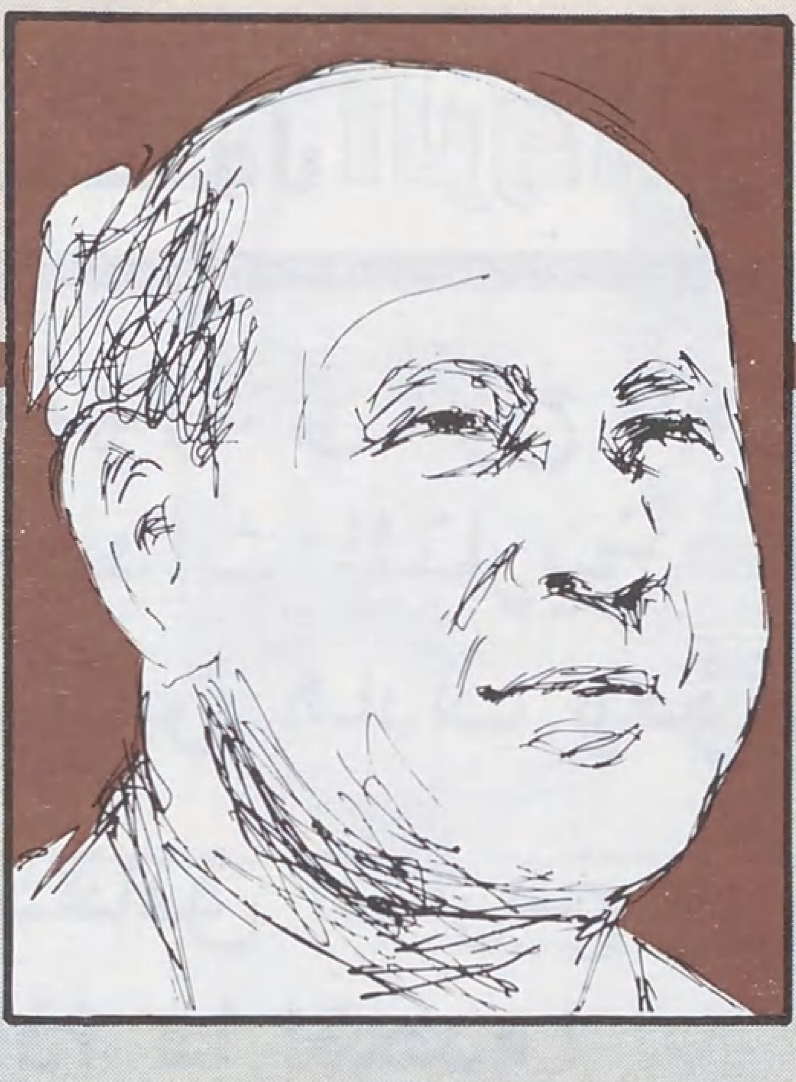

■ عبد الحميد جودة السحار ■

■ قضية الأنموذج المفتقد في عصرنا ، تدفع الأديب المسلم إلى استعارة شخصية تاريخية لها دور بارز في الإسلام . ليجد من خلالها قيم الإسلام ومبادئه السامية ، ويوظفها في إبراز تصوره الإسلامي في القضايا التي يتصدى لها ..

بعكس الحال مع **نجيب محفوظ** ، وانفتح على البيئات الأكثر رحابة وشمولاً ليغطي الهدف الكبير الذي سعى إليه (سلسلة رواياته الحديثة : **نور الله ـ عمر يظهر في القدس ـ قاتل حمزة ـ عذراء جاكرتا ـ عمالقة الشمال ، وأخيراً رحلة إلى الله ..**) .

« نــــور الله » ..

وروايته (**نور الله**) التي نحن بصدد التعرض لها تصور الصراع الدامي الذي خاضته الدعوة الإسلامية إبان ظهورها ببساطتها وسماحتها وقوة بيانها في مواجهة اليهودية بدهائها وتاريخها وبأوتقراطيتها ممثلة في « **كعب بن الأشرف** » ، و « **حيي بن أخطب** » ، و « **كعب بن أسد** » يعضدهم فريق المشركين بقيادة « **أبي سفيان بن حرب** » ، وفريق المنافقين وعلى رأسهم « **عبد الله بن أُبَيّ بن سلول** » ، **ويعترف الدكتور بتهيبه ورهبته عندما شرع في كتابة الرواية فيقول :**

(**... ومن ثم فإني أخوض التجربة معترفاً بأن شيئاً من التهيب والرهبة يواكب خطواتي لما يتوهج به هذا العصر من عظمة فوق كل تصور وبطولات أسمى من كل وصف ـ مقدمة الرواية**) ، وتشير الرواية إلى خيانات اليهود المتوالية برغم المعاهدات التي أبرموها مع رسول الله ﷺ وبأنهم لا عهد لهم ولا خلاق ، يقول الدكتور في ص١٠٤ من الجزء الأول :

أقبل ـ حيي بن أخطب ـ تحت ستر الليل ، وقصد لتوه دار ـ عبد الله بن أبي ـ وكان لقاءً حاراً فياضاً بألوان المشاعر والانفعالات المتبادلة ، وانصرفا إلى مكان أمين لا يعكر وحدتهما فيه أحد ، وتمتم « عبد الله » : لقد أقبلت قريش لتثأر لعذابنا الطويل .. وأردف « حيي بن أخطب » : ولعذابها وأحزانها وشرفها المثلوم أيضاً .. قال « عبد الله » : هذا حق يا ابن أخطب .. إن دعوة ـ محمد ـ ترمي بسهامها في قلب أعظم مقدسات العرب ، وتواجه أضخم تجمعاتها في سذاجة وغرور .. ماذا يظن ـ محمد ـ ؟ هل يعتقد أنه قادر على ضرب العرب جميعاً ، وتغيير معتقداتهم ؟؟ أيحسب أنه بعدد من الأفكار والبيان الساحر قادر على تحويل العقول والمعتقدات الراسخة ؟.. والله لو أخذ العرب الخطر الإسلامي مأخذ الجد لسحقوه بين يوم وليلة .. » .

والرواية تشير كذلك إلى سماحة الإسلام مع خصومه ، وقصة زواج النبي ﷺ من « **صفية بنت حيي بن أخطب** » يذكرها التاريخ بتجلة وانبهار ، فعلى الرغم من أن « **حيياً** » كان عدواً لدوداً للإسلام والمسلمين ، ومات بسيف القصاص يوم ـ بني قريظة ـ إلا أن **الرسول الأعظم** ﷺ الذي قال الله فيه : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ نظر للأمر بعين الحكمة النبوية الصائبة فهو ﴿ **لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴾ يقول الدكتور في ص١١٧ من الجزء الثاني :

واقترب منها الرسول ﷺ وقال : « **لم يزل أبوك من أشد الناس عداوة لي حتى قتله الله ...** » ، **رفعت عينين صافيتين إلى الرسول وقالت** : « **يا رسول الله ، إن الله يقول في كتابه** ﴿ **وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ** ﴾ . **وقال الرسول** ﷺ **في قوة يقين ، ورجاحة عقل ، وفساحة صدر** : « **اختاري ، فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي ، وإن اخترت اليهودية ،**

■ المهارة في مزج الفن بالتاريخ ، يمكن بواسطتها توصيل بعض أحداث التاريخ ، بأمانة والتزام ، إلى الناس في ثوب روائي سلس هادف ومؤثر ..

■ حقائق التاريخ تؤكد أن الجولة في صالح الإسلام والمسلمين إذا ما اتحدوا ..

فعسى أن أعتقك فتلحقي بقومك .. » .. قالت صفية وقد أشرقت ملامحها بالحب والإيمان : « يا رسول الله لقد هديت الإسلام ، وصدقت بك قبل أن تدعوني إلى رحابك ، ومالي في اليهودية أرب ، وخيرتني بين الكفر والإسلام ، والله ورسوله أحب إلي من العتق والرجوع إلى قومي .. » .

وسرعان ما أعتقها الرسول وتزوجها .. صورة باهرة من صور التسامح والحنكة السياسية التي لا تتوافر لأعظم القواد والساسة .. والرواية تصور المكائد والدسائس التي كانت تحاك سراً خلف جُدُرِ « **بني قريظة** » وفي حصــون « **خيبر** » ، والمحاولات المستميتة لاغتيال الرسول الكريم ﷺ ، وتنتهي الرواية بفتح مكة ، ويحتشد أئمة العناد والحقد فيها هلعين أمام الرسول ﷺ ، ويتوجه إليهم الرسول ﷺ قائلاً :

« **ماذا تظنون أني فاعل بكم ؟ فيقولون : « خيراً ... أخ كريم وابن أخ كريم ...** » فيشير بيده الكريمة قائلاً : « **اذهبوا فأنتم الطلقاء ...** » ، ويتعالى التكبير والهتاف في أنحاء مكة .. وهكذا دخل **محمد** ﷺ أم القرى ، ودخل في ركابه التاريخ ، وقد فتح سجله الكبير ليسجل إلى الأبد أروع قصة خالدة .. القصة التي تمتد عبر القرون والأجيال تقهر التحديات ، وتحمل ـ نور الله ـ إلى شتى الأرجاء ... » وهذا الصراع وإن كان قد أختفى بعد سقوط « **خيبر** » إلا أنه ظل مختبئاً في الصدور ، يطفو على السطح قليلاً ، ثم يتقوقع من جديد .. وكانت نتيجته ما نراه الآن جميعاً .

لقد استطاع « **نجيب الكيلاني** » في روايته الطويلة ـ نور الله ـ أن يمزج بمهارة شديدة الفن بالتاريخ ، وهذه جرأة تحسب له ، **وما أحسب أن أديباً مسلماً غيره أقدم على هذه الخطوة الجريئة التي نجحت إلى حد بعيد في ـ توصيل ـ بعض وقائع هذه الفترة الحرجة من تاريخ الإسلام ـ بأمانة والتزام شديدين ـ في ثوب روائي سلس .. بعيداً عن التعقيدات التي يصادفها القارىء في بعض كتب السيرة ..**

« عمــــر يظهـــر في القــدس » ..

وإذا ما انتقلنا لرواية أخرى ، تصدرت رواية (**عمر يظهر في القدس**) قائمة الروايات الجادة .. العميقة .. الرفيعة المستوى حواراً وأسلوباً ومعالجة ، وهي امتداد حديث للرواية السابقة من حيث تصوير الصراع السابق ذكره ، وإن اختلفت طريقة العرض ، وتباينت المسميات .. « **فعمر بن الخطاب** » يعود للدنيا مرة أخرى (تصوراً بحتاً بعيداً عن فكرة التناسخ) ، ويظهر في القدس بالذات .. يقول الدكتور في ص ١٠ في حوار دار بين الراوي والقادم الغريب :

ــ « **سلام عليك** » ... صمت في ارتباك : « **من أنت ؟** » قال ، والابتسامة تعانق كلماته : « **فرض عليك أن ترد السلام على من يُقرئك السلام** .. » قلت وأنا ألهث : « **وعليك السلام .. فمن أنت ؟** » .. قال وقد أحنى رأسه حياء وتواضعاً : « **اسمي ـ عمر بن الخطاب ـ** » صرخت في دهشة : « **من ؟** » .

قال : « **ما الذي يزعجك ياولدي ؟** .. » قلت : « **حسبتك خليفة رسول الله ...** » قال : « **إنه كذلك ...** » ، ويدخل « **عمر** » المدينة بعد أن تنزاح الصدمة من نفس محدثه ، ويتجول في المدينة متعجباً من مظاهر التغيير التي طرأت على المدينة متذكراً زيارته الوحيدة لها ، ونكوصه عن الزيارة الثانية عندما تفشى بها الطاعون ، ويتلفت « **عمر** » حوله فيرى أشياء عجيبة ، ويسمع أصواتاً وأسماء لا يعرف كنهها .. السيارة .. الطائرة .. البندقية .. الراديو .. أمريكا .. روسيا ، ويجيبه مرافقه عن كل تساؤلاته ، ويتعرف على كل شيء .. أحوال المسلمين .. فظائع اليهود .. الاختراعات الحديثة ، ويصطدم ببعض المشاكل ولكنه بصدقه وإيمانه وصرامته يتخلص منها الواحدة تلو الأخرى .

ويبدأ ـ **عمر** ـ بعد جولات التكشف في إسداء النصح ، وعرض الحلول ، وذلك من خلال حوار صحفي ذكي قامت به إحدى الصحف اليهودية ، ومن خلال أحاديثه مع أصحابه ، ويتجمع من حوله أتباع كثيرون ، وترتعد السلطات هلعاً من خطورته خصوصاً وأن من اليهود من انضم لدعوته ـ **راشيل** ـ وتقرر السلطات بمخطط مدروس إلصاق التهم الدنيئة به بغرض تلويثه ، والقضاء عليه معنوياً فيصورونه ـ كذباً ـ في وضع غير لائق بخليفة رسول الله ﷺ مع تلك الفتاة المسماة ـ **راشيل** ـ لكنهم يفشلون فشلاً ذريعاً بعد أن نفت ـ **راشيل** ـ ما نشرته الصحف يقول الراوي في ص١٥٣ : « **دق قلبي ، وارتعشت**

■ الدكتور طه حسين :
رواياته الإسلامية كانت رؤية تاريخية
بحتة متأثرة بآراء المستشرقين ■

■ نجيب محفوظ : ينقصة الثبات
والرؤية الصائبة رغم أستاذيته ■

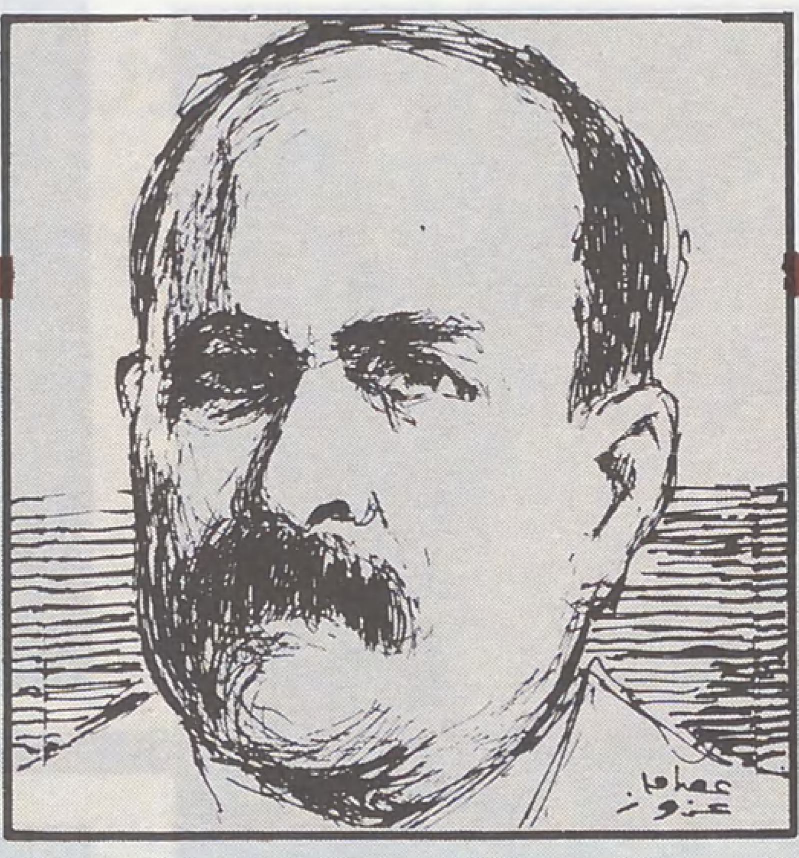

■ جرجي زيدان :
تشويه الإسلام عن طريق الرواية ■

مفاصلي ، وزاغت نظراتي لكنني تماسكت ، وتلقفت الجريدة ، وحاولت أن أجري على سطورها مستطلعاً .. كانت هناك صورة للخليفة ولراشيل .. صرخت محتداً : « إنها خدعة سافلة .. » « هذا ما حدث » .. « لا يمكن .. أنا أعرفه .. تلك قضية مختلقة من أساسها .. هل يعقل أن يتصرف أمير المؤمنين كفتى مراهق فيخطف قُبلة أو يقوم بحركة شائنة !! أنتم تكذبون .. » .

وتنتشر قصة ظهور ـ **عمر** ـ في أنحاء البلاد ، ويعجب الناس من وقفته الصلبة في مواجهة السلطات المدججة بأحدث أنواع الأسلحة ، وفي مواجهة الأكاذيب والترهات التي ملأت الصحف والمجلات ، ويبهرون بآرائه التي لاقت استحساناً ، وطروحاته التي لاقت قبولاً من قطاع بشري عريض ، وتحاول السلطات اغتياله ... لكن الله يرد الذين كفروا لم ينالوا خيراً .. ، ويقرر خلصاء الخليفة خطة سريعة لتهريبه إلى أقرب بلد عربي ، ويأبى ـ **عمر** ـ الانصياع لرأيهم في البداية قائلاً : « **يا أبنائي .. لا يهم شخصي .. أن أسجن أو أموت ، هذا شيء يحدث كثيراً لحملة المبادىء .. المهم أن تنطلق الكلمات .. أن تعيش في فكر الناس ووجدانهم ، وأن يحملوها للآخرين ..** » ، ولكنه يوافقهم في النهاية ، وتنفذ الخطة بدقة وعناية ، ويصل الفريق لنقطة خارج الحدود ، وتأخذهم سنة من النوم يصحون بعدها فلا يجدون للخليفة أثراً ، وتنتهي الرواية نهاية « **ميلودرامية** » مؤثرة ، ويتمتم ـ الدكتور عناني ـ أحد أحباء الخليفة قائلاً :

« **آه يولد الفجر من بين براثن الظلام ، ويقلب المؤمن فرحة أبدية .. برغم العذاب ، يا لروعة السفر** » .

تلح على « **نجيب الكيلاني** » في هذه الرواية قضية ـ **المَثَل** أو **الأنموذج** ـ المفتقد في عصرنا المادي المغرق في فلسفات الإلحاد والشك .. تلك الفلسفات التي استهوت بعض مفكرينا ، فاحتضنوها وروجوا لها .. تعضدهم بعض القوى الخبيثة الحاقدة بغرض تشكيك الأجيال الجديدة في معتقداتهم الإسلامية مستخدمين بذكاء شديد أجهزة الإعلام الحديثة كالتلفاز والسينما والفيديو .. تلك الأجهزة التي تجاهل خطورتها المفكرون الإسلاميون ، ولم ينتبه لها إلا بعضهم أخيراً ..

قلت : إن **قضية ـ الأنموذج ـ تلح على « نجيب » إلحاحاً كبيراً ، ولأنه غير متوفر فلا يجد غضاضة من استعادة سيرة إحدى الشخصيات التي كان لها دور بارز وخطير في ذيوع وانتشار الدعوة ، ولا يتكىء « نجيب »** على الشخصية بقدر ما يتكىء على مجموع القيم والمبادىء والخصال الإسلامية التي تحلت بها كالعدل والحلم والصدق والأمانة والبساطة والشجاعة والصرامة في الحق ، وقد نجح « نجيب » إلى حد بعيد في اختيار وتوظيف ـ أنموذجه ـ من خلال تصور إسلامي بارع لما يدعو من قيم ومبادىء ..

وبعـــد ..

تجيء هذه الروايات في وقت نحن فيه بأمس الحاجة إلى من يبصرنا بأنفسنا وماضينا ..

تجيء والصراع على أشده بين الصهيونية العالمية التي تعضدها القوى الكبرى وبين الإسلام الذي يقف في مواجهة التحديات .. وما أشبه الليلة بالبارحة ..

وحقائق التاريخ تؤكد أن الجولة في صالح الإسلام والمسلمين إذا ما اتحدوا ..

ولسنا هنا بصدد تحليل الروايتين فنيّاً ، ووضعهما على مشجب مدرسة من المدارس الأدبية المختلفة ، وإنما نحن نلمس العمل لمساً خفيفاً ، تاركين للأكاديميين من رجالات النقد عملية التحليل والتنقيب عن القيم الفنية ـ الجمالية ـ في هذه الأعمال الوثيقة الصلة بوجدان الإنسان المسلم وهمومه ..

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ، دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (يونس : ٩ـ١٠) .

(*) تغاضينا عن ذكر بعض المحاولات الحديثة لعدم اكتمالها فنياً .. ولضبابية الرؤية عند أصحابها ، ولأن بحثنا يدور حول الرؤية الإسلامية بمفهومها الدقيق فقد لزم التنويه .. شيء آخر أود الإشارة إليه حتى لا يختلط الأمر فقد ذكرت من بين الأسماء ثلاثة رحل أصحابها عن دنيانا ، ولا يعني رحيلهم إسقاطهم من القائمة التي ذكرتها فنحن لا نهتم بالأشخاص بقدر اهتمامنا بما تركوه من إبداع ..

موضوع الغلاف

العلامة المجاهد

الشيخ محمد البشير الابراهيمي

بقلم : ابن الريف [البخلاخي امحند]

■■ الحديث عن جهاد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي يجرنا للحديث عن نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذين كانوا مخلصين في أعمالهم كل الإخلاص ، يعملون بحماس ونزاهة وتفان لخدمة مصلحة الشعب الجزائري ، واستطاعوا رغم وجود الاستعمار الفرنسي في بلادهم وأرضهم التصدي لهذا الاستعمار ومحاربته سراً وعلانية ، وبث الروح الإسلامية في نفوس الجزائريين ، ونجحوا في تأسيس نواد ومدارس للتعليم في طول البلاد وعرضها ، وقد آتت هذه النوادي والمدارس أُكُلَها وبنتائج إيجابية فخرج منها على يد المصلح الجزائري الشيخ عبد الحميد بن باديس ، والشيخ محمد البشير الابراهيمي وغيرهم من الأساتذة والمصلحين الآلاف من التلاميذ فكانوا هم قادة جبهة التحرير الوطني الذين أبلوا البلاء الحسن في ميدان الكفاح والتحرير ، منهم من استشهد في سبيل الله وقضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدَّلوا تبديلا . ■■

● « كتاتيب » جمعية العلماء المسلمين برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس في السهول والجبال والقرى والمدن هي التي حمت عربية الجزائر وإسلامها من الغزو الثقافي والاحتلال العسكري ●

وها نحن إيماناً منا بجهاد علماء الجزائر نلقي الأضواء على علم من أعلام الجزائر في القرن العشرين ، وبطل من أبطال الإسلام **الشيخ محمد البشير الابراهيمي** مؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لنستعرض جهاده وأفكاره الإسلامية وتصريحاته ، فإنه كان عالماً ومجاهداً مخلصاً وداعية إسلامياً ، كللت جهوده بتحرير الجزائر وعاش بعد الاستقلال .

ترجمة حياته ...

ولد **الشيخ محمد البشير الابراهيمي** في قسنطينة بالجزائر عام ١٣٠٦ هجرية كما يقول عند طلوع الشمس من يوم الخميس الثالث عشر من شهر شوال ويوافق سنة ١٨٨٩ ميلادية .

نسبه ...

وهو سليل قبيلة أولاد إبراهيم بن يحيى بن مساهل التي يرتفع نسبها إلى إدريس بن عبد الله الجد الأول للأشراف الأدارسة ، ويدعى إدريس الأكبر مؤسس دولة الأدارسة في المغرب الأقصى ، وترجع إليه أنساب الأشراف الحسنيين في المغربين الأقصى والأوسط .

دراسته ...

اتجه إلى الدراسة الدينية ، وكان يتمتع بحافظة عجيبة وذاكرة قوية ، وقد أكمل حفظ القرآن وهو في سن التاسعة ، كما تفقه وهو في هذا السن في قواعد النحو والفقه والبلاغة .

عندما بلغ سن العشرين هاجر إلى المدينة المنورة سنة ١٩١١م ملتحقاً بوالده الذي كان قد سبقه إلى هناك ، ومر البشير بالقاهرة ومكث فيها ثلاثة أشهر كان يتردد أثناءها على الدرس بالأزهر الشريف .

سافر بعد ذلك إلى المدينة المنورة ، وفيها درس على أيدي مشايخ الحرم النبوي الشريف ، وكان يقوم بتدريس الفقه واللغة والأدب .

وعند قيام الحرب العالمية الأولى استوطن مع والده دمشق ، بعد أن أرغمته الدولة العثمانية على الخروج من المدينة .. وهناك اشتغل بالتعليم الحر ، ثم عين أستاذاً للآداب العربية في المدرسة السلطانية الأولى ، وبعد انتهاء الحرب عاد إلى الجزائر وعمل بالتدريس أيضاً .

قام في الجزائر مع الشيخ عبد الحميد بن باديس بوضع المخطط لمحاربة الاستعمار الفرنسي في الجزائر ، وإنشاء جمعية علماء الجزائر سنة ١٩٣١م في الجزائر العاصمة ، وكان يهدف بها إلى إحياء تعاليم الإسلام الصحيح ، وإحياء اللغة العربية .

كان خطيباً مفوهاً ، يتحدث ببلاغة وصراحة وجرأة ، وكان مجاهداً صاحب همة لا تعرف الملل ، وعالماً لا يخشى في الحق لومة لائم ، كان يحفظ من عيون الشعر والأدب الأندلسي والمغربي ، ويلقي أمهات القصائد عن ظهر قلب ، وكان عالماً في مصطلح الحديث والفقه والنحو والصرف والمنطق والأصول وغيرها من العلوم .

وأثناء إقامته في القاهرة قبل سفره إلى الجزائر كان يخطب ويكتب ويدلي بالأحاديث الصحفية ، ويشرح القضية الجزائرية إثر قيام ثورتها التي كللت بالنصر ، وظل يتتبع تطورات الثورة دائماً ، وعلى اتصال مستمر بالمجاهدين البارزين في القاهرة .

اعتبره المفكرون أحد القلائل الذين مهدوا للثورة المسلحة في الجزائر بثورة فكرية ، فقد كان يكتب مقالاته وأبحاثه التي يدعو فيها إلى الجهاد واليقظة وإحياء الإسلام في جريدة (**البصائر**) ، وقد مدّ الله في عمره وأدرك استقلال بلاده ، ولم يصمت وواصل جهاده من أجل إرساء قواعد الإسلام والحرية في بلاده .

لم يكن **الشيخ محمد البشير الإبراهيمي** إقليمياً يناضل من أجل حرية واستقلال بلاده الجزائر فقط ، إنما كان شخصية إسلامية معروفة في العالم الإسلامي والعربي بجهاده وكفاحه من أجل قضايا العرب والإسلام .

نادى الشيخ البشير الإبراهيمي بحسن الجوار بين بلدان المغرب العربي ، ودعا إلى عروبة الشمال الإفريقي ، ودافع عن قضية فلسطين السليبة ، وعن قضية حسن الجوار يقول :

« ودين الله يوجب حقوق الأخوة ويدعو إلى إيثار الجار والإحسان إليه ، وهو بهذا يعمم التناصر ويقيم في الأرض سرعة التعاون ، فما من جار إلّا له جار ، والناس كلهم متجاورون جوار الدار للدار ، القرية للقرية ، فجوار المدينة للمدينة ، فجوار الوطن للوطن ، فإذا أخذوا بهذه الشريعة وأقاموا حدودها ؛ تم التناصر والتعاون وسدت المنافذ على

العلامة المجاهد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

المغيرين وعلى المفسدين في الأرض ، ولكن الاستعمار بهذه السياسة بدل شرعة الله بشرعة الشيطان ، فهو يقول لك : أقصر اهتمامك على دارك ولا تلتفت إلى جارك » .

عروبة الشمال الافريقي . .

وعن عروبة الشمال الافريقي يقول :

« **عروبة الشمال الافريقي بجميع أجزائه طبيعية كيفما كانت الأصول التي انحدرت منها الدماء ، والينابيع التي انفجرت منها الأخلاق ، والخصائص والنواحي التي جاءت منها العادات والتقاليد ، وهي أثبت أساساً وأقدم عمراً ، وأصفى عنصراً من انكليزية الانكليز ، وألمانية الألمان ، هذه العروبة الأصيلة العريقة في هذا الوطن هي التي صيرته وطناً واحداً لم تفرقه إلا السياسة ، سياسة الخلاف في عصوره الوسطى ، وسياسة الاستعمار في عهده الأخير** » .

دفاعه عن قضية فلسطين

كما دافع بقلمه وبمقالاته وأبحاثه التي كان ينشرها في الصحف العربية ولا سيما في جريدته **(البصائر)** عن فلسطين السليبة ، التي اعتبر ضياعها راجعاً إلى تهاون المسلمين وتخاذلهم في الدفاع عن حوزتها ، والذود عنها وفي هذا يقول :

« **ما أضاع فلسطين إلا العرب وقد جاءتهم النذر فتماروا بها ، ثم حق الأمر وهم غارون فاندهشوا ، ثم وقعت الواقعة فأبلسوا ، وعمد خطباؤهم إلى الخطب ينمقونها ، وشعراؤهم إلى القصائد يزوقونها ، وساساتهم إلى الدعاوى يلفقونها ، وعامتهم إلى الخرافات يصدقونها ، بينما عمد ملوكهم إلى الأمداد يعوقونها ، وإلى الأهواء ينفقونها ، وعمد خصومهم اليهود إلى الغايات يحققونها ، وإلى العهود يمزقونها ، وقضي الأمر وأوسعناهم سباً ، وراحوا بالإبل** » .

رائد التعريب في الجزائر

أما جهاده من أجل إحلال اللغة العربية محل اللغة الفرنسية ، فإنه دعا الأمة الجزائرية طوال حياته إلى تحقيق هذا الهدف الأسمى وقال :

« **اللغة العربية هي لغة الإسلام الرسمية ، ولهذه اللغة على الأمة الجزائرية حقان أكيدان ، كل منهما يقتضي وجوب تعلمها ، فكيف إذا اجتمعا ؟ حق من حيث إنها لغة دين الأمة بحكم أن الأمة مسلمة ، وحق من حيث إنها لغة جنسها بحكم أن الأمة عربية الجنس ، ففي المحافظة عليها محافظة على جنسية ودين معاً ، ومن هنا نشأ ما نراه من حرص متأصل في هذه الأمة على تعلم العربية ، وما نشهده من مطالبة اجتماعية بحرية تعليمها ... وما نراه من سخط عميق على القوانين التي تعرقل تعليمها ، وذلك كله لأنها مفتاح الدين أو جزء من الدين** » .

أمير البيان . . .

أما قيمة **الشيخ البشير** الأدبية فإنه استطاع بتضلعه في علم البيان والنحو والصرف واللغة ، أن يكون أميراً للبيان في العالم العربي والإسلامي دون منازع ، فإنه ببيانه الساحر فاق أمير البيان شكيب أرسلان ، قال فيه الفيلسوف **الأستاذ منصور فهمي أستاذ طه حسين وزكي مبارك** حينما استمع إلى محاضراته :

« **إن هذا المنبر الذي يقف فيه الشيخ ساحة مقدسة ينبغي أن يدخلها الناس كما يدخلون الحرم** ، وقال : **إنه لم**

● (شكيب أرسلان)
شاركه الشيخ الإبراهيمي
إمارة البيان ●

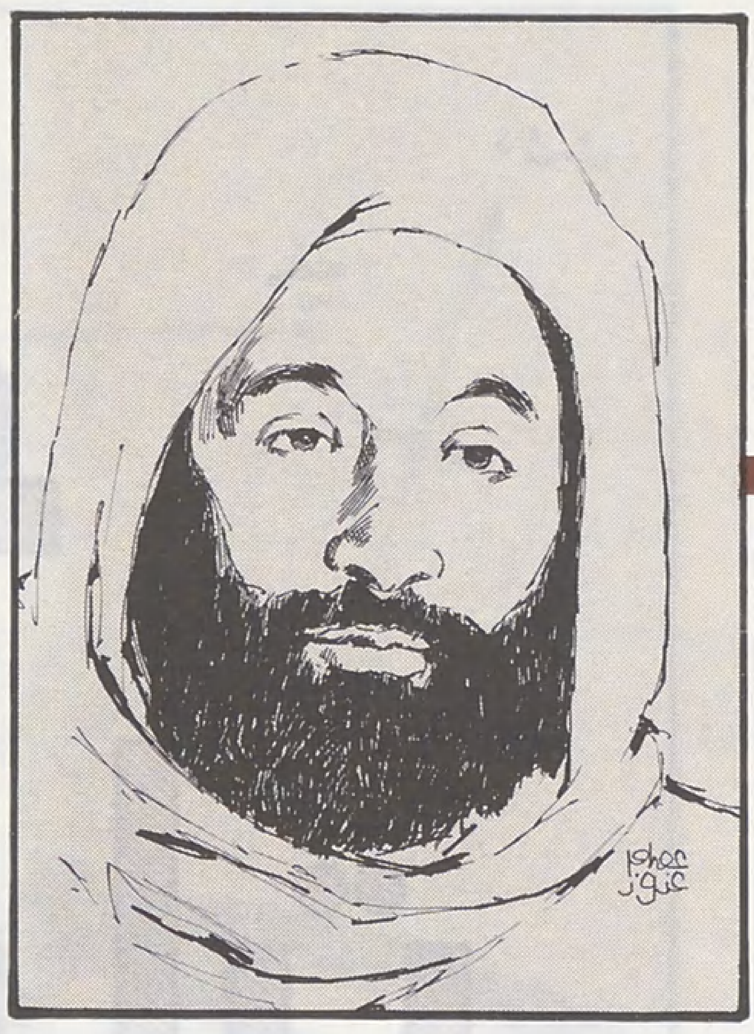

● الشيخ عبد الحميد بن باديس :
كان تصويبه لعالم الأفكار والتأكيد على تعلم لغة القرآن حماية لعروبة وإسلام الشعب الجزائري ●

يسمع أو ير في حياته من هو أفصح أو أبلغ من الشيخ البشير، ودعا جميع العلماء والأدباء في الوطن العربي إلى أن **يلقوا إليه مقاليد اللغة والبيان**، ثم خاطب الشيخ قائلاً : **أنت ملك العربية لهذا العصر .. ملكت نواصيها ونواصينا** » وبعد ذلك أعلن **الأستاذ كامل كيلاني** المبايعة » .

شعـــــره ...

كما أن البشير كان شاعراً فحلاً من أكبر شعراء زمانه ، ومن شعره قوله يصف قلمه :

ولي قلم آليت ألَّا أمده   بفتل هوار أو بختل موارب
جرى سابقاً في الحق ظمان عائفاً   لأمواه دنياه الشرار الزغارب
يسدده عقل رسا فوق ربوة   من العمر روَّاها معين التجارب
إذا ما اليراع الحر صرَّ صريره   نجا الباطل الجاري بمهجة هارب

وعن الإسلام يقول :

قد أمنوا - إلا بحقٍّ - سيفك   وَأمِنُوا على الزَّمان حَيفَك
ولمعةٌ من صارم يُسلّ   كومضةٍ من عارضٍ يَنْهلُ
والأرض ما أحوج لدرء الغيث   منها إلى جلب الحيا والغيث
ما سُلَّ سَيْفُ فيكَ إلّا لِمَدى   لو لَمْ يُجزهُ النّاسُ ظلّ مغمداً

وفي الذكريات يقول :

ذكراك يا يوم تحز في الاحشا
إذ أقبل القوم وحش تلا وحشا
يا يوم لم تشرق شمس على مثلك
إلَّا الضحى مغرق والملتجى مهلك
ذكراك يا يوم لا تأتلي حوما
تعتاد في النوم فتطرد النوما
ربع الحما فيك والأهل في غفلة
لم يصف عافيك طفلاً ولا طفلة
فيك اعترت له رهطاً من الشمس
فقتلوا أمة أحيتهم أمس
ساقت لهم نصراً جازوه بالكسر

كم قد فدى الأسرى فبات في الأسر
لهفي على هاو على شفا العمر
قد تله غاو فخر للصدر
لهفي على مرضع قد عفرت أمه

تأليفـــــه ...

ترك الشيخ البشير مصنفات كثيرة في شتى العلوم جلها لا يزال مخطوطاً لم يطبع وهي :

- كاهنة أوراس .
- رسالة الضب .
- بقايا فصيح العربية في اللهجة العامية بالجزائر .
- النقايات والنفايات في لغة العرب .
- أسرار الضمائر العربية .
- التسمية بالمصدر .
- الصفات التي جاءت على وزن فعل .
- نظام العربية في موازين كلماتها .
- الإطراء والشذوذ في العربية .
- ما أخذت به كتب الأمثال من الأمثال السائرة .
- حكمة مشروعية الزكاة في الإسلام .
- شعب الإيمان .
- بعض المحاضرات والأبحاث والفتاوى التي جمعها عنه بعض تلاميذه .
- ملحمة رجزية في (٣٦٠٠) بيت من الرجز السلس اللزومي حول تاريخ الإسلام والمجتمع الجزائري .
- عيون البصائر (مجلد ضخم) .

وفاة الشيخ البشير الإبراهيمي

وفي يوم ١٩ مايو (أيار) ١٩٦٥م يلتحق بالرفيق الأعلى ويستجيب لنداء ربه ، وينعاه العالم الإسلامي والعربي ، رحمه الله وأحسن مثواه .

سيناء وأصل الأبجديات

بقلم : درويش مصطفى الفار

مقدمة

■■ شبه جزيرة سيناء ، هي الركن الشمالي الشرقي من مصر ، وهي ترتبط بمصر منذ فجر التاريخ الإنساني ، برباط حاولت أحداث ومؤامرات لا تحصى أن تفصمه دون جدوى ...

ولقد أعطى هذا الارتباط ، في رأي كثير من العلماء والباحثين ، للإنسانية حروف الكتابة الأبجدية الأولى ، التي أخذت عنها كل الأبجديات العالمية ...

وأرجح الأقوال أن الذين اخترعوا أبجدية سيناء الأولى ، هم الجيولوجيون ومهندسو التعدين الذين كانوا خليطاً من المصريين وأهل الشام ، يعملون في مناجم النحاس والفيروز ، واخترعوها لتسهل عليهم كتابة التقارير العلمية الخاصة بمسيرة أعمال التعدين .. ■■

تقديم

[لعل معرفة الكتابة هي النعمة الكبرى التي ميز بها الله سبحانه وتعالى بني آدم عن بقية المخلوقات .

ومن هنا نجد أول ما نزل من القرآن الكريم هو :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق : ١ ـ ٥) .

ثم نجد أن القرآن الكريم يقول في سورة الكهف (١٠٩) :

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾

ثم في سورة لقمان (٢٧) :

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ... ﴾

مما يؤكد أهمية هذه النعمة الكبرى ، نعمة الكتابة ...

وتنفرد « الأمة » في هذا المقال بتبيان جانب من تاريخ اختراع الكتابة ، تلك الوسيلة التي ينفرد بها بنو آدم في نقل الفكر عبر الزمان والمكان ...]

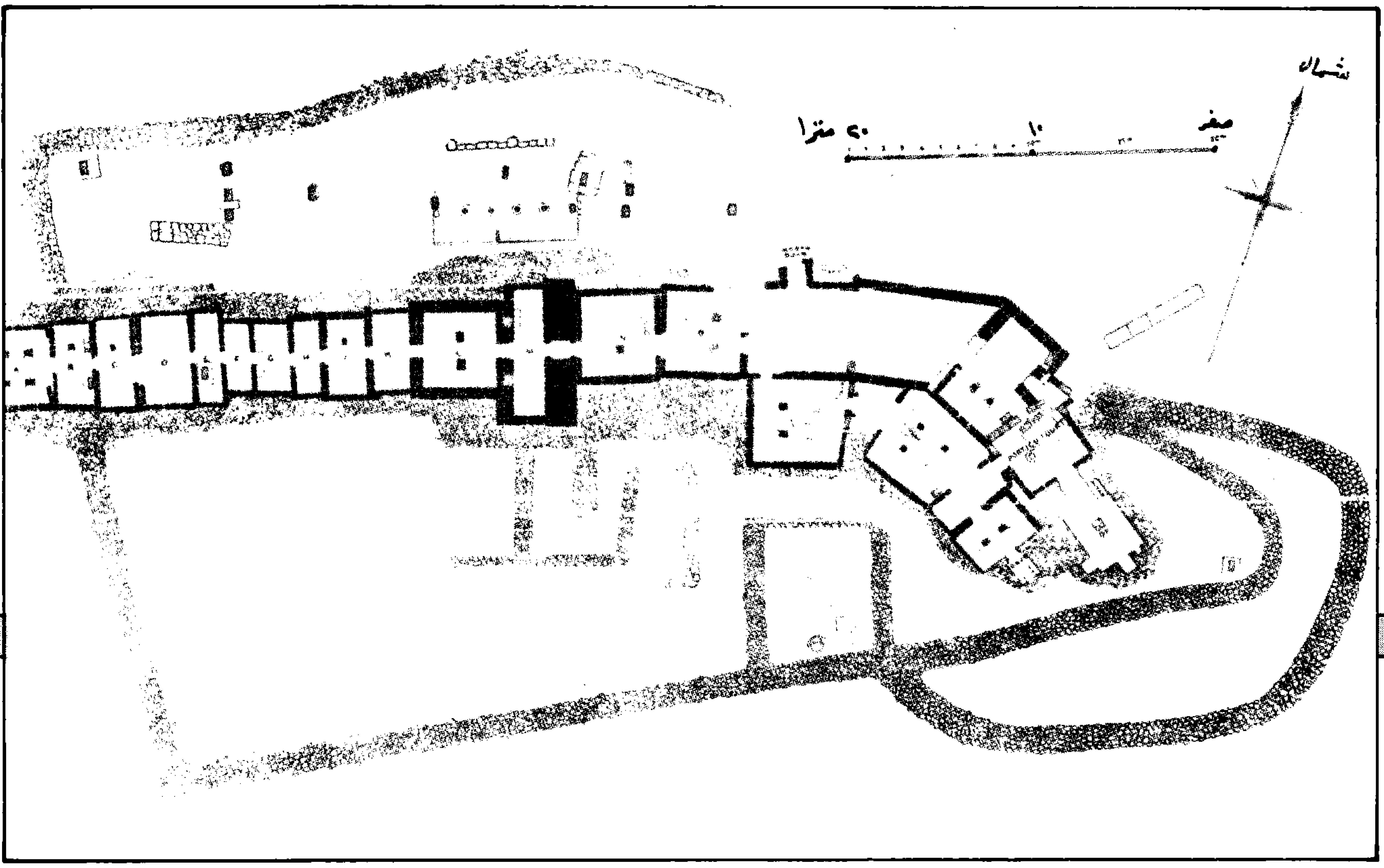

● معبد « سرابيط الخادم » حيث استطاع [بيتري] وضع الأساس العلمي لفك طلاسم الحروف السينائية سنة ١٩٠٦م ... وإلى هذا المعبد من سيناء كان ملك مصر يحج ويقرب القرابين قبل أن يجلس على عرشها ، وقبل أن يتجهز للحرب والنضال !!! ●

وقصة ذلك طويلة في فصول الحضارة الإنسانية ... فقد كان المصريون القدماء أهل علم ومعرفة بأصول صناعة التعدين وعلوم استخراج الخامات منذ مئات القرون ...

وكانوا لا يفتأون يسبرون أغوار صحاريهم المحيطة بالنهر الخالد ، النيل ، بحثاً عن مكان الذهب والنحاس والفيروز والجُمْشَت واللازورد والمغر ، وظلّوا يستخرجون الفيروز والنحاس من سيناء ووادي العربة قروناً طويلة ، حتى بلغوا الشأو عندما نقرأ في بعض أوراق البردي على لسان الفرعون رمسيس الثالث [١١٩٨ ـ ١١٦٧ق . م] ما معناه :

« **لقد أرسلت الضباط والرؤساء إلى بلاد أمي العزيزة هاتور [حت ـ حور] سيدة الفيروز ، وأحضروا لي أعاجيب من ذلك الحجر الأزرق في حقائب عديدة ، لن يحظى بمثلها ملك بعدي !!** » .

وبلغ أمر التعدين في سيناء أهميته القصوى في الدولة المصرية القديمة مما حدا بها إلى إنشاء معبد **(وثني)** خاص بالتعدين ، في منطقة « **سرابيط الخادم** » تقام فيه الطقوس لوثنين : أولهما حتحور إلـه التعدين . وثانيهما : [صور ـ بدو] إلـه الصحراء الذي كان يقدسه بدو سيناء الوثنيون ، وكان الفرعون الملك ، لا يتوج ولا يمسك بصولجان الملك في مصر ، على سعتها ، إلا بعد أن يحج إلى ذلك المعبد ، ويقدم الهدايا وينحر القرابين تحت أقدام **حتحور** ، **وصوبدو** ... **وما كان أحدهم قط ليخرج إلى الحرب ، مطمئناً إلى نصر عسكري ، إلا بعد أن يرسل هداياه إلى معبد « سرابيط الخادم » إلى الشرق من قرية (أبي زنيمة) الواقعة قرب منتصف الساحل الشرقي لخليج السويس** ... فإذا عاد من الحرب ذهب بنفسه ليشكر كلاًّ من صوبدو وحتحور على نعمة النصر !!!!

ودار الزمان دوراته بخيره وشره ، وعسره ويسره ، وأصبحت ذرا سيناء الجنوبية ووديانها ، ملجأ ومهرباً من كل جبار عنيد ، خاصة على عهد الرومان الذين ساموا المصريين سوء العذاب قبل أن ينقذ الله مصر وأهلها بالفتح الإسلامي ...

وكانت الامبراطورة القديسة هيلانة [سانت هيلين] [٢٤٨ ـ ٣٢٨م] ، قد انفصلت بالطلاق لأسباب سياسية عن الامبراطور البيزنطي الأول قسطنطينوس ، الذي تزوج بدلاً منها **تيودورا** الفاتنة ربيبة الامبراطور الروماني **مكسيميان** ...

وعندما أصبح **قسطنطين الأكبر** ابن **هيلانة** امبراطوراً سنة ٣٠٦م تلقبت **هيلانة** بلقب الامبراطورة الأم واعتنقت النصرانية .

ثم حدث **لهيلانة** ما لم يكن في الحسبان إذ ادعت **[فاوستا]** زوجة ابنها الثانية ، أن **[كرسبوس قيصر]** حفيد **هيلانة** ، قد راودها عن نفسها ، فلم يكن هنالك مفر من إعدامه شنقاً على رؤوس الأشهاد سنة ٣٢٦م ، ولم تطق **هيلانة** صبراً على ما جرى لحفيدها ، فدبرت **لتيودورا** مكيدة وقادتها إلى حبل

سيناء واصل الابجديات

● نصار أبو نيفة .. بدوي أمي من سيناء .. من هواياته جمع مخلفات إنسان العصر الحجري ، والبحث عن النقوش المحفورة على الصخور .. ●

المشنقة ، ظناً منها أن ذلك سوف يشفي غليلها ...

ولكن **هيلانة** ، الامبراطورة الأم ، أصيبت بعد تلك الأحداث بحزن عميق ، أدىٰ بها إلى التصوف و « الدروشة » ، فأصبحت من المجاذيب ، ونصحها الناصحون بالتوجه إلى الأرض المقدسة ، فلسطين ، للسلوىٰ والنسيان ، بالبحث في آثار التوراة والإنجيل ... ولقيها هنالك من الأحبار والرهبان من قرأ عليها خبراً من كتابات المؤرخ **ديودور الصقلي (سنة ١٠ ق . م)** نقله عن **ارتميدوروس (سنة ١١٠ ق . م)** وعن **اغاثارشيدس (سنة ١٦٠ ق . م)** يفيد بأن هنالك نقوشاً وكتابات على الصخور قرب (الطور) غير معروفة الأصل » .

فظنت الامبراطورة تحت تأثير الانجذاب الذي يغمرها ، أن تلك النقوش المجهولة لا بد وأن تكون نقوش أصحاب موسى ، عليه السلام ، أثناء التيه ، فشدت الرحال إلى ربوع وادي **[المُكَتَّب]** على وزن **[المُقَطَّم]** ... ومنذ تلك الرحلة التي قامت بها الامبراطورة المجذوبة ، شاعت فكرة نسبة تلك النقوش السينائية إلى تيه أصحاب موسى بن عمران عليه السلام ... وهذا ما ثبت خطوه فيما بعد من القرون ...

وبعد ذلك قامت الحاجة (**اثيريا**) الاسبانية سنة ٤٠٠م برحلة لزيارة تلك المظان تأسياً بالامبراطورة الأم ...

وبلغ الطين بلته في هذا الاعتقاد الخاطىء بعد أن ألَّف **[كوزماس]** كتابه ، الطبوغرافيا الإنجيلية ، فيما بين سنة ٥٣٥م ، سنة ٥٤٧م ، وكان قد قام برحلة بصحبة بعض اليهود إلى وادي المكتب وما حوله سنة ٥١٨م ... وكان **كوزماس** ذاك ، نصرانياً نسطورياً من أبناء مدينة الاسكندرية في مصر ، وكانت أصل حرفته التجارة ، وأصبح ملاحاً خبيراً بالبحر وأصول علم الجغرافيا واللاهوت ، ووصل إلى الهند ، وأقام هنالك علاقات تجارية وتنصيرية ، حتى اشتهر باسم ، التاجر الهندي ... ثم تهافت الباحثون على مواقع تلك النقوش زرافات ووحداناً ...

فكتب عنها **كيرشر سنة ١٦٣٦م** كلاماً كثيراً لا سند له من علم ، ونقل **نيبرج سنة ١٧٢١م** رسومها ، ووصفها **بوكوك سنة ١٧٣٨م** ورصد **القسيس الإيرلندي البيشوب كلايتون سنة ١٧٥٣م** جائزة سخية لمن يفك رموزها ، وتناولها كل من **نيبوهر ومونتاجو** ، كل على حدة ، سنة ١٧٦٦م وذكرها الجيولوجي الفرنسي **روزيير سنة ١٧٩٩م** ، وأشار إليها **كونل سنة ١٨٠٠م** إشارة عابرة لا تشفي غليلاً في مقالته « **ثمانية وعشرون يوماً في سيناء** » التي وردت في كتاب الحملة الفرنسية الشهير « **وصف مصر** » .

وتلا ذلك كل من **زيتسن سنة ١٨٠٧م** ، **وبوركهاردت سنة ١٨١٢م** ، **وروبل سنة ١٨١٧م** ، **وهينكر سنة ١٨٢٠م** ، وهي السنة نفسها التي نشر فيها **جراي** مقالته عن نقوش سيناء في مجلة الجمعية الملكية البريطانية .

وتكلم عن نقوش سيناء ، كلاماً غير فصل أيضاً ، **لابورد سنة ١٨٢٨م** ، واللورد **برودهو والميجر فيلكس سنة ١٨٣٥م** .

وفي سنة ١٨٤٠م أفتى **دي بير** في لايتبسيج بألمانيا بعد أن ميز مائة حرف كما زعم ، أن تلك النقوش لهجة عربية ، أو أنها ذكريات الحجاج النصارى إلى دير « **سانت كاترين** » ؛ وبعد أن تناولها **لبسيوس سنة ١٨٤٥م** بالذكر قال **توخ سنة ١٨٤٩م** برأي مواطنه **دي بير** ، ولكنه أشار إلى أن زمان نقشها أقدم مما اعتقده **دي بير** .

ثم تكلم في أمر نقوش سيناء كل من **لافال سنة ١٨٥٠م** ، **وفوستر ١٨٥١م وفريزر سنة ١٨٥٥م وبالمر** (الشيخ عبد الله) سنة ١٨٦٦م . وعندما درسها **دي روجيه سنة ١٨٧٤م** قال : **إن مصر من خلال نقوش سيناء هي مصدر الحروف الإغريقية ، فكان ذلك طرف خيط الحقيقة** ...

ونقل **بنديت فيجارين سنة ١٨٩٨م** ، **١٨٩٩م** حوالي ألفي

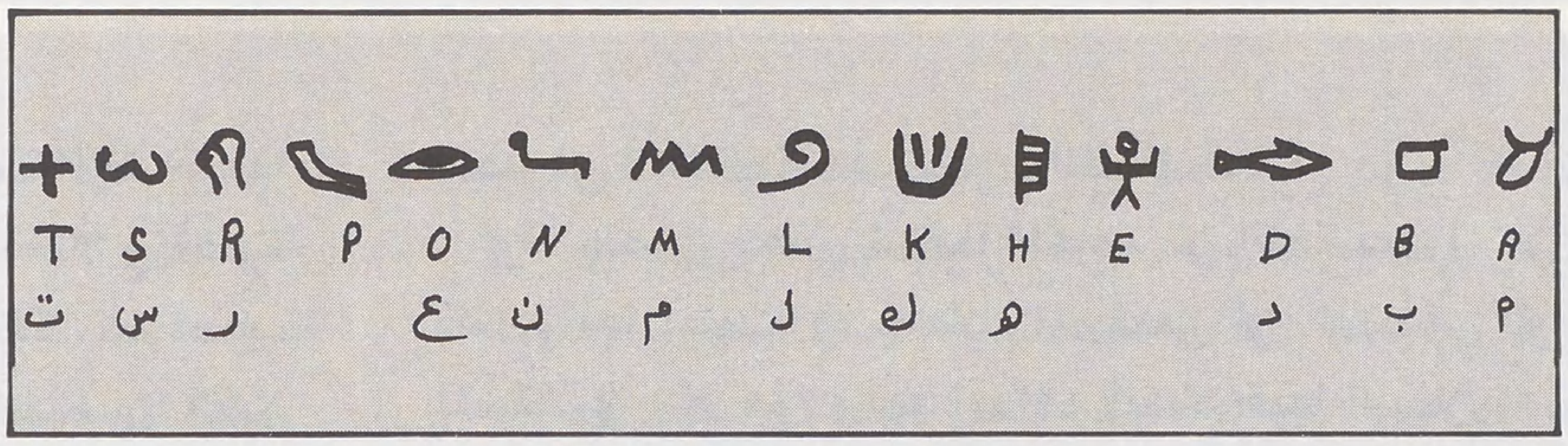

● الحروف السينائية كما أوردها الأستاذ : و . ف . أولبرايت ، وأرجع تاريخها إلى سنة ١٥٠٠ق . م ، وذلك بمضاهاتها بآثار الملك تحتمس الثالث والملكة حتشبسوت [١٥٠١ ـ ١٤٨٠ق . م] في معبد « سرابيط الخادم » ●

حرف من تلك النقوش ، ونشر رأيه عنها في باريس سنة ١٩٠٢م ، وأفتى أنها من عمل الأنباط في القرنين الثاني والثالث (بعد الميلاد) ... فجانبه التوفيق .

وبدأ القول العلمي الفصل في أمر نقوش سيناء على يد الباحث المحقق السير **وليام فلندرز بيتري سنة ١٩٠٦م** في كتابه « **أبحاث في سيناء** » حيث أثبت أن هذه النقوش لا علاقة لها بالتيه ولا بخرافات بني إسرائيل ، وأنها ترجع إلى حوالي سنة ١٥٠٠ق . م .

ومنذ أن تكلم العلامة بيتري عن النقوش السينائية ، دخل أمرها في حقبة جديدة بين أيدي العلماء ...

فقال **ألان جاردنر سنة ١٩١٦م** بأن **حروف سيناء هي أصل الحروف الكنعانية (الفينيقية) وذلك في مقاله الشهير الذي نشره في « صحيفة الاركيولوجيا المصرية » [العدد الثالث]** ... وجانب التوفيق الباحث **هانز باور سنة ١٩١٨م** حين

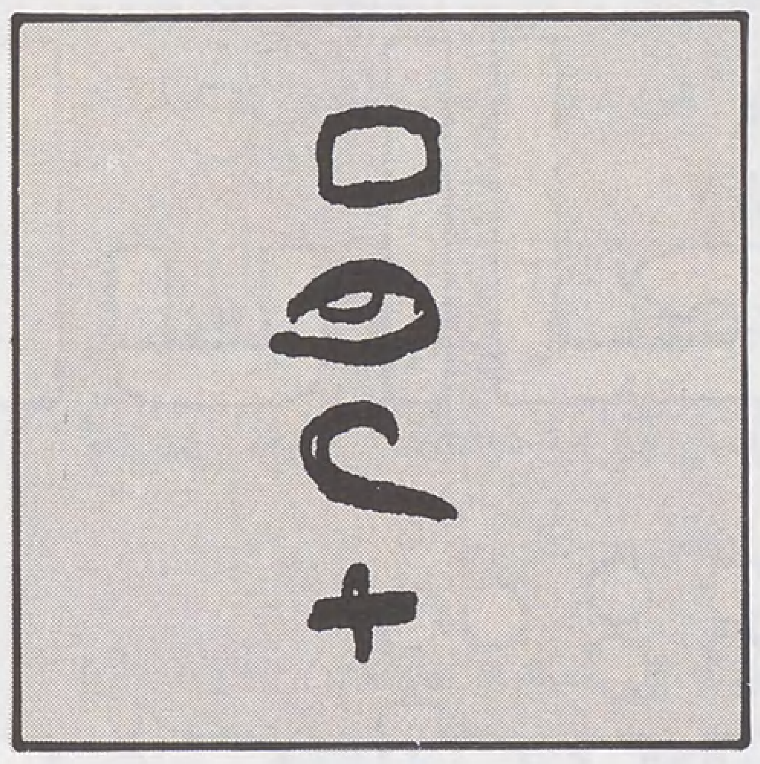

أراد أن يرجع تلك الحروف السينائية إلى أصل « **سامي** » بحت ... ولا ننسى أن **جاردنر** كان أول من وفق في قراءة ونطق كلمات الحروف السينائية حين لاحظ بدقة اسم **حت ـ حور** التي كان لها اسم آخر هو [**بعلات**] أو [**بعلت**] .

فكان له من هذا اللفظ مفتاح الأمر ، ليبني اعتقاده على أن حروف سيناء كانت المرحلة التي عبرت عليها الهيروغليفية لتكون أصل الأبجديات السامية فالعالمية كلها .

ولقد تحاور العلماء كثيراً ، ولا يزالون ، في كنه الناس الذين كانوا يعملون في المناجم المصرية في سيناء ، والذين تنسب إليهم نقوش الحروف السينائية ، فمنهم من يجنح إلى أنهم وافدون من بلاد ساعير ، كما زعم **سبرنجلنج سنة ١٩٣١م** ، كان المصريون

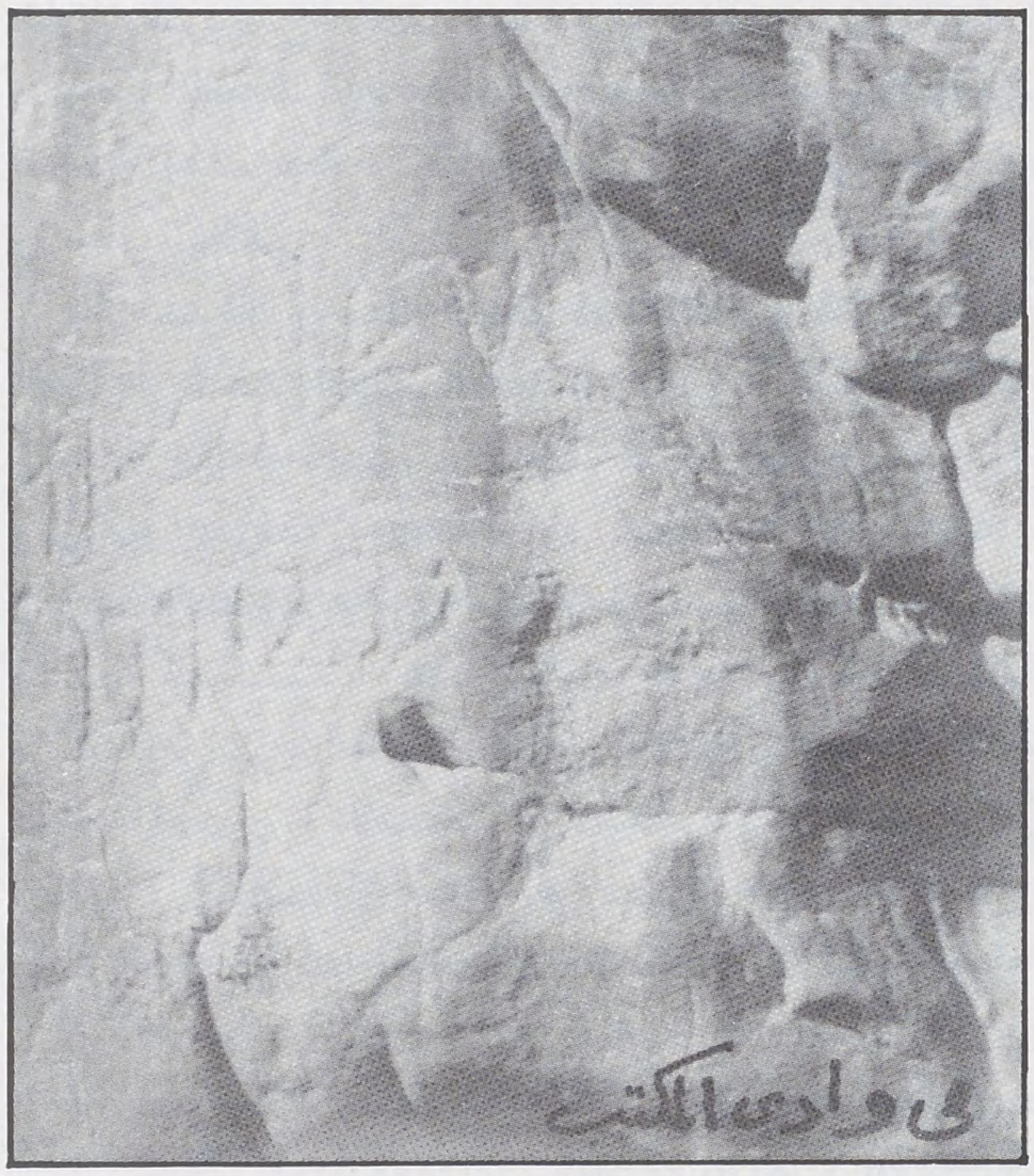

● في وادي المُكتَّب بسينـــاء ..
نقوش الحروف السينائية التي يرجع تاريخها إلى أكثر من ثلاثة آلاف عام مضـت أو تزيد .. ●

يستخـدمونهم في التعدين ... ويبـدو ، حتى الآن ، أن **و . ف . أولبرايت** كان سنة ١٩٦٩م أكثر العلماء إفاضة في أمر نقوش سيناء ...

ولقد ناقش الدكتور **رمزي البعلبكي سنة ١٩٨١م** في كتابه الجامع الذي عنوانه « **الكتابة العربية والسامية** » جوانب هامة من هذا الموضوع بطريقة يشكر عليها حقاً ...

والأمل معقود ، أن يتصدى بعض الباحثين لإصدار دراسة شاملة لا تترك شاردة ولا واردة عن « أبجدية سيناء » باللغة العربية ، بحيث تحتوي تلك الدراسة على صور كل تلك النقوش في وادي المكتب ، ومعبد « **سرابيط الخادم** » ، وما بينها وما حولها ... وعلى خرائط تفصيلية تبين تلك المواقع ... ولا جدال في أن مثل هذه الدراسـة سوف تكون عملاً علمياً نفخر به ونعتز ، لا سيما وأن كل الدراسات التي تعمدنا الإفاضة في ذكرها لا تنسب إلينا ...

فهل آن الأوان لكي تنسب إلى باحثين عرب ، أكمل دراسة عن تلك النقوش التي لا تزال تحير العلماء والباحثين ؟

ضعف اللسان العربي وأخطار قديمة تتجدد

بقلم : الدكتور سيد رزق الطويل

■■ من الظواهر التي تلفت النظر ، وتشد الانتباه هذا الضعف البين الذي انتاب اللسان العربي ممثلاً في أجهزة الإعلام المرئية منها ، أو المسموعة ، أو المقروءة ، كما أصاب لسان المثقفين عامة ، وتجاوزهم إلى المتخصصين الذين يقعون في أخطاء بينة إما تسامحاً منهم وإما لأن ما حصلوه لم يسعفهم لكي يستنقذوا أنفسهم من براثن العامية إلى لغة القرآن الكريم .

وهذا الضعف نراه في مستويات اللسان العربي كلها من صوتية وتصريفية ونحوية فضلاً عن القصور البياني والعجز البلاغي .

وإذا حاولنا أن نحلل أسباب هذه الظاهرة التي فزع لها الغُيُرُ على اللسان العربي ، المهتمون بأمره ، المشغولون بما أصابه ، نجدها تنحصر في ضعف صلتنا بالقرآن الكريم ، وغروب الشريعة الإسلامية من المجتمعات الإسلامية ، وتغريب وسائل الإعلام في البلاد العربية ، ومحاكاة الغرب في مناهجه التعليمية ، وهذه الأسباب كلها هي نتاج لجهود دائبة توفر عليها الثالوث الباغي الطامع في أرض الإسلام وبلاد المسلمين (الاستعمار والاستشراق والتنصير) إذ لجأوا إلى ذلك بعد أن عجزوا عن تحقيق أهدافهم بالسلاح بعد فشلهم الذريع في الحملات الصليبية ، وفرارهم أمام الجيوش العثمانية بعد سقوط القسطنطينية .

وقد يتصور بعض شبابنا المعاصر أن اللغة بمعزل عن ذلك وأنها ليست في حساب المستعمر أو المنصِّر ، أو المستشرق ، إذ هؤلاء لهم أهداف لايدخل فيها اللسان .

وهذا خطأ كبير في تصور الأمور ، وقياس الأحداث ، وتقدير الوقائع .

فلم يغب عن حساب القوم أن اللسان العربي هو لسان القرآن الكريم ، وأنها حقيقة وردت في عدد من آياته منها قوله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً ... الآية ﴾ (الرعد : ٢٧)

وقوله تعالى :

﴿ كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمونَ ﴾ (فصلت : ٢) وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّما يَسَّرْناهُ بِلِسانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ المُتَّقِينَ ، وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً ﴾ (مريم : ٩٧) وقوله تعالى : ﴿ وَكَذٰلِكَ أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً ، وَصَرَّفْنا فيهِ مِنَ الوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً ﴾ (طه : ١١٣) وقوله تعالى : ﴿ بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (الشعراء : ١٩٥) .

وما دام الأمر كذلك فإذا قُطِع اللسان العربي انقطعت

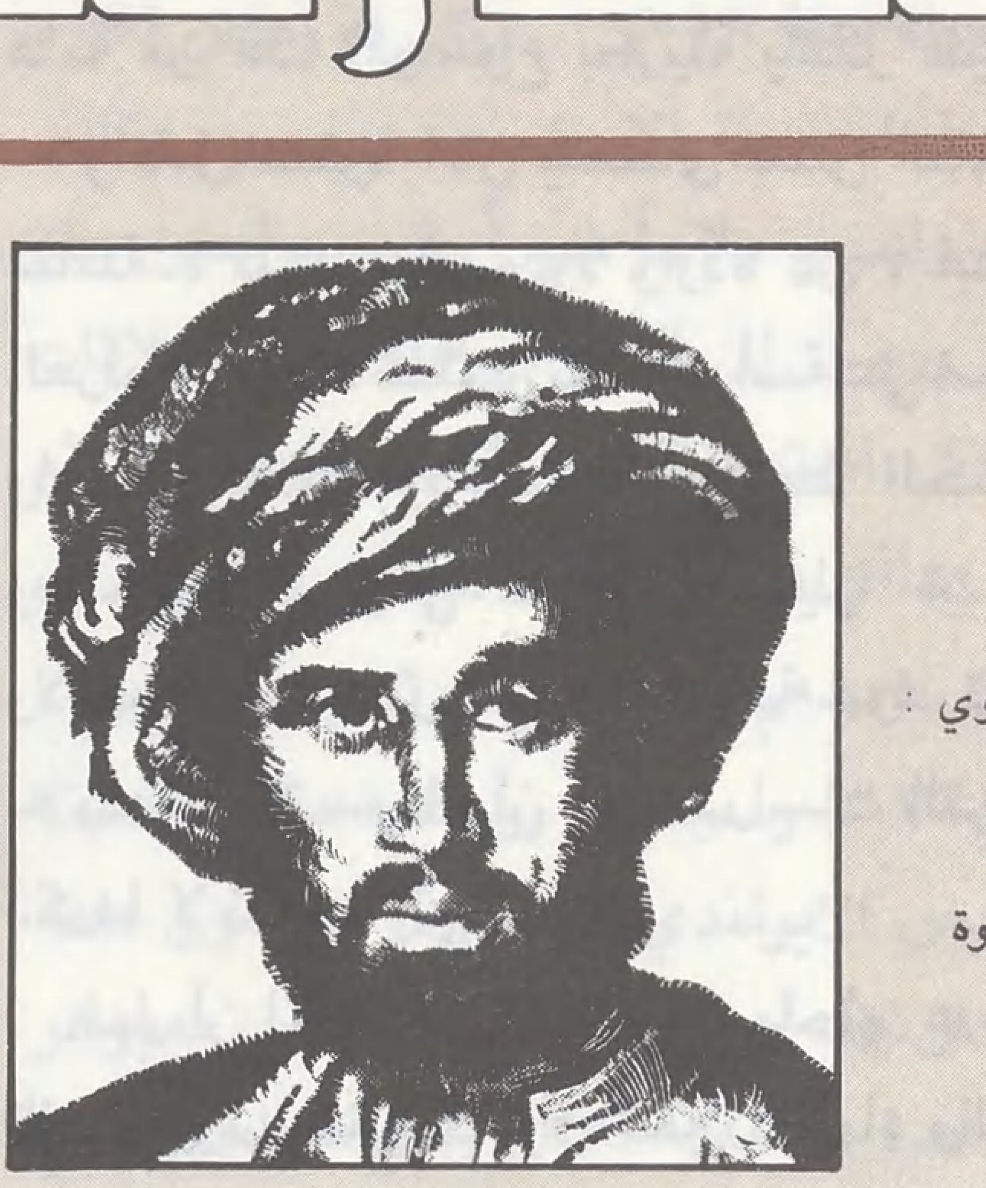

■ رفاعة الطهطاوي : هل سقط في مخطط الدعوة إلى العامية عن غفلة ؟! ■

■ حافظ إبراهيم : كان صوت النذير لما يبيت للعربية ■

الصلة بينهم وبين القرآن ، وأصبح المصحف مجرد أثر مقدس بلغة غير مفهومة ، يودع في المساجد ، ولا يلجأ إليه إلا عن طريق القلة القليلة المتخصصة ، لأداء الطقوس الدينية ومراسم الزواج والوفاة كما يفعل النصارى بإنجيلهم .

ولم يغب عن القوم أن العلوم والمعارف الإسلامية نبعت من القرآن وبوحي منه ، وليس الأمر مقصوراً على العلوم الدينية بل يتجاوزها إلى العلوم اللسانية من نحو وصرف وبلاغة ، إذ وضعت هذه العلوم من أجل القرآن والقدرة على فهمه وتدبِّره بل إن العلوم الكونية برز فيها المسلمون الأوائل بباعث من دعوة القرآن الكريم إلى العلم ، والسير والتأمل في ملكوت السموات والأرض .

ومن هنا عندما يضربون اللسان العربي ، يضربون معه المعارف الإسلامية كلها ، وأعتقد أنه لم يغب عنهم خصائص اللسان العربي وقدرته على التعبير عن المحسات ، والمعنويات ، حتى خواطر النفس ، ومشاعر القلب .

وهذا أمر شهدوا به وأعلنوه .

وأفزعهم أن هذا اللسان العربي غلب كل الألسنة بغلبة الدين الحق على قلوب البشر ، ولا يزال إلى الآن يربط بين الملايين من العرب والمسلمين .

يقول القسيس « زويمر » في مطالع القرن العشرين : إنه لم يسبق وجود عقيدة مبنية على التوحيد أعظم من عقيدة الدين الإسلامي الذي اقتحم قارتي آسيا وأفريقيا الواسعتين ، وبث في مائتي مليون من البشر عقائده وشرائعه ، وتقاليده ، وأحكم عروة ارتباطهم باللغة العربية ... (أباطيل وأسمار : ١٨٨) .

وليس هذا من باب الشهادة بالفضل لنقول : والفضل ما شهدت به الأعداء ، ولكنه يبصر قومه بحقائق ليقاوموها بخططهم لينالوا ما يريدون من أقصر طريق .

وقد عقد أرنولد توينبي فصلاً في كتابه سماه : الإسلام والغرب ، حلل فيه تحليلاً صادقاً كثيراً من الأحداث ، وبين تأثير العربية على اللغات الأخرى ، واستحواذها على ألسنة الأمم التي أسلمت ثم قال : إن هناك بلاداً إسلامية ، عربية اللغة ، وإذا كانت لغة التخاطب تختلف حسب المناطق فإن اللغة الفصيحة واحدة من شواطىء الخليج العربي ، ومن حلب والموصل شمالاً ، حتى الخرطوم وعدن ومسقط وزنجبار جنوباً . جميع الكتب والصحف الصادرة في القاهرة ، ودمشق ، وبيروت تقرأ في هذه المنطقة الشاسعة كلها ، لأن اللغة العربية هي اللغة الدينية لجميع البلدان الإسلامية » .

وبرغم ما في كلام توينبي من الذكاء والصدق إلا أننا لا بد أن نناقشه في وهمه ؟ إذ زعم أن اللغة العربية لغة دينية بالمعنى الذي تعد به اللاتينية لغة دينية .

وفرق بين هذه وتلك ؛ لأن اللغة العربية بخصوبتها وإمكاناتها المتعددة ، وما لألفاظها من إيحاءات يعطيها القدرة على أن تعي كل شيء .

وإذا كان هؤلاء وقعوا في هذا الوهم ؟ إذ رأوا مسلمين في الهند وفي غيرها يحفظون القرآن فما ذاك إلا لأن حفظ القرآن ، وفهمه ، وتدبره ، والتفقه فيه عبادات يثاب عليها المسلم وعليه بعد ذلك « أن يتعلم إن استطاع لغة القرآن ، ليفهم ويتفقه فيه ، وذلك خير ما يفعل ، وإلا اقتصر ، إذا لم يستطع ، على معرفة دينه بلسانه هو ، ودينه هو ما يتضمنه القرآن والحديث » .

ولإدراك القوم لهذه الأبعاد التي غفلنا نحن عنها أخذ هذا الثالوث منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين يرسم خططه لقطع لسان هذه الأمة تمهيداً لإبعادها عن كتابها ، ومصدر قوتها ، وليشكل من الأمة الواحدة ذات اللسان الواحد أمماً شتى تختلف ألسنتها ، وهذا هو مبلغ ما يطمح إليه .

وهذه الشواهد من واقع التاريخ ، ومما قالوه بألسنتهم تؤيد ما أقوله :

(أ) يقول وليم جيفورد بلجراف كلمته المشهورة : « متى توارى القرآن ، ومدينة مكة من بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه » .

ولا يمكن أن يتوارى القرآن إلا بالقضاء على لغته .

(ب) عقد مؤتمر بالقاهرة في ٤ إبريل (نيسان) سنة ١٩٠٦م في بيت أحمد عرابي الزعيم العربي المسلم ، وقد عاد من منفاه محروماً من ماله وداره ، واجتمع المؤتمرون وهم من المستشرقين برئاسة القسيس « زويمر » ونادى أحد المؤتمرين بإنشاء جامعة نصرانية تتولى كل الكنائس النصرانية الإنفاق عليها لتتمكن من مزاحمة الأزهر بسهولة .

(ج) عني الاستعمار أول ما عُني بالتدخل في سياسة التعليم ، ومحاولة فرض لغته على ما يستعمره من بلاد العرب والمسلمين ليحول بينهم وبين تراثهم ويدخلهم في حضارته .

ثم بدأ الاستعمار في التنفيذ ، وتحرك لخطته بدهاء وذكاء .

أخذ يستقطب من أبناء العرب والمسلمين من يحارب بهم لغة أمتهم .

وكثيرا ما كان يستعين بغير المسلمين من العرب ، ليقولوا ما يقولون تحت شعار الإصلاح الوطني .

وقد يقوم بهذا العمل المتنصِّرون والمستشرقون يعرضونه في إطار من يخاطب الأمة المغلوبة على أمرها ، والمتهالكة لتنهض إلى الحضارة الخلابة التي تعيشها أوروبا والغرب .

ضعف اللسان العربي وأخطار قديمة تتجدد

عاد رفاعة الطهطاوي من فرنسا ، وكان قد ذهب إليها على رأس بعثة إماماً لها ، وتعلم الفرنسية وتعرف على علوم القوم ، وكان ذكياً ، سليم الطوية ، فيه غفلة يسيرة ؛ إذ تأثر بما كان يخططه هؤلاء الناس للغة القرآن ليستبدل بها العامية فقال في كتابه الذي ألفه سنة ١٨٦٨م بعنوان « أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني اسماعيل » وفيه كلام عن فضل العربية ووجوب إحيائها ضمنه الدعوة إلى العامية « نعم إن اللغة المتداولة في بلد من البلاد ، المسماة باللغة الدارجة التي يتم بها التفاهم في المعاملات السائرة ، لا مانع أن يكون لها قواعد قريبة المأخذ تضبطها ، وأصول على حسب الإمكان تربطها ، ليتعارفها أهل الإقليم حيث نفعها بالنسبة إليهم عميم » .

ولم يكن رفاعة ـ فيما أعتقد ـ داخلاً في المخطط لكنها الغفلة التي ينساق إليها بعض الأعلام حين تغيب عنهم الأهداف الخبيثة لأمة المدنية والحضارة .

وهذا الموقف وقفه بعد ذلك لطفي السيد بعد أكثر من نصف قرن يدعو إلى العامية بالرغم من أنه كتب مقالات قيمة في أهمية اللغة الفصحى وخصائصها

وفي أواخر القرن التاسع عشر سار المخطط في طريقه المرسوم .

بدأت من بيروت بحملة « المقتطف » سنة ١٨٨١م وكانت هذه المجلة تتلقى العون من مؤسسة تنصيرية كبيرة هناك هي الكلية السورية الإنجيلية .

وظهر المخطط في القاهرة عندما ألف القاضي الإنجليزي (ولمور) كتابه عام ١٩٠٢م وأسماه لغة القاهرة ، واقترح فيه أن تكون لغة القاهرة لغة العلم والأدب ، كما اقترح كتابتها بحروف لاتينية .

وفي هذه المناسبة كتب حافظ إبراهيم صرخته الشعرية المدوية على لسان اللغة العربية تنعي حظها بين أهلها ، وفيها يقـــول :

أَيَهْجُرُني قَوْمي عَفا اللَّهُ عَنْهُمُ ؟
إلى لُغَـةٍ لَمْ تَـتَّـصِـلْ بِـرُواةِ ؟
سَرَتْ لوثَةُ الإفْرَنْجِ فيها كما سَرى
لُعابُ الأفاعِي في مَسيـلِ فُراتِ
فجاءَتْ كَثوْبٍ ضَمَّ سَبْعينَ رقعَةً
مُشَكَّلَةَ الألوانِ مُخْـتَـلِفاتِ
أَيُطْرِبُكُمْ مِنْ جانِبِ الغَرْبِ ناعِبُ
يُنادي بِوَأْدي في رَبيعِ حَياتي
وَلَوْ تَـزْجُرونَ الطَّيْـرَ يوماً عَلِمْتُمُ
بِمـا تَحْتَـهُ مِنْ عَـثْـرَةٍ وَشَتاتِ

وفي عام ١٩٢٦م تعود المؤامرة من جديد ، ويدعو السير وليم ولكوكس إلى هجر اللغة العربية ووضع دعوته موضع التنفيذ بأن ترجم الإنجيل إلى العامية المصرية .

ثم جاء دَوْرُ الأذناب والعملاء وورثة الأحقاد الصليبية الذين يهمهم أن يتغير وجه مصر العربي الإسلامي ، فتلقفوا الدعوة من أساتذتهم المستعمرين والمستشرقين فتلقف الراية سلامة موسى ، وتسلمها من بعده تلميذه لويس عوض ، إذ قال في كتابه : « بلوتولند وقصائد أخرى » وفي أوله : هذا العنوان : حطموا عمود الشعر ثم قال : لقد مات الشعر العربي ، مات عام ١٩٣٢م ، مات بموت أحمد شوقي ، مات ميتة الأبد ، مات » (أباطيل وأسمار : ٢٤١) .

وكانت هذه هي البداية التي أراد أن يأخذ بها دوره لإعلان الحرب على الفصحى التي يجهل أسرارها ، ولا يزال يدق طبول الحرب ضدها حتى عصرنا الحاضر .

وفي عام ١٩٤٢م تقدم عبد العزيز فهمي عضو مجمع اللغة العربية يقترح كتابة اللغة العربية بحروف لاتينية ، ولاقى الاقتراح إعجابا من المستشرق « جب » ورفضه بقية الأعضاء .

وتعاونت أقلام ومجلات ، وتحركت أذناب مستغربة بين الحين والحين تثير القضية باسم الإصلاح اللغوي والأدبي ، والعقول المسلمة الواعية له بالمرصاد ، ولا يزال التخطيط مستمرا ، والبغي قائماً .

ومن الملاحظ أنه يتحين فترات الضعف التي تعيشها أمتنا ليعرض فكره الهدام ، أملاً في أن يدفعها يأس الضعف إلى الاستسلام ، وهذا أمر بعيد المنال ، ودونه خرط القتاد .

لقد ظهرت هذه الأفكار بعد فشل الثورة العرابية ، ومع الحرب الأولى ، وبعد ثورة سنة ١٩١٩م ومـع الحرب الثانية ، ثم عادت مع العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦م ، وأطلت برأسها بعد عام ١٩٦٧م وفشلها محقق بإذن الله .

لكن الشيء الذي نقرره هنا أن ما نعانيه من ضعف اللسان ثمرة لهذه الحرب الضارية على لغة القرآن على امتداد قرن من الزمان .

ولا بد من جهود متضافرة وخطة مدروسة لمواجهة هذه المخططات حتى نستعيد لساننا الفصيح فنسترد أمجادنا الغاربة ونعيد إلى مكان التوجيه شريعتنا الغائبة ، والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

صفحة من كتاب

وحي القلم

مصطفى صادق الرافعي

الزواج بالأجنبيات

لا تتزوجوا يا إخواني المصريين بأجنبية : إن أجنبية يتزوج بها مصري ، هي مسدس جرائم فيه ست قذائف :

الأولى : بوارُ امرأة مصرية وضياعها بضياع حقها في هذا الزوج : وتلك جريمة وطنية . فهذه واحدة .

والثانية : إقحام الأخلاق الأجنبية عن طباعنا وفضائلنا في هذا الاجتماع الشرقي وتوهينه بها وصدعه : وهي جريمة أخلاقية .

والثالثة : دَسُّ العروق الزائغة في دمائنا ونسلنا : وهي جريمة اجتماعية .

والرابعة : التمكين للأجنبي في بيت من بيوتنا يملكه ويحكمه ويُصرِّفه على ما شاء : وهي جريمة سياسية .

والخامسة : للمسلم منا إيثاره غير أخته المسلمة ، ثم تحكيمه الهوى في الدين ما يعجبه وما لا يعجبه ، ثم إلقاؤه السم الديني في نبع ذرّيته المقبلة ثم صيرورته خزياً لأجداده الفاتحين الذين كانوا يأخذونهن سبايا ، ويجعلونهن في المنزلة الثانية أو الثالثة بعد الزوجة ، فأخذته هي رقيقاً لها ، وصار معها في المنزلة الثانية أو الثالثة ، وهذه جريمة دينية .

والسادسة : بعد ذلك كله : أن هذا المسكين يؤثر أسفله على أعلاه .. ولا يُبالي في ذلك خمس جرائم فظيعة : وهذه السادسة جريمة إنسانية !

ما كنت أحسب يا إخواني وقد رجعتُ بزوجتي الأوروبية إلى مصر أني أحضرت معي من أوروبا آلة تصنع أحزاني ومصائبي ! ولم يكن وعظني أحد بما أعظكم به الآن ، ولا تنبهتُ بذكائي إلى أن الزوجة الأجنبية تثبت لي غربتي في بلادي ، وتثبت عليَّ أني غير وطني أو غير تام الوطنية ، ثم تكون مني حماقة تثبت للناس أني أحمق فيما اخترت : ثم تعود مشكلة دولية في بيتي ، يزورها أبناء جنسها ويستزيرونها رغم أنفي وفمي ووجهي كله ! ويستطيلون بالحماية ، ويستترون بالامتيازات ، ويرفعون ستاراً عن فصل ، ويرخون ستاراً على فصل .. وأنا وحدي أشهد الرواية ...!

إن الشيطان في أوروبا شيطان عالم مخترع ، فقد زين لي من تلك الزوجة ثلاث نساء معاً : زوجة عقلية ، وزوجة قلبية ، وزوجة نفسية ، ثم نفث اللعين في روعي أن المرأة الشرقية ليس فيها إلا واحدة ، وهي مع ذلك ليست من هؤلاء الثلاث ولا واحدة . قال الخبيث : لأنها زوجة الجسم وحده ، فلا تسمو إلى العقل ، ولا تتصل بالقلب ، ولا تمتزج بالنفس : وأنها بذلك جاهلة ، غليظة الحس ، خشنة الطبع ، لا تكون مع المصري إلا كما تكون الأرض المصرية مع فلاحها ...

لعنة الله على ذلك الشيطان الرجيم العالم المخترع ! ما علمت إلا من بَعد أن هذه الشرقية الجاهلة الخشنة الجافية ، هي كالمنجم الذي تبره في ترابه ، وماسُه في فحمه ، وجوهره في معدنه ، وأن صعوبتها من صعوبة العفة الممتنعة وأن خشونتها من خشونة الحب المعتز بنفسه ، وأن جفاءها من جفاء الدين المتسامي على المادة ، وأنها بمجموع ذلك كان لها الصبر الذي لا يدخله العجز وكان لها الوفاء الذي لا تلحقه الشبهة ، وكان لها الإيثار الذي لا يفسده الطمع .

هي جاهلة ، ولها عقل الحياة في دارها ؛ وغليظة الحس ، ولها أرق ما في الزوجة لزوجها وحده ؛ وخشنة الطبع ، لأنها تتنزه أن تكون ملمساً ناعماً لهذا وذاك وهؤلاء وأولئك .. لا كامرأة الحب الأوروبية ، التي تجعل نفسها أنثى الفن ، وتريد أن تعيش دائماً مع زوجها الشرقي - من التفضيل والإيثار والإجلال والإباحة - في كلمة « أنا » قبل كلمة « أنت » ... امرأة أنشأتها الحرب العظمى بأخلاق مخربة مدمرة تنفجر بين الوقت والوقت .

عندنا يا إخواني تعدد الزوجات يتهموننا به من عمى وجهل وسخافة . انظروا ، هل هو إلا إعلان لشرعية الرجولة والأنوثة ، ودينية الحياة الزوجية في أي أشكالها ؟ وهل هو إلا إعلان بطولة الرجل الشرقي الأنوف الغيور ، إن الزوجة تتعدد عند الرجل ، ولكن ... ولكن ليس كما يقع في أوروبا من أن الزوج يتعدد عند المرأة ...

يتهموننا بتعدد المرأة على أن تكون زوجة لها حقوقها وواجباتها - بقوة الشرع والقانون - نافذة مؤداة : ثم لا يتهمون أنفسهم بتعدد المرأة خليلة مخادنة ليس لها حق على أحد ، ولا واجب من أحد ، بل هَي تتقاذفها الحياة من رجل إلى رجل ، كالسكير يتقاذفه الشارع من جدار إلى جدار !

لعنة الله على شيطان المدنية العالم المخترع المخنث ، الذي يجعل للمرأة الأوروبية بعد أن يتزوجها الرجل الشرقي ، أصابع « أوتوماتيكية » ما أسرع ما تمتد في نزوة من حماقاتها إلى رجلها بالمسدس . فإذا الرصاص والقتل : وما أسرع ما تمتد في نزوة من عواطفها إلى عاشقها بمفتاح الدار ، فإذا الخيانة والعُهر !

ماذا تتوقعون يا إخواني من تلك الرقيقة الناعمة ، المتأنثة بكل ما فيها أنوثة تكفي رجالاً لا رجلاً واحداً ، وقد ضعفت روحية الأسرة في رأيها ، وابتذلت الروحية في مجتمعها ابتذالاً ، فأصبح عندها الزواج للزواج على إطلاقه . لا لتكون امرأة واحدة لرجل واحد مقصورة عليه ، وبذلك عاد الزواج حقاً في جسم المرأة دون قلبها وروحها : فإن كان الزوج مشؤوماً منكوباً لم يستطع أن يكون رجل قلبها - فعليه أن يدع لها الحرية لتختار زوج قلبها ...! ومعنى ذلك أن تكون هذه المرأة مع الزوج الشرعي بمنزلة المرأة مع فاسق ، ومع فاسق بمنزلة المرأة مع الزوج الشرعي ..!

وإن كان الرجل منحوساً مخيباً ، وكان قد بلغ إلى قلبها زمناً ثم مله قلبها - فعليه أن يدع لها الحرية لتتنقل وتلذ بلذات الهوى ، ويقول لها : شأنك بمن أحببت ! فإن هذا المنحوس المخيب ليس عندها إنساناً ، ولكنه رواية إنسانية انتهى الفصل الجميل منها بمناظره الجميلة ، وبدأ فصل آخر بحوادث غير تلك ، فلمن يشهد الرواية أن يتبرم ما شاء ، ويستثقل كما يشاء ، ومتى شاء انصرف من الباب ..!

امرأة هذه المدنية هي امرأة العاطفة : تتعلق باللفظ حين تُلبسه العاطفة من زينتها ، وإن ضاع فيه المعنى الكبير من معاني العقل وإن فاتت به النعمة الكبيرة من نعم الحياة .

تقوى العاطفة فتجيء بها إلى رجل ، ثم تقوى الثانية فتذهب بها مع رجل آخر ..! وتقيد نفسها إن شاءت ، وتسرِّح نفسها إن شاءت : وما بُد من أن تبلو الحياة كما يبلوها الرجل وأن تخوض في مشاكلها ، وإذا شاءت جعلت نفسها إحدى مشاكلها ...!

ولا مندوحة من أن تتولى شأن نفسها بنفسها ، فإذا خاست أو غدرت فكل ذلك عندها من أحكام نفسها ، وكل ذلك رأي وحق ، إذا كان محورها الذي تدور عليه هو عاطفتها وحرية هذه العاطفة ، فمن هذا يقرر لها خطتها ويملي عليها واجباتها ، ويزور لها الأسماء على إرادته دون إرادتها ، فيسمي لها نكد قلبها باسم فضيلة المرأة ، وحرمان عاطفتها باسم واجب الزوجة الشريفة ؟

ومنذا خوَّله الحق أن يقرر وأن يملي ؟

وهذا الشرقي العتيق المأفون الذي قبلها سافرة لا تعرف روحها ولا جسمها الحجاب ، ما باله يريد أن يضرب الحجاب على عاطفتها ويتركها محبوسة في شرفِه وحقوقه وواجباته ، وإن لم تكن محجوبة في الدار ؟

ما علمت يا إخواني إلا من بعد أن الزوجة الغربية قد تكون مع زوجها الشرقي كالسائحة مع دليلها ! هيهات هيهات ! إنه لن يُمسكها عليه ، ولن يكرهها على الوفاء له ، إلا أن تكون حُثالة يزهد فيها حتى ذباب الناس : فيأسها هو يجعل هذا المسكين مطمعها ، وهي مع ذلك لو خلطته بنفسها لبقيت منها ناحية لا تختلط ، إذ ترى أمته دون أمتها ، وجنسه دون جنسها : فما تسب أمة زوجها وبلاده بأقبح من هذا !

أما والله إن الرجل الشرقي حين يأتي بالأجنبية لتلوين حياته بألوان الأنثى ... لا يكون اختار أزهى الألوان إلا لتلوين مصائب حياته ، وقد يكون هناك ما يشذ ، ولكن هذه هي القاعدة .

قلب الإنسان في القرآن

■■ ربّان سفينة الجسم ، وقائد أجهزته نحو الخير حيناً ، ونحو الشر أحياناً ، إنه القلب : « ألا إنَّ في الجسم مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألاَ وهي القلب .. » ، هذه حقيقة بدهية لم يختلف فيها اثنان في القديم بلْه الحديث .

وإذا كان للقلب هذه المكانة الكبرى في حياة الإنسان فإن الإسلام في نهجه الإصلاحي كان غاية في الحصافة والدقة حينما توجه إليه أولاً بالتوجيه السديد ، والإصلاح الناجع ، ليكون نقطة انطلاق لسائر العلاجات ، أو ليضمن انفساح دائرة الصلاح حتى تعم الجسم كله ما دام الجوهر أو المحرك قد استوىٰ واستقام ■■

بقلم : عبد الغني أحمد ناجي

العقل لا يكفي ..

وإذا كانت قوى الإدراك في الإنسان ـ وهي العقل ـ لا تكفي في استواء الشخصية ، وفتح مغاليق الهداية في الحياة ، إذ أن تفكيرها الشارد بالرغم من امتيازه قد يجنح إلى الهلاك والدمار ، **فإن الإسلام وهو بهدف الإرشاد والتوجيه لا يعوّل على العقل وحده ، بل يتصدى للقلب ، ليصب فيه ـ بكل وسيلة ممكنة وناجحة ـ كل عناصر الرشد والهدى** ، ودليلنا على ذلك أن المشركين والكفار كان من بينهم من وصل بفكره إلى درجة العبقرية ، ولكن قلوبهم قد ران عليها الضلال ، فحجب عنها أنوار الهداية ، فلم ينفعهم ذلك الفكر الألمعي ، واستحقوا أن يُوصموا بالعمى في الحياة !

« **فإنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** » .

مناط الثواب ..

ومناط الثواب في الإسلام على ما في القلب من اهتداء أو ميل إلى الخير ، فالهم بالخير خير ، يُؤجر عليه المسلم ، حتى إذا نفذت الجوارح كان تضاعف الثواب والأجر ، فالحسنة بعشر أمثالها .

وإذا تلونا القرآن الكريم وجدناه يستقصي أنماط القلوب البشرية في ميولها ونزعاتها ، واستوائها ، وانحرافها ، ويذكر كل نمط في مناسبته بدقَّة وإحكام معجزين للبشر ، وهو في تصنيفه العام للقلوب يجعلها قسمين رئيسين :

قلوباً سليمة ، وقلوباً مريضة ، والسلامة والمرض هنا لا يقصد بهما الجانب العضوي ، فقد يكون القلب سليماً عضوياً ولكنه جانح إلى الفجور ، وقد يكون عليلاً عضوياً وهو على جانب كبير من التقوىٰ والورع ، فالسلامة إذن هي الهداية والاستقرار على الجادَّة التي رسمها الله تعالى لعباده المخلصين :

﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ، إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ ! ويقول تعالى مقرراً عدم نفع ما للإنسان في الدنيا من زخرف ومال يوم القيامة :

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ... ﴾ .

مرض القلب واستقامته

والمرض للقلب حينئذ هو الضلال والزيغ ، والأحقاد ، والضغائن والشك والارتياب ، والقسوة والغلظة ، وتفرق الأهواء ! :

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ ﴾ ،

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴾ ،

﴿ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا ﴾ ،

﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً ... ﴾ ،

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ .

وإذا كان للإسلام طرائقه الفذة في العلاج والإصلاح ، فإنه في مجال القلب المهيمن على الإنسان يسلك النهج الفريد لتقويم ذلك الربان حتى تسير السفينة ـ سفينة الإنسان ـ نحو الشاطىء الأمين ، وهنا يرشد **القرآن الكريم** إرشاداً مَشوباً بالمدح ، بغية الاستجابة ـ للنصح ـ يُرشد إلى أقوم سبيل ، أو أنجع علاج لمرض القلب الذي أسلفنا توضيحه ، ويحصر هذا العلاج الأوَّلي في ذكر الله سبحانه وتعالى ، ويقرن ذلك العلاج بالنتيجة الباهرة ، أو الشفاء المنشود ، وذلك هو الاطمئنان القلبي المبتغى ، الذي يحس به الإنسان طيب الحياة ، أو يشعر بالسعادة في الحياة :

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ ،

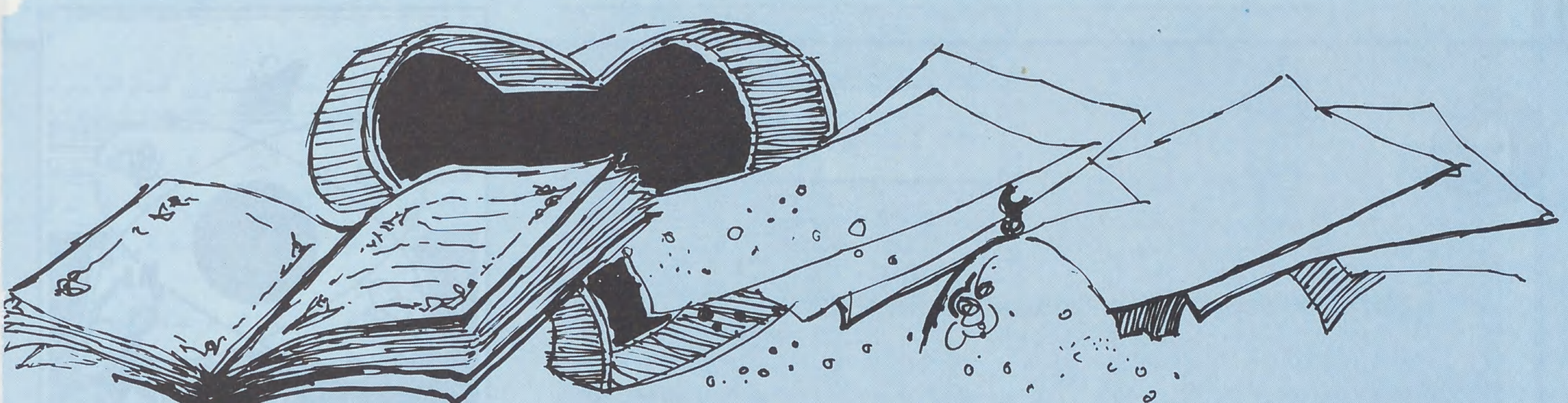

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ،

ولما كانت قلوب العباد بيد الله تعالى خالقها ، وهو الذي يمنح الإنسان ما به يصلح القلب ويستقيم ، كان على المؤمن أن يدأب على دعاء ربه بأن يهدي قلبه ، لما في تلك الهداية القلبية من سعادة الدارين :

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ... ﴾ .

الربط على القلب ..

وإذا ربط الله على قلب الإنسان قوي وتفجرت شجاعته في كل ميدان :

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ ،

﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ ،

﴿ إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا ﴾ ،

﴿ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ .

ويتحدث القرآن الكريم مصوراً في دقة معجزة ما يعتري قلوب البشر من خوف وهلع نتيجة تخلي الله تعالى عن العبد بعدم الربط على قلبه ، وما يتبع ذلك من فقد ذلك الاطمئنان والأمان !

﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾ ، وقد يكون ذلك للابتلاء والاختيار كما في قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ .. ﴾ .

ونقرأ في آية أخرى التعليل الصريح لما يصيب المؤمن من وَصَب في الحياة :

﴿ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ .

ولما كان القلب هو محط نظر الله تعالى من العبد مصداقاً لقول رسول الله ﷺ :

« إن الله لا ينظر إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » . جاء في القرآن محطاً للرسالة ، ومهبطاً للهدى والرشاد ، يقول تعالى :

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾ ، ويقول :

﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ .

الختم أو الطبع على القلب

وكأن القلب وعاءٌ ، ومن ثَمَّ نجد القرآن الكريم يكني عن انغلاقه دون أنوار الإيمان بالختم ، وما أروع اللفظ في إيحائه !!! ، ألست تحس صلابة الحاجز ، وإحكام الإغلاق ، حتى لم يعد هناك أمل في تسرب أيّ شعاع إلى القلب المختوم عليه ، نستمع في ذلك إلى قول الله تعالى :

﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ... ﴾

﴿ فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ ،

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ .

وقد يستعمل القرآن في ذلك المعنى لفظ الطبع ، فيقول الله تعالى في شأن الكافرين :

﴿ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ ،

﴿ وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ ،

﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

والقارىء لهذه الآيات البينات يجد المقدمة والنتيجة متعددة : عدم سمع ، وعدم فقه ، وعدم علم ، وما أصدق القرآن في ذلك فوعاء الهداية موصد على خُواء معتم ، فكيف يكون مع ذلك سمع أو فقه أو علم ؟! ، وأحياناً يصور القرآن قلوب المعاندين بأنها محجوبة عن نور الحق والرشاد بأحجبة وأغلفة كثيفة :

﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴾ ،

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ﴾ ،

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ .

السكينة في القلب ..

ولما كان القلب هو مستقر الإيمان في الإنسان ، فإن الله تعالى لا يعبأ إلّا به ، وبما يحتويه من يقين واعتقاد :

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ، قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ ،

﴿ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ ... ﴾ .

وإذا أراد الله للإنسان حياة مستقرة استقرار هدوء ورضى ، أنزل السكينة في القلب ، ليستقر الجسم ، وترتاح الأعصاب ، وتتسق الأحاسيس والعواطف :

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً ... ﴾ .

وتآلف الناس في الحياة عنصر من أهم العناصر التي تكون سعادة الفرد والمجموع ، بل هو المنبع الثَّر لتفجر تلك السعادة المبتغاة ، وهذا التآلف لا ينبع إلا من قلب مؤمن مطمئن ، صَبَّ الله تعالى فيه التآلف وحبّ الخير صباً :

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ ،

﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾ .

من هذا الاستعراض لصنوف قلب الإنسان وأوضاعه في القرآن نقف على مدى أهمية القلب أولاً ، ثم نُبَصَّر بقلوب هي رياض للإيمان وبأخرى هي بُوَر للفساد فنعمل جاهدين على أن تكون بين جوانحنا الأولى لا الثانية :

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ .

عجائب المخلوقات

٥

الإنسان و الصحراء

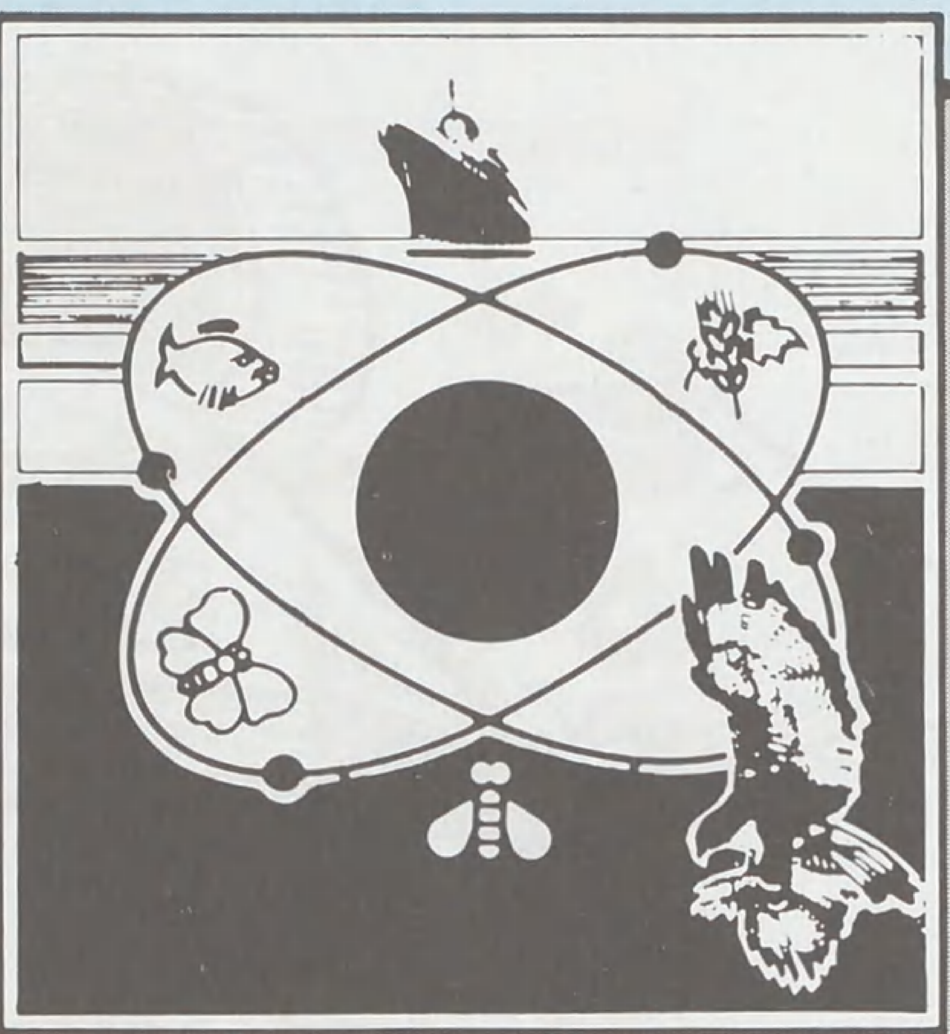

العلم والحياة

■■ لعبت الصحراء دوراً مهماً جداً في التاريخ البشري . ورغم أن خمسة فقط ، من كل مائة إنسان في العالم ، يعيشون في الصحراء ، فإن الصحراء الحارة والقطبية تغطي ٣٠٪ من مساحة الكرة الأرضية ، وبسبب قلة النبات فإنها لا تستطيع توفير الغذاء لعدد كبير من الناس .. ■■

لا يزال بعض سكان الصحارىٰ يعيشون على الصيد وجمع الثمار البرية ، في ناميبيا تبني قبائل « البوشمان » الأكواخ ، ولكن لا تنام فيها ، كل ليلة يبنون مضاجع مؤقتة في الأغصان والأعشاب ، وهم لا يحتفظون بقطعان من المواشي وإنما يعتمدون في غذائهم على صيد الحيوانات البرية وجمع الثمار . يطارد الرجال الحيوانات بالرماح والأقواس والسهام والعصي ، وهم صيادون مهرة يستطيع الواحد منهم قتل ظبي بسهم مسموم على بعد (١٥٠) متراً .

أما النساء والأطفال فينقبون في التربة بحثاً عن جذور أو بصيلات صالحة للأكل . ولديهم أيضاً مهارة غريبة في الوصول إليها . كما أنهم يحصلون على الماء من بعض المنخفضات ويشربونه بواسطة قصبات ، ويخزنونه في صدف بيض النعام وهياكل بعض الثمار كالبطيخ واليقطين .

في زمن الخصب تظهر على « **البوشمان** » السمنة ، ولكنهم سرعان ما يفقدون ذلك زمن القحط . من ناحية أخرىٰ يتصف « **البوشمان** » بصفات الخجل والذكاء وحسن الطبع والميل إلى الفن ، وعادة ما يتركون رسومات جميلة على الصخور .

في استراليا أيضاً لا يزال بعض سكان الصحارىٰ يعيشون على صيد الحيوانات البرية بالسهام وآلات الصيد البدائية ، وعلى جمع الجذور والبصيلات الصالحة للأكل . لهؤلاء السكان عقائد غريبة ، فهم يعتقدون أن كل قبيلة قد انحدرت من نبتة معينة أو حيوان معين ، ويجب حماية هذا الحيوان أو تلك النبتة بأداء طقوس معينة ، والأغرب من ذلك أن هؤلاء السكان يعيشون عراة ، وقد تكيفت أجسامهم لتتحمل الحر والبرد . أما منازلهم فمن العصي والأعشاب .

إن حياة التنقل قد مكنت الإنسان من العيش في الصحراء التي لا تشهد نزول الأمطار إلا بشكل متقطع . في بعض الصحارىٰ قد تمر السنون دون أن تنزل الأمطار . كما أن الأعراف التي تنظم العلاقات بين القبائل ، وأحياناً تنظم الحدود بينها ، قد جعلت التنقل مأموناً إلى حد ما . وعادة ما يكون التنقل على ظهور الجمال وبرفقة الماشية ، أما الخيل فلها قيمة خاصة .

لا يكف البدو والرعاة عن الحركة : خاصة مع نزول الأمطار الذي يعقبه ظهور الزرع الضروري لجمالهم ومواشيهم ، هناك بدو رحل في زمن الأمطار فقط ، ولكنهم يقيمون في القرىٰ في فصل الجفاف . وعادة ما تقام تلك القرىٰ حول آبار المياه ، أو على ضفاف الوديان ، إنهم لا يستطيعون الابتعاد عن تلك المياه ، إلا عندما ينزل المطر وينبت العشب ، فلا تعود الجمال بحاجة إلى الماء . كما أنهم يكتفون بالحليب . إلا أنهم مضطرون للعودة إلى تلك المياه كل بضعة أيام لأن الأغنام لا تستغني عن الماء أكثر من ذلك .

حياة التنقل صعبة ، إلا أن أصحابها عادة ما يعتزون بها ، خاصة لما تتيحه لهم من استقلالية . إنهم يفضلون أنفسهم على سكان المدن ، ولكنهم مضطرون للتعامل معهم ، مقابل اللحوم والحليب والجلود والصوف يحصل البدو على الحبوب والأملاح والضروريات الأخرىٰ ، وباستخدامهم الخيول والجمال والحمير والأبقار واللاما (من حيوانات أمريكا الجنوبية) فإنهم في غنى عن الاستقرار .

كذلك فإن الخيام توفر لهم ملجأ من الرمال

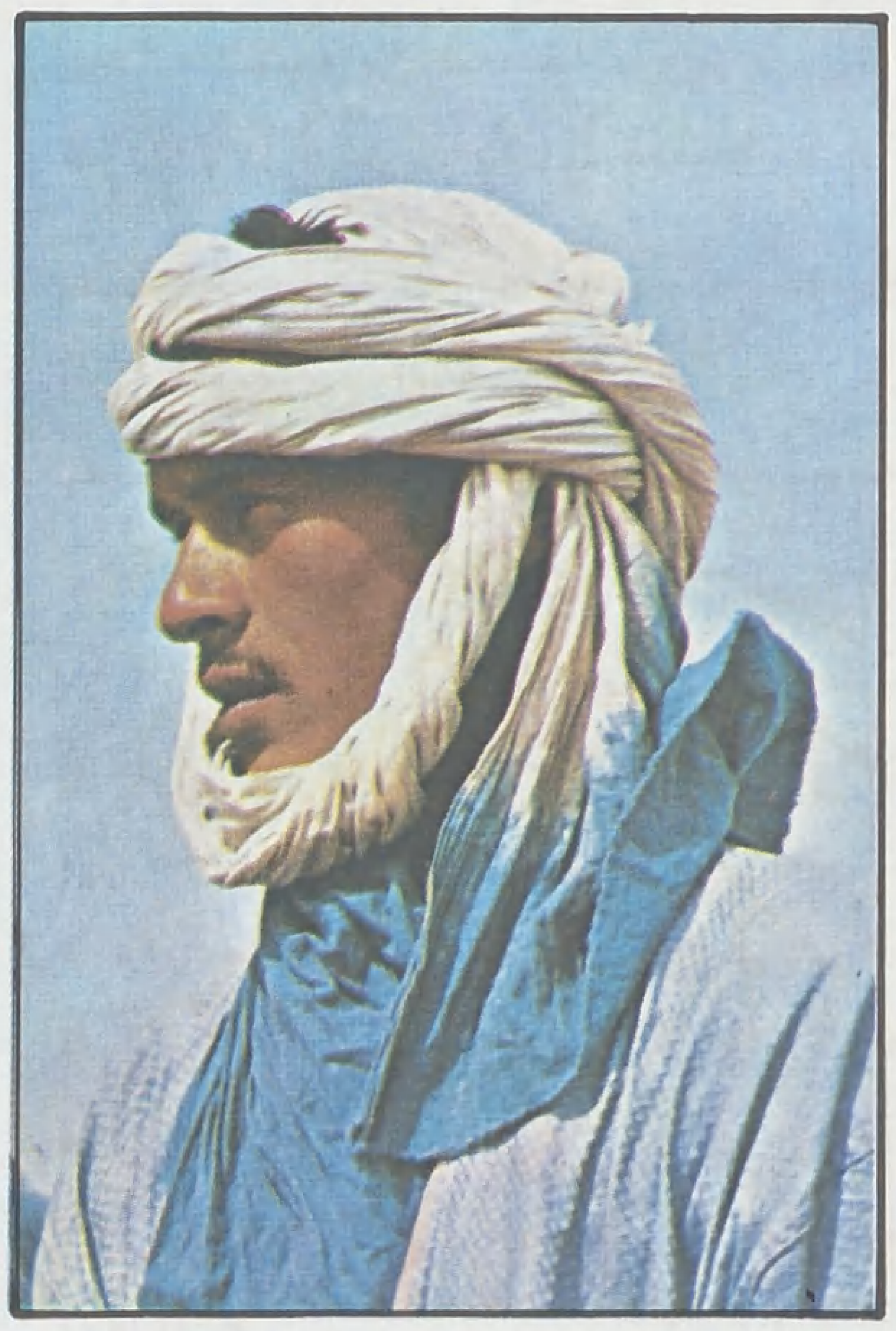

● الطوارق ●

● اسكيمو ينصب فخاً ●

والرياح ، وسهولة إقامتها وحملها تساعد على التنقل .

بينما يعيش سكان صحارى استراليا عراة ، فإن البدو العرب يغطون أجسامهم تماماً بالملابس ، بل إن أبناء قبائل الطوارق في الجزائر يغطون وجوههم بقماش أزرق معتم . إضافة إلى الدافع الديني لذلك فإن الثياب الفضفاضة تقي الجسم من الحر والرياح .

في هذا القرن بالذات ازداد عدد البدو الرعاة ، وعدد سكان الصحارى والواحات ، ولكن ذلك أدى إلى ازدياد مساحة الصحارى لأن زيادة عدد السكان نتج عنها التهام المواشي لمساحات أكبر من الأعشاب ، كما نتج عنها قطع كثير من الأشجار لأغراض التدفئة والطبخ .

إن حياة الاستقرار ممكنة فقط في المناطق الغنية بالماء والواحات . ولقد نشأت الحضارات القديمة في آسيا وأفريقيا في المناطق الخصبة الغنية بالماء ، خاصة في أحواض الأنهار ، ومن ذلك الحضارات المصرية والآشورية والبابلية ...

لقد لعبت الواحات دوراً مهماً في التاريخ البشري ، وقد تغيرت تماماً بفعل النشاطات الإنسانية ، حتى إن أحداً لا يستطيع معرفة النباتات الأولى الأصلية التي كانت سائدة في الأصل . كما هو معروف فإن أشهر النباتات في الصحراء ، خاصة الصحراء العربية ، النخلة ، التي تنمو في ظلالها نباتات أخرى . وثمرها الذي يستخدم غذاء للإنسان ، يستخدم نواه لتغذية الجمال ، كما أن أوراقها تستخدم لإشعال النيران ، بينما تستخدم جذوعها لبناء الأكواخ . وهكذا لا يهدر شيء منها .

يعتبر الاسكيمو ، في القطب الشمالي ، سكان صحراء أيضاً . ففي الشتاء البارد لا يبقى منهم إلا القليل ، أما في القطب الجنوبي فلا يبقى أحد .

يعتمد الاسكيمو على حيوانات البحر للغذاء . وقد يمكثون أياماً عند حفرة في كتلة ثلجية انتظاراً لحيوان فقمة قد يخرج منها . عندها يطعنون الحيوان ويجرونه . إضافة إلى توفيره الغذاء فإنهم **يستخدمون** دهنه للإضاءة والتدفئة . كذلك فإنهم يحصلون على الغذاء من قطعان غزال الرنَّة ومن ثور المسك ، وهذه الحيوانات توفر لهم الألبسة أيضاً .

يبني الاسكيمو منازلهم من الحجارة والأخشاب والعظام والجلود والخثّ . أما الأكواخ المبنية من الثلج فيستخدمونها في حالات السفر فقط . ورغم أن تلك الأكواخ مبنية من الثلج فإنها دافئة في الداخل ، حتى إن الاسكيمو ينزعون فراءهم داخلها .

وكما حدث في بعض الصحارى الحارة عندما تدفق الناس إليها إثر اكتشاف النفط والمعادن ، فقد تدفق الناس إلى المناطق القطبية التي اكتشف فيها النفط والمعادن . ومع الناس دخلت الآلات الحديثة وتطورت أساليبهم في الحياة . فقد استخدمت السيارة والبندقية ، مما أدى إلى تهديد البيئة والحياة النباتية والحيوانية ، نتيجة لسوء استخدام الآلات المتقدمة .

من ناحية أخرى ، فمع تحسن الخدمات الطبية ، تحسن المستوى الصحي للاسكيمو وزادت أعدادهم ، كما زادت رغباتهم المادية .

● الاسكيمو يبنون بيتاً ●

● دب قطبي يبحث عن الغذاء في أنقاض السيارات ●

● واحة نخيل في صحراء الجزائر .. كثيرة هي الواحات المهددة بالتصحّر ●

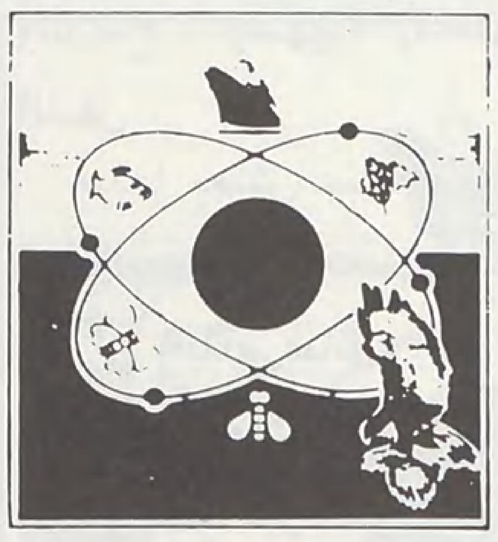

العلم والحياة

قماش جديد

من العوامل التي تحدد جودة قماش مدى قدرته على امتصاص الرطوبة . الصوف مثلاً يمتص ١٦٪ من وزنه من الرطوبة ، بينما يمتص القطن ٩٪ أما النايلون فلا يمتص أكثر من ١٪ من وزنه . وقد تمكن كيميائي أمريكي مؤخراً من تصنيع نوع من القماش يستطيع امتصاص ٤٠٪ من وزنه من الرطوبة ، ويقول « شيلدون أطلس » : إنه يمكن دمج النوع الجديد من الخيوط مع الأنواع التقليدية لتصنيع ملابس خفيفة أكثر ملاءمة للجسم .

اختراعات جديدة

ساعة جديدة تعمل بالطاقة

سوف تنزل إلى الأسواق قريباً ساعة جديدة تعمل بالطاقة الشمسية ، قامت بتصنيعها شركة يابانية . والساعات التي تعمل بالطاقة الشمسية ليست جديدة ، إلا أن الفرق بينها وبين النوع الجديد ، أن الأولى تعمل ببطاريات تشحن باستمرار بواسطة الضوء الذي تحوله الخلايا الكهروبيضوية إلى كهرباء . هذه البطاريات تبلى ولا بد من تبديلها بين حين وآخر .. أما النوع الجديد فيعتمد على مكثف إلكتروني يخزن الطاقة الكهربية إلى حين الحاجة ، ولا يحتاج للتبديل .

استخلاص الزيت من التمر

أجرى العلماء الهنود في معهد الأبحاث التكنولوجية في « آندهاراباردیش » تجارب على إمكانية استخلاص الزيت من التمر . وتتم طريقة التصنيع بطحن بذور التمر حتى تتحول إلى مسحوق ثم ترطيبه وطبخه فوق بخار يغلي . وقد أسفرت التجربة عن الحصول على كمية من الزيت بنسبة ٤ر٦٪ من المسحوق . لون الزيت أصفر ، ويمكن تكريره واستخدامه في الطعام بعد ذلك . أما بقية المسحوق فيمكن استخدامها غذاء للحيوانات ، لأنها غنية بالبروتين .

تكنولوجيا

المؤسسة الإسلامية للتنمية والتكنولوجيا والعلوم

أنشئت المؤسسة الإسلامية للتنمية والتكنولوجيا والعلوم عام ١٩٧٨م ، من قبل ٤٣ دولة إسلامية شعرت بالحاجة إلى عمل مشترك في ميدان العلوم والتكنولوجيا . وكان مؤتمر القمة الإسلامية الثالث قد أوصى بتخصيص ٥٠ مليون دولار للمؤسسة . ولكن لم تقدم سوى السعودية وباكستان ما التزمتا به من أموال ، ثم تلتهما تونس والأردن واندونيسيا .

يقول الدكتور علي قطاني المدير العام للمؤسسة : « إذا حصلنا على المبلغ الذي التزمت به الدول الأعضاء ، فسوف نستثمره كوقف إسلامي ونحصل منه على أرباح سنوية ، ولن نحتاج بعدها إلى مبالغ جديدة » .

أما عن طبيعة عمل المؤسسة فيقول المدير العام : « يمكن أن نعمل كمؤسسة خدمات واستشارات ، وقد دخلنا في مناقشات مع عدة منظمات علمية دولية . وقد أقر بنك التنمية الإسلامي اقتراحاتنا حول البرادات الشمسية . وقد دخلنا في مناقشات مع شركات كندية حول قضايا الطاقة في الأقطار النامية . ونأمل أن نمول هذا العام نفقاتنا من عائدات دراساتنا وخدماتنا ، ونحن نتطلع إلى العلماء المسلمين داخل وخارج العالم الإسلامي لدعم المؤسسة . ويمكن القول : إنه بدون دعمهم لن تستطيع المؤسسة الاستمرار ، وهؤلاء العلماء يمكن أن يقدموا لنا الدعم بطرق عدة . وقد أبدى بعضهم استعداده لتقديم الخدمات الاستشارية مجاناً . كما أن لنا اتصالات مع مراكز البحث العلمي في الدول الأعضاء ، ومع المؤسسات الاستشارية في القطاع الخاص ، هذا وقد استطعنا الحصول على دعم من القطاع الخاص ومن الدول الأعضاء لبرامج المنح العلمية .

كانت المؤسسة قد انشئت لجمع المعلومات العلمية وجعلها في متناول العلماء المسلمين . وقد أعدت دليلاً لجميع الجامعات في العالم الإسلامي ، خاصة تلك المهتمة بالعلم والتكنولوجيا . ويزيد عددها على (٣٠٠) جامعة . كذلك أعدت المؤسسة دليلاً بأسماء مراكز البحوث في العالم الإسلامي وعددها يتجاوز الـ (٨٠٠) ، واصبح لدى المؤسسة صورة عن مدى قدرة وطاقة تلك المراكز ، ويجري تحديث هذا الدليل باستمرار ، وتقوم المؤسسة الآن برصد الطاقة العلمية البشرية في العالم الإسلامي بإعدادها لدليل حول العلماء المسلمين .

تتطلع المؤسسة إلى التعاون مع الجهات المعنية في العالم الإسلامي لنشر ما يتجمع لديها من معلومات من خلال شبكة بنوك المعلومات في الدول الإسلامية ، وكذلك من خلال شبكات الاتصال المختلفة .

يقول الدكتور قطاني : « العلماء المسلمون اليوم متباعدون في مختبراتهم . يعلم الواحد منهم ما يجري في بريطانيا ولا يعلم ما يجري في دولة مسلمة مجاورة ، وربما لا يدري ما يدور في جامعة أخرى في بلده نفسها ، ومن أهداف المؤسسة التنسيق بين جهود العلماء المسلمين وتعزيز الاتصال بينهم . من أجل ذلك تقوم المؤسسة بالإعداد لمؤتمرات علمية للعلماء المسلمين في مختلف الميادين ، بهدف التنسيق والاتصال بينهم ، وسوف تنظم المؤسسة المزيد من حلقات البحث .

إن ٩٣٪ من الاستشارات في العالم الإسلامي تجري في الدول المتقدمة ، مع أن الدول الإسلامية تنفق ملايين الدولارات على تخريج المهندسين والعلماء . ولذلك فإن القيام بالاستشارات أحد أهم أهداف المؤسسة .

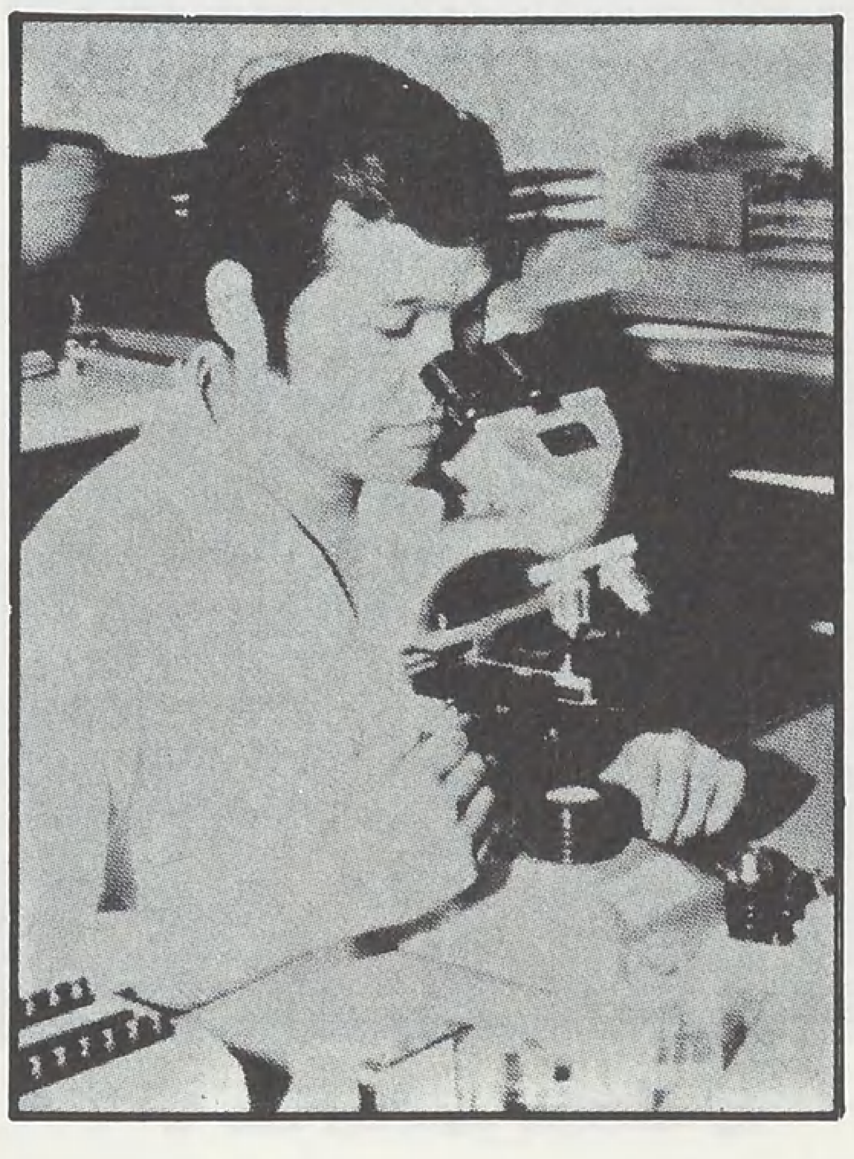

يقول المدير العام : هناك إحساس بالهوية لدى العلماء المسلمين . وهم يتوقون لخدمة الأقطار الإسلامية . وهذا بحد ذاته مصدر تفاؤل ، قبل عشرين عاماً ، لم تكن مثل هذه المؤسسة موجودة ، ولم يكن الحديث عن المستوى العلمي للأمة الإسلامية ككل وارداً .

هندسة الوراثة وتطوير الزراعة

زراعة

بدأ مهندسو الوراثة النباتية تجاربهم على الأشجار ، ويعتقد هؤلاء أنه كما أمكن إنتاج سلالات قمح غزيرة الإنتاج باستيلادها من أعشاب برية ، فإنه يمكن إنتاج سلالات جديدة من أشجار الصنوبر سريعة النمو ومستطيلة الأخشاب .

المشكلة الوحيدة التي تعترضهم هي : كيفية توليد هذه السلالات من الخلايا المزروعة في المختبرات . ولكن يبدو أن العلماء على وشك التوصل إلى حل لهذه المشكلة .

المعروف أن الطرق التقليدية لاستيلاد سلالات جيدة من النباتات ، تتسم بالبطء ، تحتاج سلالة القمح الجيدة مثلاً إلى عام ، بينما تحتاج سلالة الصنوبر من ١٠ إلى ٣٠ عاماً . لقد احتاج الأمريكيون ، إلى ٢٨ عاماً لزيادة مساحة غابات الصنوبر البالغة ٢٠ مليون هكتار بنسبة ٣٠٪ ، وذلك بزراعة البذور المأخوذة من الأشجار الجيدة . وقد لجأت إحدى شركات الأخشاب الأمريكية إلى عملية تزاوج غريبة بين الأشجار إذ جمعت حبوب الطلع من شجرة مختارة جيداً ونثرتها على شجرة أخرى .

يقوم مهندسو الوراثة الآن بأخذ كمية من خلايا شجرة صنوبر تختار لنموها الجيد أو لمقاومتها للأمراض ، ثم تنتج من كل خلية نبتة صغيرة شبيهة بالشجرة الأم . هذه العملية لا تزال في طور التجارب في المختبرات . ومن شأن هذه العملية أن تجنب مخاطر التهجين (مثل نمو أشجار ضعيفة من أشجار قوية ، وتشبه هذه المخاطر بولادة الأقزام لآباء من لاعبي كرة السلة) . أي أنها تضمن ظهور ذرية متناسقة .

هذه العملية ، كما قلنا ، لا زالت في المختبرات فقط . ولكن يجري الآن تطبيق تجارب أخرى على نطاق عملي ، مثل أخذ كمية من البراعم ووضعها في مخمر كيميائي ، يسمح لها بالتكاثر في عدة اتجاهات . ثم يؤخذ كل برعم صغير ويوضع في مخمر آخر يسمح بنمو الجذور . وتكون النتيجة شجرة صغيرة . تسمح هذه الطريقة (تسمى التكاثر الازدواجي) لمزارعي الفواكه بتوليد عدة أنواع من الأشجار التي يصعب توليدها بالطريقة الطبيعية إلا ببطء شديد وعبر عملية التطعيم المملة .

وقد أعلن مركز أبحاث بريطاني أن لديه إمكانية لإنتاج مليون شجرة فواكه في العام بهذه الطريقة . المشكلة الوحيدة أمام هذه الطريقة هي أنه كلما كانت الشجرة أصغر كانت عملية زراعة البراعم أسهل ، ولكن المطلوب إجراء عملية الاستيلاد من الأشجار الكبيرة التي أثبتت جدارتها ، وقد أمكن الوصول إلى تجديد شباب الأشجار الكبيرة باستخدام مركبات كيماوية خاصة تجعل زراعة البراعم أسهل ، كما أمكن اللجوء إلى طريقة أخرى وذلك بأخذ البراعم من السيقان المتفرعة من الجذور .

هناك طريقة أخرى لتحسين سلالات الأشجار ، وتقوم على زراعة النتوءات Callus culture . ولكن هذه الطريقة أصعب من سابقتها .. وفي بعض الأشجار كان إجراؤها مستحيلاً . وقد تمكنت الشركة الانجليزية الألمانية « يونيليفر » من زراعة آلاف من أشجار نخيل الزيت بهذه الطريقة . ولكن هذه الطريقة لم تنجح حتى الآن مع الأشجار الصنوبرية .

ولكن يأمل المتفائلون أن تصبح هذه الطريقة ذات جدوى اقتصادية خلال سنوات قليلة .

طب تحديث العلاج الشعبي

تنفق أقطار العالم الثالث مبالغ هائلة من المال على الأدوية المستوردة ، تصنع معظم تلك الأدوية من الأعشاب الموجودة في العالم الثالث نفسه .

وقد أنهى المركز الوطني المصري للأبحاث دراسة استغرقت ثماني سنوات لتصنيف العقاقير التقليدية العشبية المستخدمة في الأردن وشمالي افريقيا . وقد تم تصنيف (٣٦٩) عشبة تستخدم ضد أمراض تتراوح من وجع الأسنان وآلام الدورة الشهرية إلى آلام المرارة .

وقد اجريت دراسة مماثلة في أثيوبيا بإشراف الأمم المتحدة وقسم الطب الشعبي في اثيوبيا ، أسفرت عن تصنيف (٢٠٠) عشبة من أعشاب الدواء . وقد قررت أثيوبيا تنظيم الطب الشعبي بحيث يصبح جزءاً من النظام الطبي للدولة .

وفي كمبوديا ذكر المركز الوطني للطب الشعبي انه قد طور ١٦ عقاراً ضد عدد من الأمراض مثل : الأنفلونزا والحمى والديسنتاريا ، وقد تم تطوير العقارات من (٥١٤) عشبة محلية ، وذكر المركز ان هذه العقارات قد اثبتت انها افضل من العقاقير الكيماوية المستوردة .

مجلة إسلامية طبية

أصدرت وكالة الصحافة الإسلامية في لندن مجلة طبية باللغة الانكليزية تحت اسم « المجلة الطبية للعالم الإسلامي » ، ويرأس تحريرها الدكتور عادل السبكي . ويقول رئيس التحرير : إن أهداف المجلة هي : تزويد الطبيب الممارس والحديث التخرج بمعلومات اكلينيكية منتظمة وحديثة . وكذلك أن تكون وسيلة إعلامية لنشر الأبحاث العلمية الأصيلة في مجال الطب ، سواء اجريت تلك الأبحاث في الشرق أو الغرب .

من بين أهداف المجلة ايضاً توثيق المساهمات الطبية الإسلامية ، سواء أكانت تاريخية قديمة او معاصرة .

كما تسعى المجلة للمساهمة في محاولات وضع ميثاق اخلاقي إسلامي لمهنة الطب .

بصمات الأصابع تكشف عن داء البول السكري

اصبح بالإمكان التنبؤ باحتمالات إصابة شخص ما بداء البول السكري ، إلى درجة ٨٠٪ ، من خلال بصمات الأصابع . هذا ما توصلت إليه دراسة أجريت على مائة مريض في بنسلفانيا بالولايات المتحدة ، نصفهم مصابون بداء البول السكري ، واظهرت الدراسة ان هناك حلقات دائرية على أصابع السبابة واخرى مثلثة على النتوء المستدير عند إبهام الرجل . ولأن مرض البول السكري وراثي فإن التنبؤ به من خلال هذه البصمات امر ممكن .

الشخصية الإسلامية ومؤسسات التعليم الغربية

حوار مع المسلم البريطاني يوسف إسلام

■■ بات من المعروف أن شخصية الفرد تتحدد من خلال الإطار الثقافي الذي يعيشه ، وطبقاً لمناهج التوجيه والتربية والتعليم التي يخضع لها وينشأ في أجوائها ، من هنا جاءت تساؤلات المهتمين بالمحافظة على الأصالة والذاتية الإسلامية في ديار الغرب حول إمكانية أن تتكون للفرد المسلم شخصيته المستقلة المتميزة وهو يعيش في بيئة اجتماعية وثقافية تتحكم فيها وتسيطر عليها مناهج تربية وتعليم تتعارض في مجملها ، بل تكاد تكون مناقضة للقيم والمبادىء والأفكار الأساسية التي يعتقدها المسلم وتوجهه ، وتفتقد القيم الروحية ، فكيف يمكن للمسلم والحالة هذه أن ينشأ محافظاً على شخصيته وذاتيته وعقيدته ؟! ■■

هذا التساؤل ما أكثر ما يتردد الآن على الألسنة بين أفراد الجالية المسلمة في ديار الغرب عامة ، ومنها : بريطانيا حيث بدأ المسلمون يحسون ويعاينون مدى تأثير الثقافة الانكليزية بمفاهيمها وقيمها وتصوراتها التي تتلقاها الناشئة والأجيال المسلمة من خلال الحياة وسط المجتمع البريطاني ، ومدارسه ومعاهده ودور العلم فيه على وجه الخصوص ، الأمر الذي ينذر بظهور جيل يكاد يكون مبتوت الصلة بدينه وأهله ومجتمعه ، أقرب ما يكون إلى المجتمع الغربي في سلوكه وتصرفاته ونمط معيشته وحياته ونظرته إلى الحياة والأحياء وحقيقة الوجود ...

إذ لم يعد مثيراً للدهشة أو الاستغراب أن نجد أباً عربياً مسلماً يتحدث إلى طفله الذي لم يتجاوز السادسة من عمره بالعربية ، فيجيبه الطفل بالانجليزية ، فهو يفهم المطلوب إلا أنه عاجز عن التعبير أو الرد بالعربية ، ونسأل الأب عن والدة الطفل أهي انكليزية ؟ ويأتي الجواب : إنها عربية أيضاً : إلا أنه يقضي معظم أوقاته مع أطفال الانكليز يحادثهم ويحادثونه ، والأوقات التي يختلط بها بأطفال عرب لا تتعدى سويعات في الأسبوع كله ، فكان ما ترونه ...

وهنا يأتي التساؤل : ماذا بعد أن افتقد أو كاد الوسيلة التي تصله بجذوره وأصوله وتشعره بذاتيته وانتمائه إلى أمة ذات عقيدة وحضارة وأفكار ومبادىء متفردة ؟ وكيف يمكن لعمليات البناء الإسلامي والتنشئة الإسلامية أن تجد طريقها إليه بعد أن كاد يدبر بلسانه عن لغة القرآن الكريم ، وبالتالي عن سلوكيات وأخلاقيات هذا القرآن ؟!

هذه المشكلة من أشد المشاكل التي يعانيها مسلمو مجتمع الاغتراب ، تملأ عليهم قلوبهم وعقولهم ، وتشغل أذهانهم أفراداً وجمعيات ومنظمات ، وتؤرقهم علّهم يهتدون إلى حل يحفظ على ناشئتهم دينهم وخلقهم ، وبالتالي يشعرهم بشخصيتهم الإسلامية المغايرة لما يرونه من حولهم ... وهو ما عبر عنه أحد المشاركين في حلقة دراسية نظمها المركز الإسلامي للتربية والأبحاث

■ المدرسة الإسلامية الابتدائية في « **بورو أوف برنت** » بلندن ■

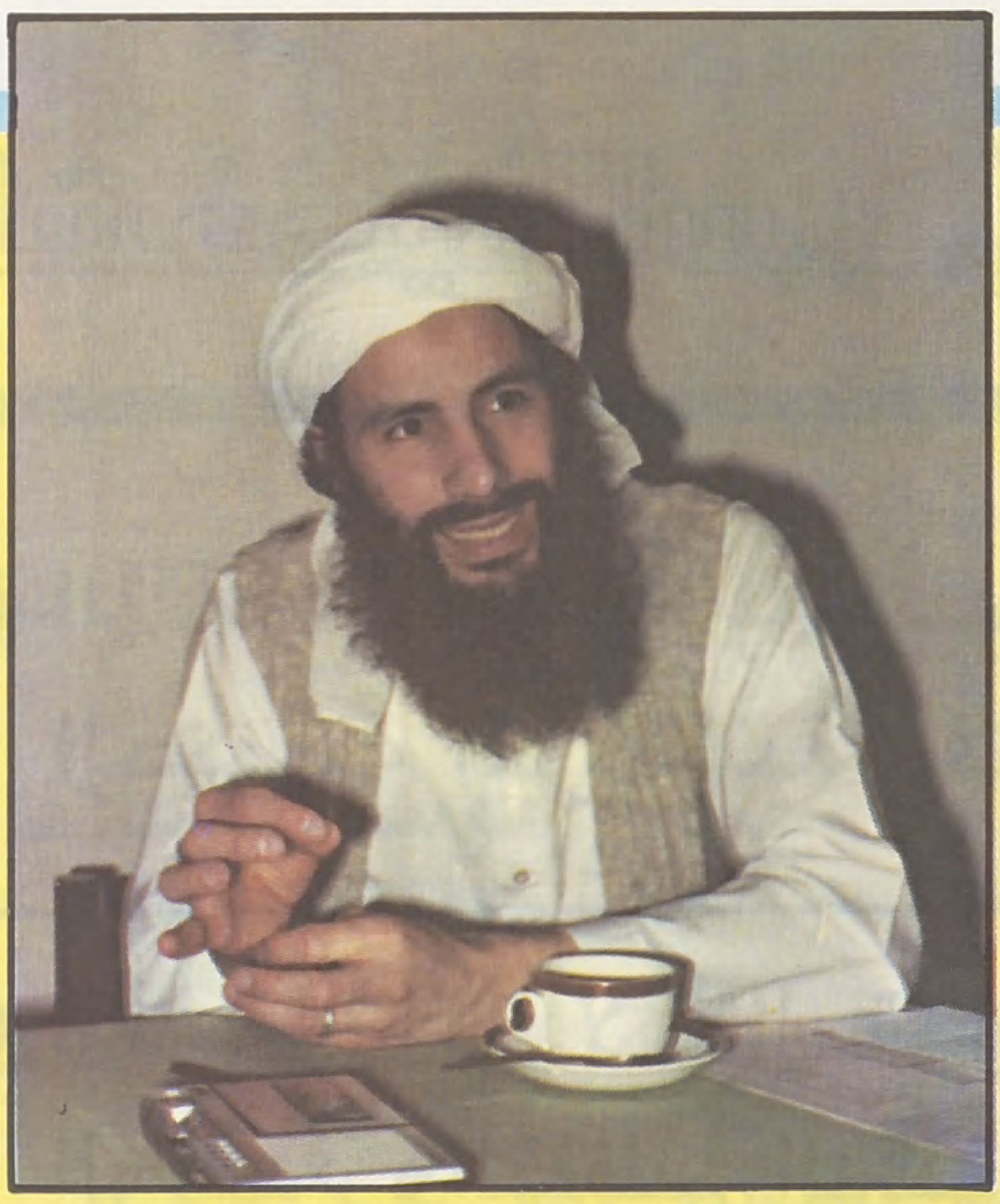

■ يوسـف إسـلام :
ما نريده : مدارس فيها مساجد ، أو مساجد فيها مدارس ■

● أبناء الجالية المسلمة في بـريطانيا يواجهون الأخطار والمشكلات والصعوبات التي تتهددهم ، ولا بد من تدارك الأمر قبل أن يجرفهم التيار .

● التعليم هو الوسيلة الأكثر إيجابية والأبعد أثراً في الحفاظ على الشخصية الإسلامية المستقلة لأبنائنا وأجيالنا .

بلندن في أيلول (سبتمبر) ١٩٨١م بقوله :

[إن القضية التي تواجهنا اليوم ملحة ... بل انها تكاد تُشكل أزمة بحد ذاتها ... فأي منا ممن أتيح له مجال الاطلاع عن كثب على أوضاع المسلمين الصغار الذين ولدوا في بريطانيا ، أو قدموا إليها في سن مبكرة ، لا بد وأن يدرك بكل مرارة وألم الأخطار والمشكلات والصعوبات المحدقة بهم في المجتمع الغربي والتي تهددهم ، والاحتمال الكبير بأن يجرفهم التيار مع مرور الزمن بعيداً عن إيمانهم ودينهم ...]

فالمجتمع البريطاني كغيره من مجتمعات الحضارة الغربية تسيطر عليه المادية القاتلة ، وتسوده الفاحشة من كل جانب ، وتتحكم فيه وسائل إعلام تروّج أفكاراً ومواقف معادية لكل دين أو خلق ... أما مؤسساته التربوية والتعليمية فتخضع لتصورات ومفاهيم وقيم صيغت وفقاً لقوالب ثقافية وتربوية كنسية مادية ... وقد أكدت بعض الدراسات الميدانية التي أجريت في بريطانيا تأثر الأولاد بهذه الثقافة الكنسية نتيجة حضورهم في مدارسهم مع أندادهم البريطانيين المـواظ والقداسات الكنسية ... وعلى هذا نستطيع القول :

إن الخطر المحدق الذي يتهدد الأجيال المسلمة في ديار الغربة ومنها بريطانيا يأتي من النظام المعمول به في مؤسسات التعليم والتربية ، [في بريطانيا مثلاً : يبلغ عدد أفراد الجالية المسلمة حوالي المليوني نسمة ، منهم أكثر من مائة ألف طالب ينتسبون إلى المؤسسات التعليمية فيها تتراوح أعمارهم ما بين الخامسة والسادسة عشرة] .

من هنا كان طريق المحافظة على الذاتية والأصالة الإسلامية لهذه الأجيال يبدأ بخطوة إيجاد مؤسسات تعليمية متكاملة لأبناء المسلمين ، وعدم الوقوف عند حدود مدارس نهاية الأسبوع أو مدارس الأحد ، وتخليصهم من تلقي التعليم والتربية في مدارس غير إسلامية .

●● وحول هذه المشكلة كان لقاؤنا في مقر « **المدرسة الابتدائية الإسلامية** » في « **بورو أوف برنت** » في لندن مع الأخ **يوسف إسلام** أشهر مغني موسيقى « **البوب** » قبل إسلامه ، فهو صاحب رأي وتجربة عملية لمحاولة حلها بعد أن أصبحت تؤرقه وتقض مضجعه وتشغل باله وتفكيره منذ أن رزقه الله عز وجل مولودته الأولى « **حسنة** » ثم شقيقتيها « **أسماء** » و « **ميمنة** » حيث ابتدرنا بقوله :

إذا كان لليهود الذين يقل عددهم عن نصف مليون نسمة مدارسهم الخاصة ، وللطائفة الكاثوليكية مدارسها الخاصة ، فلماذا لا تكون لنا ، نحن المسلمين ، مدارسنا الخاصة ، ونحن نشكل ثاني أكبر طائفة دينية في بريطانيا حيث يزيد عددنا عن مليوني نسمة ؟!

من حقنا أن تكون لنا مدارسنا الخاصة التي تساهم الحكومة البريطانية في الإنفاق عليها ... وأن نحصل لها من السلطات التعليمية البريطانية على دعم مادي ومساعدات فنية وإدارية ، هذا الحق منصوص عليه في قانون التعليم البريطاني لسنة ١٩٤٤م والذي أكده قانون عام ١٩٨٠م ..

لقد استطاع الكاثوليك منذ أربعين سنة ثم اليهود أن يحسنوا استخدام ما نص عليه

■ غـرس القيم الإسلاميـة والتدريب عليهـا لحماية الجيل من الذوبـان ■

الشخصية الإسلامية ومؤسسات التعليم الغربية

● الثقافة الأوروبية بصليبيتها وأحقادها تُقدم لأبناء المسلمين في المدارس الحكومية البريطانية ، فكيف السبيل إلى رفع المعاناة ؟

● القضية التي لا تزال تحول دون الفاعلية الإسلامية هي افتقاد القيادة الواحدة والتنظيم الدقيق .

القانون ، وأن يفرضوا على الحكومة البريطانية إنشاء مدارس خاصة بأبنائهم ، ودعمها بما تحتاج إليه من معلمين وأدوات ووسائل تعليمية وغيرها ... أما نحن فإلى الآن لم نستطع ، بالرغم من أننا ندفع الضرائب والرسوم كما يدفعها الآخرون ، أن نفرض ما فرضه الكاثوليك واليهود ، فيذهب ما يدفعونه بكل أسف إلى مدارس الآخرين ... وأعتقد أن الوقت قد حان لنطالب باسترداد ما ندفع في صورة مدارس خاصة بأبنائنا ... لأن هذا الأمر حق كفله القانون ، ولأن هذه المدارس تساعدنا على أن يكون لنا صوت مسموع في المجتمع البريطاني ، ودور أكثر فاعلية في الحياة السياسية ...

والأهم من هذا كله ، والذي يجب أن لا نختلف عليه ، هو أن هذه المدارس هي الوسيلة الأكثر إيجابية ، والأفضل أثراً لنتمكن من الحفاظ على الشخصية الإسلامية المستقلة لأبنائنا وأجيالنا ... خاصة وأن مناهج التربية والتعليم توضع وفقاً للفلسفة والأهداف التي يعتقدها المجتمع ، لذلك فأبناؤنا الذين يتلقون العلم في المدارس الحكومية البريطانية يعانون أشد المعاناة ، ومن واجبنا أن نعمل لرفع هذه المعاناة عنهم ...

افتقاد القيادة والتنظيم

■■ معنى هذا أن المسلمين في بريطانيا لم يقوموا بأية محاولة ، أو لم يبذلوا الجهد المناسب لإقناع سلطات التعليم البريطانية لتأسيس مدارس خاصة بهم ؟..

— مشكلة الجالية الإسلامية في بريطانيا أنها تفتقد التنظيم الدقيق والقيادة الواحدة ، فكل جماعة أو منظمة إسلامية لها منهجها وأسلوبها الذي قد يختلف عن غيرها ، كما أن لها اهتمامات قد لا تكون لغيرها الاهتمامات ذاتها ، وفي اعتقادي أن هذا هو السبب والعقبة التي حالت حتى الآن دون أن يفعل المسلمون ما فعله سواهم في مجال التعليم الذي نحن بصدده ، وأنه بشيء من التنسيق والالتقاء على المتفق عليه بين الجميع يمكن للمسلمين أن يحققوا الكثير ...

في السنوات الأخيرة تقدمت أكثر من جهة إسلامية في بريطانيا بطلبات للسماح لها بتأسيس مدارس خاصة بها ، مثل : « المسجد المحمدي » و « المركز الإسلامي في برنت Brent » و « المركز الإسلامي في لندن » و « جمعية الخدمات الاجتماعية الباكستانية » إلا أن هذه الطلبات رُفضت جميعها ...

وفي عام ١٩٨٢م تقدمت منظمة الحلقة الإسلامية « Islamic Circle Organijation » بطلب مماثل إلى السلطات التعليمية المحلية لمنطقة « برنت » ولم يكن مصيره بأفضل مما سبقه ... وفي أيلول « سبتمبر » ١٩٨٣م عاودنا الكرة ولكن بأسلوب جديد :

تظاهرة أيلول

ففي السادس والعشرين من أيلول [سبتمبر] ١٩٨٣م احتشد أكثر من خمسين من الآباء والأمهات والأطفال أمام قاعة المجلس المحلي لمنطقة « برنت » « Brent Toun Hall » رافعين شعارات ولافتات تطلب أن يكون للمسلمين مدرسة خاصة بهم بدعم حكومي رسمي في هذه المنطقة التي يرتفع عددهم فيها لأكثر من عشرة آلاف ...

وتقدمت منظمة الحلقة الإسلامية مدعومة من المنظمات الإسلامية الأخرى في بريطانيا بمذكرة حول الموضوع ذاته إلى اللجنة التعليمية للمجلس المحلي في « **برنت** » التي ناقشتها ووعدت بدراستها دراسة مستفيضة في القريب العاجل مع الجهات التي وقعت عليها ... وإن كنت لا أتوقع رداً إيجابياً إلا أننا منتظرون ...

المدرسة الابتدائية الإسلامية

لم يقف الأخ **يوسف** عند هذا الحد فقط (المطالبة بمدرسة للمسلمين تنفق عليها السلطات التعليمية البريطانية أسوة بالآخرين ، وانسجاماً مع الدستور) بل اتجه عملياً إلى إيجاد مدارس مستقلة لأطفال المسلمين : [**أن يتلقى أبناؤنا تعليماً إسلامياً ، ويتربون تربية إسلامية فتلك مسؤوليتنا نحن ، تقع على عاتقنا جميعاً ، ويجب أن لا ننتظر من أحد أن يقوم بذلك نيابة عنا ...**] .

ويحدثنا الأخ **يوسف** عن كيفية تحسسه بالمشكلة التعليمية لأطفال المسلمين فيقول :

... **أصبحت القضية التعليمية أهم تحد يؤرقني ، ويقض مضجعي ، يلاحقني ويواجهني بعد أن تزوجت وأصبحت بفضل الله أباً ، والدا لبنات ، في مجتمع يبيح قانونه للفتاة في سن السادسة عشرة أن تفعل ما تشاء وبالكيفية التي تريد دون أن يكون لوالديها الحق حتى في التوجيه والإرشاد ... وهي تُربى وتنشأ على ذلك منذ نعومة أظافرها ...**

كنا نفراً قليلاً نلتقي بصورة منتظمة في المنازل ، نتناقش في أحوال المسلمين في بريطانيا ،

● التعليم والتربية الإسلامية مسؤوليتنا نحن ، ويجب أن لا ننتظر من أحد أن يقوم بذلك نيابة عنّا . [يوسف إسلام]

● من أولى اهتمامات المدرسة الإسلامية الابتدائية في لندن تعليم العربية لأنها السبيل الصحيح لفهم كتاب الله عز وجل .

وفي أحد اللقاءات طرحت الفكرة : لماذا لا ننشىء دار حضانة لأطفالنا ؟ حيث يمكننا من خلالها احتضان أطفالنا وتربيتهم تربية إسلامية دون أن يكون للعوامل الخارجية أثر عليهم ، خاصة وأنهم لا يزالون صفحة بيضاء نقية على الفطرة التي فطرهم الله عز وجل عليها ... وكانت الموافقة الجماعية على هذه الفكرة ... وبدأ التنفيذ ، ولكن هذا الطفل يكبر وينمو ، فهل ندعه بعد ذلك يذهب إلى المدارس الحكومية القائمة لتلقي العلم والمعرفة وفق مناهج غير إسلامية ؟ إننا إن فعلنا ذلك هدمنا كل ما بنيناه في مرحلة الحضانة ... إنه ضرب من الجنون أو الجنون بعينه ، اعترفنا بذلك أم لم نعترف ...

من هنا أصبح اهتمامنا منصباً على إنشاء مدرسة ابتدائية أيضاً تكون دار الحضانة جزءاً منها ، على أن يتبع ذلك مدرسة ثانوية إن شاء الله : وبعد استخارة الله عز وجل وبحث متواصل وقع اختيارنا على هذا المبنى الذي يقع في منطقة « برنت » فاشتريته وجعلته وقفاً أتولى بمساعدة أحد الإخوة مهمة الإشراف عليه لتحويله إلى بناء تتحقق فيه الشروط المطلوبة ليكون مدرسة ، وفتحنا بعد ذلك باب التبرع أمام كل مسلم يريد المساهمة في إنقاذ وحماية أبنائنا من الذوبان في تيار المجتمع الغربي المادي ...

التجربة والعبرة

ويتابع الأخ **يوسف** قائلاً :

... لقد استفدنا ونحن نسعى لإنشاء هذه المدرسة مما نحسبه خطأ في تجربة المركز الإسلامي في لندن في هذا السبيل ، فقد أعلن عام ١٩٧٩م اعتزامه تأسيس مدرسة إسلامية في لندن ، وفتح باب التبرع لتحقيق هذه الغاية ، وتبرعت بمبلغ أربعين ألف جنيه استرليني ، وإلى الآن لم تر هذه المدرسة النور ، وأحسب أن سبب ذلك ما وقعوا به من تخطيط لمشروع ضخم ومدرسة كبرى من الصعب تأمين كل احتياجاتها بفترة زمنية قريبة ، لذلك أردنا التدرج بمشروعنا إضافة إلى البساطة والتواضع حتى خرج إلى حيز الوجود والواقع خلال فترة زمنية وجيزة والحمد لله ...

ولما عقدنا العزم على البدء بتنفيذ مشروعنا « المدرسة الابتدائية » وأصبحنا بحاجة إلى المال طلبت من المركز الإسلامي أن يرد لي ما سبق أن تبرعت به ما دامت الغاية واحدة ، فكان الاعتذار بعدم إمكانية الاستجابة إلا أن القائمين على الأمر ، جزاهم الله خيراً ، وعدوا بمنحنا توصية أو تزكية لأية جهة إسلامية نقصدها لطلب تبرعها لصالح مشروعنا ، ولم أتأثر لقناعتي بأن المركز سيفتتح مدرسة يوماً ما خاصة وأن العاملين فيه سيجدون أنفسهم مضطرين لذلك من أجل حماية أبناء المسلمين في بريطانيا وتقوية شعور الانتماء والأصالة والتميز في نفوسهم ..

نريد مدارس ..

■■ رغم التدرج والبساطة في المشروع ، يبقى تأسيس مدرسة إسلامية بحاجة إلى دعم مادي وفني كبير ، فهل تعتقد أن المسلمين في بريطانيا سيتجاوبون مع دعوتكم إياهم للتبرع ؟!

— في اعتقادي أن تبرعات المسلمين داخل بريطانيا ستكون سخية وذلك لإحساسهم بالحاجة وإدراكهم لأهمية المشروع وأثره ... أما خارجها فهذا يعود إلى مدى رغبة المسلمين القادرين على عمل الخير والصدقة الجارية ، وأنا أعتقد أن حماسهم لهذا المشروع وأمثاله يجب أن لا يقل بأية حالة عن حماسهم لبناء المساجد لأداء العبادات ... وأنا أقول لإخواني خارج بريطانيا : **إننا بحاجة ماسة إلى مدارس تحفظ عقيدة أبنائنا وتحمي أخلاقهم وتصون سلوكهم ، ففي لندن مثلاً حوالي عشرين مسجداً في حين لا يوجد فيها مدرسة إسلامية واحدة ،** مع إمكانية تحويل أي منزل إلى مسجد ، إلا أنني لا أستطيع أن أنشىء في المنزل مدرسة ... ما نريده : مدارس فيها مساجد ، أو مساجد فيها مدارس ...

مدخل للفهم

●● وحول أهمية المدرسة والدور الكبير الذي تؤديه في حياة المسلم قال الأخ يوسف :

... جاء الإسلام ليخرج البشرية من الظلمات إلى النور ، وهذا لا يتحقق إلا بالعلم والتعليم ، كما أن المدخل الوحيد لفهم ما جاء به النبي ﷺ هو التعليم ، لذا فليس من العبث أن يكون أول ما نزل به الوحي من كتاب الله عز وجل على رسوله ﷺ قوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ ﴾ وهو ما ينبغي أن نضعه نصب أعيننا ، وأن نعمل ما في وسعنا لإنشاء أكبر عدد ممكن من المدارس الإسلامية القادرة على غرس القيم الإيمانية والخلقية في نفوس ناشئتنا وأجيالنا ، وعلى إعداد المسلم الذي يعرف كيف يتعامل مع هذا المجتمع المادي المنحل ومواجهته بالحكمة والموعظة الحسنة دون أن يذوب فيه أو يتأثر بما يسوده من

الشخصية الإســلامية ومؤسسات التعليم الغربية

قيم ويحدث فيه من ممارسات ...

■■ **ما دامت المدرسة إسلامية ، فهي بالضرورة لن تعتمد على مناهج التعليم البريطاني ، بل إنها وجدت لتجنب الآثار الضارة التي تلحقها هذه المناهج بالناشئة المسلمة ، فماذا عن منهجها ؟**

– أهم مشكلة واجهتنا : المنهج ... قمنا بزيارات داخل بريطانيا إلى بعض المدن التي يوجد فيها مدارس إسلامية شبه منتظمة علّنا نجد فيها ما يمكن اعتماده بعد تعديله وتطويره ، إلا أننا لم نجد خطة دراسية منهجية ، فسافرنا إلى كندا والولايات المتحدة حيث وجدنا من خلال جولتنا هذه أن افضل أنموذج لمدرسة إسلامية مدرسة « **قرطبة** » الموجودة في « **لوس انجلوس** » إلا أننا أحسسنا أن التخطيط العلمي ينقصها خاصة فيما يتعلق بكيفية التوفيق بين نظام التعليم الإسلامي والنظم الغربية المعاصرة ...

ثم بعثنا برسائل إلى المؤسسات التعليمية في البلدان الإسلامية نطلب تصوراتهم ومشورتهم إلى جانب إمدادنا بالكتب التي يمكن أن تفيدنا وتعيننا على وضع منهج إسلامي سليم لهذه المدرسة الناشئة ... ووصلنا الكثير الذي أصبح يشكل لدينا نواة لمكتبة يمكن الرجوع إليها ، وتمكنا بعد ذلك من وضع منهج تمهيدي بمعاونة بعض الإخوة المتخصصين ... ويقوم هذا المنهج على اعتبار القرآن الكريم والسنة النبوية أساس العملية التعليمية والتربوية ومحورها ... فلا بد للطفل المسلم من أن يُحفَّظ ـ على الأقل ـ إحدى عشر سورة وحديثاً نبوياً من السور والأحاديث القصيرة ... ومن خلال تجربتنا في الفصل الدراسي الأول الذي اخترنا له سبعة عشر طفلاً من بين أكثر من مائة وأربعين ـ لقلة الإمكانات ـ لمسنا أن من أيسر الأمور على هؤلاء الأطفال : حفظ القرآن الكريم ...

ويؤكد المنهج على ضرورة الاهتمام باللغة العربية لأنها السبيل الصحيح لفهم كتاب الله عز وجل ، وبعدها تأتي اللغة الانكليزية بوصفها لغة التعامل والتفاهم مع المجتمع الذي نعيش فيه ... ومن خلال هذا كله يُعطى الطفل دروساً في العبادات (**الوضوء ـ الأذان ـ الإقامة ـ الصلاة ...**) والأخلاق ، ومختارات من سيرة النبي ﷺ ومن سير الصحابة رضوان الله عليهم ... وهذه يمكن تدريسها باللغتين العربية والانكليزية على حد سواء ...

وإلى جانب هذا فقد اشتمل المنهج على دروس في العلوم والرياضيات والتربية البدنية واليدوية وغير ذلك من مواد نشعر بأهميتها وضرورتها لأطفالنا ... ومن خلال ذلك نعمل على تنمية روح الإبداع لدى الطفل خاصة من خلال الأعمال اليدوية التي يدرب عليها ويمارسها ... ونأمل أن نتمكن من أن نسير في ذلك كله على نهج رسول الله ﷺ في تربية الجيل الأول « **القدوة** » كما نأمل أن تكون هذه المدرسة أنموذجاً يحتذى للمدرسة الإسلامية العصرية القادرة على الاستفادة من أحدث ما أنتجته التقنية الغربية من وسائل مع تجنب ما وقعت فيه أنظمة التعليم الغربية التي فصلت القيم التربوية السليمة عن البرامج العلمية ، وأغفلت الجانب القيمي في العملية التعليمية ... كما نأمل أن تتمكن هذه المدرسة من صياغة نماذج من المسلمين قادرة على تبليغ دعوة الله عز وجل ونشرها في أوروبا وسواها ...

وتابع الأخ يوسـف قائلاً :

... إننا في المدرسة نعاني من عدم توفر الكادر التعليمي المؤهل للقيام بأعمال التدريس ، وهي مشكلة نحاول تداركها بالتعاون مع المسلمين في بريطانيا إلا أننا إذا لم نتمكن من حلّها إلا بالاستعانة ببعض التربويين من غير المسلمين لتدريس بعض المواد ، فلن نتوانى في القيام بذلك ، خاصة واننا نعلم من سيرة الرسول ﷺ كيف أنه اشترط على أسرى بدر من المشركين أن يعلم كل واحد منهم عشرة من صبيان المسلمين لإطلاق سراحهم : وسوف يتم هذا التدريس ضمن حدود المنهج الموضوع وبرقابة دائمة منا ، ويمكن الاستشهاد بتجربة من هذا القبيل هنا في بريطانيا وفي مدينة « **غلاسكو** » تحديداً مدرسة إسلامية للبنات تديرها امرأة غير مسلمة وفقاً للخطة التي وضعها مجلس المدرسة ...

> ● **هل تستطيع المدرسة الإسلامية المعاصرة تجنب ما وقعت فيه أنظمة التعليم الغربية من الفصل بين القيم التربوية السليمة والبرامج العلمية ؟**

دور البيـــت

ويرى الأخ يوسف أن المنهج مهما كان متكاملاً لا يمكن أن يؤتي ثماره إلا إذا قام البيت المسلم بدوره [... ليس من اليسير أن يحقق المنهج الغرض منه في إعداد نشء مسلم ما لم يتعاون معنا الآباء والأمهات ـ الأسرة المسلمة ـ لأن الطفل معنا حوالي ست ساعات وهو في البيت لمدة ثماني عشرة ساعة تقريباً ، وما يتلقاه عن أمه أكثر بكثير مما يتلقاه عن والده الذي يقضي معظم وقته إما في اكتساب الرزق أو متابعة تحصيله العلمي إن كان موفداً ، **من هنا كان من الضروري أن يحسن الشاب اختيار الفتاة التي ستكون شريكة حياته ، وأن تكون**

> ● **إذا كان لليهود الذين يقل عددهم عن نصف مليون نسمة مدارسهم الخاصة ، وللنصارى الكاثوليك مدارسهم الخاصة ، فلماذا لا تكون للمسلمين مدارسهم الخاصة وعددهم يربو على المليونين ؟**

حوار مع المسلم البريطاني يوسف اسلام

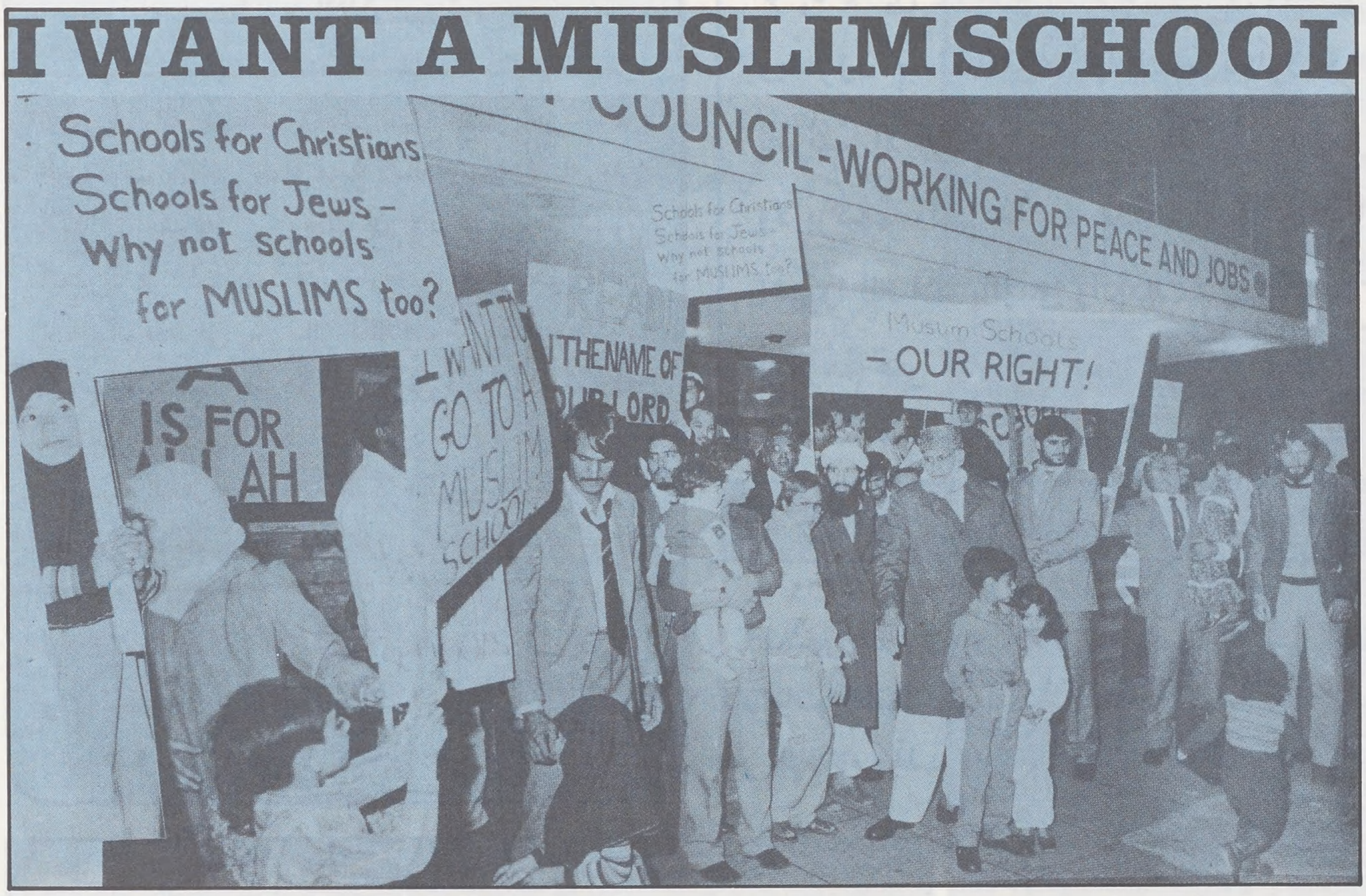

■ أيلول (سبتمبر ١٩٨٣م) : لم لا يكـــون للمسلمين مدارسهم ؟ ■

مسلمة متدينة لما لها من أثر كبير على الأطفال ، وأن يبتعد ما أمكنه ذلك عن غير المسلمات ... كما أننا نحرص على العناية بتثقيف أمهات وآباء الأطفال ، ونحن ننظم لهم دروساً نأمل أن يكون مردودها خيراً وبركة على الأطفال وبالتالي على المدرسة .

■■ من المعروف أنك صاحب موهبة موسيقية ، ولك شهرة عالمية في ذلك قبل أن تعلن الإسلام ، فهل حاولت أن تضع هذه الموهبة في خدمة منهج المدرسة الإسلامية ؟

— منذ فترة طويلة وأنا أفكر في الأمر ، خاصة وأن الأطفال يحبون الأناشيد خاصة تلك التي تؤدى بصورة جماعية ، وهذا ما نلاحظه في نظام تعليم الأطفال في بريطانيا الذي يعتمد اعتماداً أساسياً على الأغاني والأناشيد ... من هنا فكرت أن نستخدم نحن كذلك هذه الطريقة بطريقة تعود بالفائدة على أطفالنا بحيث نغرس فيهم ما نعتقده ونؤمن به من مبادىء وقيم إسلامية .

وقد بدأت تأليف بعض المقطوعات والأناشيد الإسلامية ، علمتها لبناتي أولاً ، كما نظمت أحرف الهجاء العربية بحيث يعبر كل حرف منها عن دلالة معينة [**الألف ... الله ـ البـاء : بسم الله ـ التـاء ... تقوى ـ الثاء ... ثواب ـ اليـاء ... يوم الدين ... وهكذا**] .

■■ بعد هذا الجهد المبارك إن شاء الله في تأسيس المدرسة الابتدائية الإسلامية ، والمنهج الذي وضع لها ، هل ندع أبناءنا الذين ينهون دراستهم فيها يتجهون إلى مدارس غير إسلامية في المرحلة التي تليها ، أم أن من الواجب : دراسة هذا الأمر والتخطيط له منذ الآن ؟

— لم نغفل هذا الأمر ، لأن إغفاله معناه في الأعم الأغلب هدم ما بنيناه في المرحلة الابتدائية ، لذلك أعددنا مشروعاً لتأسيس مدرسة ثانوية ، ونحن الآن نبحث عن مبنى مناسب لها ، لأن مبنى المدرسة الابتدائية الحالي ليس بالسعة التي تمكننا من إلحاق المدرسة الثانوية به : وهناك الآن مدرسة في منطقة قريبة من « **برنت** » معروضة للبيع ، نسأل الله عز وجل أن يوفقنا لشرائها حتى تكون مقراً للمدرسة الإسلامية الثانوية المرتقبة ..

وبعـــد : فهل يكفي جهد فرد أو عدة أفراد ، أو جهد مؤسسة تعليمية واحدة لتحقيق الحصانة الثقافية ، والانتماء الحضاري ، والمحافظة على الذاتية والأصالة الإسلامية لأكثر من مائة ألف طالب مسلم يتلقون العلم حالياً في المؤسسات والمدارس البريطانية ، أم أن الأمر أكبر من ذلك بكثير ، يدعونا إلى النظر والتدبر ، وضم الجهود والتكاتف ، والبذل والتضحية ...

إنه جهد مبارك ، إن شاء الله ، يمكن أن يكون أنموذجاً يحتذى ، وحافزاً للمنظمات والجمعيات الإسلامية لتتوحد وتعمل معاً من أجل اتخاذ خطوات عملية في هذا السبيل لحل المشكلة التي يعاني منها أبناؤهم في مجتمع الاغتراب ... كما أنه باب خير وصدقة جارية فتحه الله عز وجل للقادرين الذين أنعم عليهم بنعم كثيرة ليشكروه عليها بوضعها حيث أمر في الموضع الصحيح الذي يعود بالخير والفائدة عليهم وعلى مجتمعهم الإسلامي ، والله الموفق للصواب .

معنى « الأفئدة »

اعلم أن الله سبحانه وتعالى ميز البشر عن سائر الحيوانات بالفكر جعله مبدأ كماله ونهاية فضله على الكائنات وشرفه . . . وذلك أن الإدراك ، وهو شعور المدرك في ذاته بما هو خارج عن ذاته هو خاص بالحيوان فقط من بين سائر الكائنات من الموجودات ، فالحيوانات تشعر بما هو خارج عن ذاتها بما ركب الله فيها من الحواس الظاهرة . . . ويزيد الإنسان من بينها أنه يدرك الخارج عن ذاته بالفكر الذي وراء حسه . . . والفكر هو التصرف بالصور التي وراء الحس ، وجولان الذهن فيها بالانتزاع والتركيب ، وهو معنى « الأفئدة » في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾ .

(ابن خلدون ـ المقدمة)

من نــور كتــاب الله

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَـٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . أُولَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا ٱلضَّلَالَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ (البقرة : ١٧٤ ـ ١٧٥)

الشــرط والجــزاء ...

المشهور أن الشرط والجزاء لا يتعلقان إلا بالمستقبل ، فإن كان ماضي اللفظ كان مستقبل المعنى ، كقولك : « إن مت على الإسلام دخلت الجنة » ثم للنحاة فيه تقديران .

أحدهمـا : أن الفعل ذو تغير في اللفظ ، وكـان الأصل : « إن تمت مسلماً تـدخـل الجنة » فغير لفظ المضارع إلى الماضي تنزيلاً له منزلة المحقق .

والثـاني : أنه ذو تغير في المعنى ، وأن حرف الشرط لما دخل عليه قُلب معناه إلى الاستقبال وبقي لفظه على حاله .

والتقدير الأول أفقه في العربية لموافقته تصرف العرب في إقامتها الماضي مقام المستقبل ، وتنزيلها المنتظر منزلة الواقع المتيقن نحو ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ ٱللَّـهِ ﴾ ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾ ونظائره . . .

[ابن القيم ـ بدائع الفوائد]

مَـنِ العاقــل ؟

اختلف الناس فيمن صرف فضل عقله إلى الشر ، هل يسمى عاقلاً أم لا ؟

فقال بعضهم : أسميه عاقلاً لوجود العقل فيه .

وقال آخرون : لا أسميه عاقلاً حتى يكون خيِّراً دَيِّناً ، لأن الخير والدين من موجبات العقل (أي : ما يوجبه العقل) فأما الشرير فلا أسميه عاقلاً وإنما أسميه صاحب رَوِيَّةٍ وفكر .

وقد قيل : العاقلُ من عَقَلَ عن الله أمره ونهيه .

وروى لقمان بن أبي عامر عن أبي الدرداء (عويمر بن زيد الأنصاري) أن رسول الله ﷺ قال : يا عويمر ازدد عقلاً تزدد من ربك قرباً .

قلت : بأبي أنت وأمي ، ومن لي بالعقل ؟ (من يتكفل ويضمن لي ؟) .

قـال : اجتنب محارم الله ، وأدِّ فرائض الله تكن عاقلاً ، ثم تنفَّل بصالحات الأعمال تزدد في الدنيا عقلاً ، وتزدد من ربك قرباً وبه عزاً . [أدب الدنيا والدين]

فلينتظــروا البــلاء ..

من حديث عبد الله بن المبارك يرفعه ، قال :

إذا ساد القبيلَ فاسقُهم ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأُكْرِمَ الرَّجلُ اتقاء شره ، فلينتظروا البلاء . . .

من جوامع كلمه ﷺ

- لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً .
- ليبدأ أحدكم بمن يعول .
- من دلّ على خير كان له مثل أجر فاعله .
- فِرّ من المجذوم فِرَارك من الأسد .
- السفر قطعة من العذاب .

خير الزّاد التقوىٰ

دخل علي بن أبي طالب رضي الله عنه المقابر ، فقال :
. . . أما المنازل فقد سكنت ، وأما الأموال فقد قسمت ، وأما الأزواج فقد نكحت . . . هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ؟!
ثم قال :
والذي نفسي بيده لو أذن لهم في الكلام لأخبروا أن خير الزاد التقوىٰ . [البيان والتبيين]

الأمين من يخشى الله

عن وديعة الأنصاري ، قال : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ، وهو يعظ رجلًا : لا تكلَّم فيما لا يعنيك ، واعرف عدوك ، واحذر صديقك إلا الأمين ، ولا أمين إلَّا من يخشى الله ، ولا تمش مع الفاجر فيعلِّمك فجوره ، ولا تطلعه على سرك ، ولا تشاور في أمرك إلا الذين يخشون الله عز وجل . . .
[صفة الصفوة]

وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ في لَحْـنِ القَـوْلِ ...

قال أبو بكر بن الأنباري رحمه الله : أي : في معنى القول ، وفي مذهب القول ، وأنشدَ للقتّال الكلابي :

ولقـد لَحَنْتُ لَكُم لكيمـا تَفْهَمـوا ... وَوَحَيْتُ وحيـاً ليس بـالمـرتـاب

معناه : ولقد بينت لكم . واللحَنُ (بفتح الحاء) : الفطنة ؛ وربما أسكنوا الحاء في الفطنة ، ورجلٌ لَحِنٌ ، أي فَطِنٌ ، قال لبيد يصف كاتباً :

متـعـوِّدٌ لَحِـنٌ يُـعِـيـد بِكَفِّـه ... قَلَمـاً عـلى عُسُـبٍ ذَبَلْـنَ وَبَـانِ

ومن اللَّحَن : الحديث الذي يروىٰ عن النبي ﷺ أن رجلين اختصما إليه في مواريث وأشياء قد دَرَسَتْ ، فقال ﷺ : « لعل أحدكم أن يكون ألْحَنَ بحجته من الآخر ، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار » فقال كل واحد من الرجلين : يا رسول الله حقي لصاحبي . فقال : « لا ، ولكن اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه » .

ومنه قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله : عجبت لمن لاحَنَ الناس كيف لا يعرف جوامع الكلم ، أي : فاطنهم .

وحدَّثني أبو بكر عن أبي العباس عن ابن الأعرابي قال : يُقَال قد لَحَنَ الرَّجُلُ يَلْحَنُ لَحْناً فهو لاحِنٌ إذا أخطأ ، ولَحِنَ يَلْحَنُ لَحَناً فهو لَحِنٌ إذا أصابَ وَفَطِنَ ، وأنشد :

منطِـقٌ صَـائِـبٌ وتَلْحَـنُ احيـا ... نـاً وخَيْرُ الحـديثِ مـا كـان لَحْناً

معنـاه : وتصيب أحياناً .

وحدَّثني أيضاً . . . عن عيسى بن عمر قال : قال معاوية للناس : كيف ابن زياد فيكم ؟ قالوا : ظريف على أنه يَلْحَنُ . قال : فذاك أظرف له ؛ ذهب معاوية إلى اللحَنِ الذي هو الفطنة ، وذهبوا هم إلى اللحْنِ الذي هو الخطأ .

واللحْنُ أيضاً : اللغة ، ذكره الأصمعي وأبو زيد ، ومنه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « تعلموا الفرائض والسنن واللحْن كما تعلَّمون القرآن » فاللحْن : اللغة .

وروىٰ شريك عن أبي إسحاق عن ميسرة أنه قال في قوله عز وجل : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾ العَرِمِ : المَسَنَّاة بلَحْنِ اليمن ، أي : بلغة اليمن . وقال الشاعر :

صَدُوحُ الضُّحىٰ معروفةُ اللحْنِ لم تَزَل ... تَقُودُ الهَوىٰ من مُسْعِدٍ ويقودُها

وصرَّف أبو زيد منه فعلاً ، فقال : لَحَنَ الرجُلُ يَلْحَنُ لَحْناً إذا تكلم بلغته . قال : ويقال لَحَنْتُ له لَحْناً إذا قلت له قولاً يفهمه عنك ويخفى على غيره . [أمالي القالي]

قصة

مثل :

أَطِـرِّي فَإنَّـكِ نَاعِلَـةٌ

أي : اركب الأمر الشديد فإنك قوي عليه . وأصل هذا أن رجلًا قال لراعية له ، وكانت ترعىٰ في السهولة ، وتترك الحُزُونَة : أَطِرِّي ، أي : خُذي طُرَرَ الوادي ، وهي نواحيه . فَإنَّكِ ناعلة ، أي : فإن عليك نعلين . قال أبو عبيد : أحسبه يعني بالنعلين : غِلَظَ جلد قدميها .

[الأمثال لابن سلام ، تحقيق قطامش]

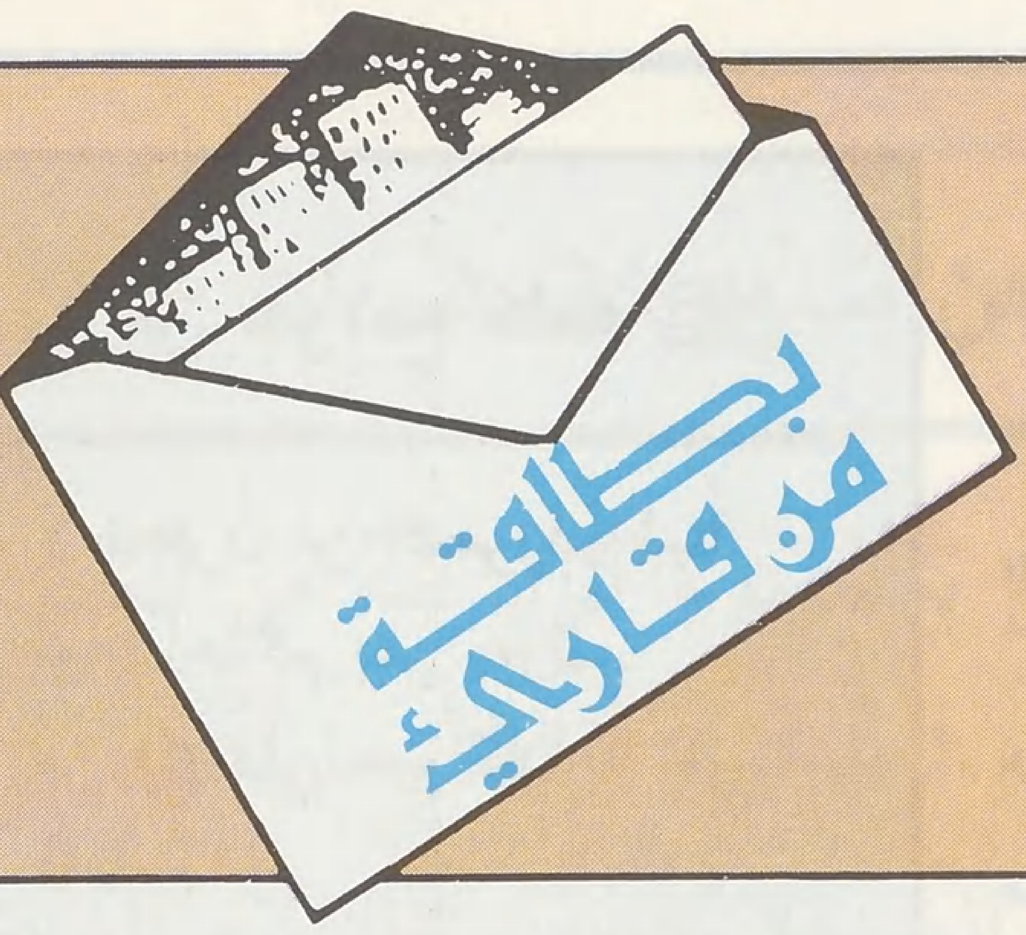

□ هذه البطاقات عبارة عن أفكار وتصريحات وأقوال ذات مساحات محددة يلتقطها بعض الإخوة من القراء بما يتمتعون به من حواس ذكيَّة . ومن ثَمَّ يقدمونها من خلال هذه الصفحة ..

وهي محتجزة لتقديم كل نافع ومفيد من هذه العصارات المكثفة ، التي يُشار فيها إلى مكمن خطر .. أو يُكشف فيها قناع عن وجه عدو للأمة ومقوِّماتها .. أو يبصِّر برؤية ويسدد طريقاً ويقوِّم منهجاً . تحت عنوان خير الكلام ما قلَّ ودل □

المضمـــون ..

□□ بدراسة علمية في كتب التاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية التي تدرس لأطفالنا في مرحلة التعليم الابتدائي في مصر وسورية ولبنان والأردن ...

أظهرت نتائج تحليل المضمون الكمي أن الكتب الدراسية في مصر تؤكد فرعونية مصر بنسبة ٥٤٪ وتؤكد الانتماء المصري بنسبة ٣٠٪ ويشكل الانتماء العربي ١٦٪ ، وأن الكتب المدرسية تؤكد فكرة الوطنية المصرية مستقلة عن القومية العربية وعن الفكرة الإسلامية ..

وأن أكثر الشخصيات التي تناولتها الكتب المدرسية بالعرض والتحليل هي :

محمد علي (١٩٪) من عدد الصفحات ، الرسول ﷺ (٧٪) ، نابليون (٧٪) ، عرابي (٥٪) ، الخديوي إسماعيل (٥٪) ، صلاح الدين الأيوبي (٤ر٥٪) ، مصطفى كامل (٤٪) ، أبو بكر الصديق (٢٪) ، عمر بن الخطاب (١ر٥٪) ..

أما باقي الشخصيات مثل عثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وطارق بن زياد ، وجوهر الصقلي ... فقد جاءت نسبة وجودها في صفحات المناهج ٥ر٠٪ □□

(الجمهـورية القاهـرية)

من دراسة للدكتورة نادية سالم

القارىء : طارق إبراهيم ـ مصر

الحـــروب الصليبيـــة

□□ كانت الحروب الصليبية هي المفجِّر لأول شرخ في العلاقات الطائفية في الساحل السوري .. فقد استطاع الصليبيون إقناع الموارنة ـ وحدهم ـ أنهم لا ينتمون لهذا المحيط العربي ، وأنهم القبيلة الضائعة من كنيسة روما الكاثوليكية .. وتحت هذا الزعم الزائف ، انفرد « الموارنة » وحدهم دون سائر النصارى العرب ، بمعاونة جيوش الغزو الصليبي .. والحقيقة هي أن المارون هم إحدى الكنائس الشرقية التي انفصلت عن كنيسة روما في القرنين الرابع والخامس على يد « سانت مارون » الراهب « السوري » الذي مات عام ٤١٠م ولم تطأ قدمه لبنان □□

(مجلـة أكتوبـر) ـ القارىء : سعيد عبد الظاهر ـ الاسكندرية

المولود العاشر

□□ من الحوافز التي تقدمها الحكومة السوفيتية ـ في الآونة الأخيرة ـ للتشجيع على الإنجاب ، منح الأمهات إجازة وضع لمدة سنة مدفوعة الأجر ، (٢٢ جنيهاً في الشهر) ، وتمنح الدولة ما تسميه : لقب « الأمهات البطلات » للأمهات اللاتي ينجبن أكبر عدد من الأطفال ، وجوائز تصل إلى (١٦٦) جنيهاً للطفل بعد المولود العاشر .. □□

(ديلي تلجـراف)

القارىء : مكوار سعيد ـ المغرب

الحادثتـــــــان !!

□□ وقعت الحادثتان عام ١٩٠٦م .

وتتلخص الأولى في أن تركيا حاولت نزع منطقة « طابا » من الحدود الشرقية لمصر ، فعارضتها بريطانيا ، لكن الشعب المصري وقف بقلبه مع تركيا .. مما أثار المعتمد البريطاني كرومر وهزّه من الأعماق لأنه أنفق (٢٥) عاماً وهو يحارب التيار الإسلامي بأساليب مدروسة ، تتخذ من « صداقة » الفلاح من ناحية ، ونشر « الأمن » و « العدالة » من ناحية أخرى حجة لجذب الناس إليه بعيداً عن دولة الخلافة : تركيا ..

ولم يكن عجباً أنه بعد ستة أسابيع من حادثة « طابا » هذه ، أن يعقد محكمة استفزازية ليس فيها أي شيء من « العدالة » ليعاقب أناساً بسطاء من الفلاحين في حادثة تقع كل يوم في كل قرية أثناء صيد الحمام ، فقد كشفت أحكام « دنشواي » أن كل ما زعمته بريطانيا من إصلاح ومن عدالة لم تكن تقصد من ورائه سوى جذب الناس بعيداً عن الاتجاه الإسلامي □□

(المختار الإســلامي) القارىء : محمد محمد شلبي ـ القاهرة

الآفـــة الحضـــــارية !!

□□ إن آفة الازدهار الاقتصادي والنمو الحضاري في المجتمعات ، هي ما يعقبه عادة من ترف وبذخ وانغماس في الشهوات وركون إلى الملذات ، وهي آفة معروفة تنبَّه إليها وتحدث عنها علماء الاجتماع والاقتصاد قديماً وحديثاً ، مع العلم بأن الازدهار الاقتصادي ـ بحد ذاته ـ ركن أساسي في بنيان الحضارة الإنسانية المثلى .. ولن تجد أي ملجأ يقي المجتمع الإنساني من هذه الآفة الحضارية إلا في الأساس القرآني .. الذي جعل رجل الحضارة الإسلامية ، في عصر الخلافة الراشدة وما بعدها ، يزدري كنوز كسرى ، ويستهين بسرادق رستم ، ويسحق بريق الذهب والمجوهرات تحت قدميه ، عندما تحاول كل هذه المظاهر أن تصطاد لبَّه وتكسر عقله .. ولكنه يعود ـ هو نفسه ـ فيعتصرها حتى النهاية في سبيل إنشاء الحضارة وإقامة المجتمع الإنساني السليم .. □□

« مجلـة النـور » ـ عن بيت التمويل الكويتي

القارئة : سـارة عبد الله خالد ـ الكويت

بريد الأمة

●● كان للحوار الذي أجرته « الأمـة » مع الشيخ محمد الغزالي حول « فقه الدعوة الإسلامية ومشكلة الدعاة » وقدمته للإخوة القراء في كتيب هدية شهر رمضان المبارك ، الوقع الحسن في نفوس الكثير من المهتمين بقضايا الدعوة الإسلامية ووسائلها ..

ونحن إذ نشكر الإخوة الذين كتبوا يقترحون إخراجه في كتيب هدية شهر رمضان ، ويؤكدون على أنه يعتبر حصيلة تجارب عشرات من السنين أفناها الشيخ الغزالي في خدمة الدعوة الإسلامية وأنَّه جاء موفقاً في طرح ما يمكن أن يفيد كثيراً في تسديد مسيرة العمل الإسلامي والقضايا التي يعاني منها العاملون للإسلام ، نحب أن نؤكد على أهمية المقترحات ودورها في تصويب الطريق .. ونأمل أن نوفق لإجراء حوارات مماثلة مع شيوخ الدعوة الإسلامية .. والله الموفق .. ●●

رســـالـــة ..

■■ لو أن بعض ما أثير ونشر حول صفقات المواد الغذائية الفاسدة التي لم تعد صالحة للاستعمال الآدمي ، وجد آذاناً صاغية ومواقف رادعة ، لما تجرأت الشركات الأوروبية والأمريكية في الاستمرار على إغراق أسواق المسلمين بالمزيد من كل ما هو تالف ..

وصلتنا رسالة من أحد الإخوة في ألمانيا الغربية حول الأسلوب الذي تستخدمه الشركات الغربية في غش المستهلك المسلم وترويج سلعها الفاسدة .. ونحن إذ ننشر الرسالة ، كما جاءتنا ، نحب أن نؤكد أن ما فعلته هذه الشركة تفعله كثيرات مثلها .. وفي أكثر من بلد .. ونأمل أن تتخذ من الإجراءات الوقائية ما يكون كافياً للحيلولة دون مزيد من التلاعب ..

تقـــول الرســـالــة :

[... بينما بدأ الطلاب يهمون بالانصراف من أمام مكتب تشغيل الطلاب ، إذ بمكبرات الصوت تعلن عن حاجة إحدى الشركات لخمس طالبات وخمسة طلاب .. تقدمت وسجلت اسمي .. ودعوت الله أن لا تكون الشركة شركة للمواد الغذائية ، حيث إني ومنذ أن اعتدت العمل في العطلات المدرسية ، أتجنب العمل في مثل هذه الشركات خوفاً من التعامل مع مأكولات أو مشروبات محرمة ..

كانت الشركة وللأسف شركة للمواد الغذائية .. وحددت مهمتنا بأن نستخدم سائل « الأسيتون » لنزيل تاريخ انتهاء صلاحية الاستخدام الموجود على أكياس الدجاج المثلج ، القادم من البرازيل والمخزون في ميناء هامبورج .. ويشير التاريخ إلى آذار (مارس) ١٩٨٢م .. ثم نقوم بعد ذلك بلصق لاصقة تحمل تاريخاً جديداً لانتهاء صلاحية الدجاج وهو آذار (مارس) ١٩٨٦م .. فعرفنا أن هذا الدجاج لم يعد صالحاً للاستعمال الآدمي منذ سنتين تقريباً ، هذا إن لم يكن التاريخ عُدِّل في مرات سابقة .. وتألمت كثيراً حينما عرفت ، من قراءتي لما هو مكتوب بالعربية على صندوق التعبئة ، أن الدجاج مرسل إلى بلد عربي !.

من الذين وقع عليهم الاختيار للقيام بهذا العمل شاب عربي ، أحسست من نبرات صوته بأن الألم يعتصر نفسه كما اعتصرني ، فبدأنا نفكر في سبيل نمكن بها المسؤولين والمستهلكين في ذلك البلد العربي من اكتشاف حقيقة الأمر .. فهدانا تفكيرنا إلى أن نزيل فقط التاريخ المكتوب باللغة الانجليزية ونترك ما كتب بالعربية .. وفعلنا .. إلا أن الأمر ما لبث أن اكتشف .. وجرت عملية مراجعة لكل الصناديق التي تمت تعبئتها ..

لم تستطع فناجين القهوة والشاي وأطايب الأطعمة والأجور الكبيرة التي أغدقها علينا أصحاب الصفقة الفاسدة أن تزيل عن مخيلتي صور أهلي وإخوتي في ذلك البلد العربي وهم يصابون بالتسمم والأمراض المهلكة إثر تناولهم لهذا الدجاج ..

حاولت الاتصال بوزارة الصحة الألمانية ، غير أن يوم العمل كان قد انتهى .. لم أيأس .. فسارعت إلى الاتصال بشرطة الميناء ، فما كان منها إلا أن منعت التصدير على اعتبار أنَّ في ذلك مخالفة للقانون الألماني ..

المحزن أيضاً أنه كتب على أكياس هذا الدجاج عبارة : « ذبح على الطريقة الإسلامية » ! .

هذا ملخص سريع لما حدث بتاريخ ١٠ مايو (أيار) ١٩٨٤م .. وإن كنت وأخي العربي ، قد استطعنا أن نحول دون وصول هذا الدجاج الفاسد إلى متناول أيدي إخوتنا في ذلك البلد العربي ، إلَّا أننا على يقين بأن هناك صفقات عديدة لسلع فاسدة وجدت وتجد طريقها لمعظم البلاد العربية والإسلامية .. وما نرجوه أن يتنبه المسؤولون والمستهلكون لذلك مع ضرورة وجود ضوابط دقيقة وإجراءات صارمة لعمليات استيراد المواد الغذائية ..

والله الموفق . ■■

أخوكم طه عمرو - [هامبورج - ألمانيا الغربية]

« دار الشروق » تصدر : طبعة أخرى غير شرعية من كتب الأمـــة !

■■ لم تقتصر عمليات الطباعة غير الشرعية لما يصدر في إطار سلسلة « كتاب الأمة » على الكتاب الأول : « مشكلات في طريق الحياة الإسلامية » للشيخ محمد الغزالي وإنما طبع أيضاً - بصورة غير شرعية - الكتاب الثاني : « الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف » للدكتور يوسف القرضاوي ..

ومن بين الرسائل التي وردت إلينا حول هذا الموضوع رسالة الأخ مجدي محمد الشهاوي (مصر) التي يقول فيها :

[... ليس كتاب « مشكلات في طريق الحياة الإسلامية » الكتاب الوحيد الذي أعادت « دار الشـــروق » لصاحبها الناشر محمد المعلم ، طباعته دون إذن منكم كما أشرتم إلى ذلك في بريد الأمة - العدد ٤٣ - وإنما طبعت أيضاً كتاب « الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف » للدكتور القرضاوي .. وقد كانت عملية الاستغلال التجاري البشع واضحة جداً من السعر الذي بيع به الكتاب ، إذ بيع في جناح « دار الشروق » في معرض القاهرة الدولي بمبلغ (٢٦٠) قرشاً مصرياً ؟!] . ■■

واحة الإخاء

○ تجاوباً مع المقترح الخاص بتخصيص صفحات شهرية لقصة إسلام فتى أو فتاة (فقرة مقترحات ـ العدد ٤٤) ، أرسل الأخ عبد الجواد عبد الفتاح الحجاجي بخطوط عريضة لقصة إسلام سيدة ألمانية ..

[... جاءت السيدة « لورا كراوليدات » (٥٨ سنة) إلى مصر في زيارة تتعرف من خلالها عن كثب على الآثار المصرية .. وقد كان لسعة صدرها ودماثة خلقها أثر كبير في أن تقيم علاقات لها مع معظم سكان مدينة « **الأقصر** » جنوبي مصر .. فأحبت الناس وأحبوها .. وكانوا يقولون لها : إنك تتمتعين بأخلاق كأخلاق المسلمين .. وعندما قفلت عائدة إلى بلادها ، التقت بإمام جامع الروضة المركزي في هامبورج ، فتعرفت منه على كثير من حقائق الإسلام ثم شهدت أمامه بأن **لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله** ..

وتقول السيدة « **نـورا** » ـ وهذا اسمها بعد اعتناقها الإسلام ـ (جاء اعتناقي الإسلام نتيجة إحساس عميق في داخلي يميل نحو الإسلام ، دون أن يكون في استطاعتي أن أجد تفسيراً لـهـذا الإحساس أو أن أدرك كنهه) ..] .

○ وفي « واحة الإخاء » نلتقي دائماً رسائل إخوة يعانون ويقاسون من ملاحقات المؤسسات التنصيرية التي أخذ نشاطها وسط المسلمين يزداد ويتسع يوماً بعد آخر ..

فمن (تونس) يقول الأخ فتحي بن حامد :

[... بدءاً أحب أن أشير إلى اعتقادي بأن ما تبذلونه من جهد ، رغم قوته وعظمته وتأثيره وتقديرنا له ، إلا أنه يبدو ضعيفاً أمام الهجمة التنصيرية التي توشك أن تفترسنا .. فقد

عرفت الحياة

المقدسة بالمسيح

لقد ولدت من ابوين مسلمين في مدينة القرنة . ترعرعت ... حتى انتقلت في السنة الماضية الى البصرة

جاءتني رسالة تدعوني إلى اعتناق دين المنصِّرين والتخلي عن دين الإسلام ، بعد أن صيغت بأسلوب خبيث يسخر من الإسلام وأهله وعلى لسان شاب مسلم ـ من أبوين مسلمين ـ تم تنصيره بعد أن أكمل دراسته الجامعية ـ هكذا تقول الرسالة ..

أرجو أن تتوحد جهود المسلمين للوقوف في وجه هذا المد التنصيري والله المستعان] .

○ ومن (مصـــر) كتبت الأخـــت (س . أ . ب . ع) حـول مـلابسات « رسـالـة تنصيرية » جاءت لأحد الشباب المسلم ..

[... يعيش هذا الشاب ـ دبلوم صنايع ـ مع أمه وإخوته الصغار .. ولما كان والده يعمل بعيداً عنهم ، فقد وجد نفسه مضطراً إلى اقتطاع جزء من وقته الدراسي لتوفير بعض المال اللازم لمواجهة

أصـــداء

● تأتي « الأصداء » أحياناً متأخرة بعض الشيء ، ولكنها كثيراً ما تعبر عن أحاسيس صادقة .. فرسالة الأخت (ن . س . ع) ـ مصر ـ مثلاً ، كانت صدىً لما نشر في العدد [٣٧] وباب « الأسرة المسلمة » ، وتحت عنوان : « الطفل : ماذا لو امتدت يده إلى ما لا يملكه ؟ » تقول الأخت :

[... أسأل الله أن يجزيكم عنَّا خيراً .. فقد ترك لي زوجي ثلاثة أولاد ابتلي أصغرهم بداء السرقة .. وحِرتُ في أمره زمناً إلى أن سخر الله لي إحدى الأخوات فأهدتني العدد السابع والثلاثين من « **الأمة** » فقرأت ما جاء بباب الأسرة وبصفة خاصة مقال : « **الطفل : ماذا لو امتدت يده إلى ما لا يملكه ؟** » حيث عثرت فيه على بعض المعالجات لحالات مماثلة فكان خير مرشد ومعين .. وإني إذ أحمد الله على تحسن حالة ابني ، أسأله سبحانه أن يعينكم لإعانة المسلمين وتوجيههم] ..

● حول [لغة القرآن بين مكر الأعداء وحرص الأبناء .. مجمع اللغة العربية .. لماذا ؟] ـ العدد الثالث والأربعون ـ كتب أحد الإخوة ـ اكتفى بالإشارة إلى أنه « مسلم مصري » ـ يقول :

[... لقد وعدتنا « **الأمة** » منذ صدورها بالالتزام الصادق بنشر الحقائق وإرشاد الرأي العام المسلم ، إيماناً منها بأن الكلمة أمانة ومسؤولية خطيرة أمام الله عزَّ وجل .. ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ (ق : ١٨) .. وانطلاقاً من هذا الخط الذي انتهجته « **الأمة** » لي بعض الملاحظات ..

فالتحقيق ، يحمل بين ثناياه أموراً خطيرة ما كان ينبغي لمجلة مثل « **الأمة** » أن تتساهل في نشرها .. ومن هذه الأمور :

أولاً : ما جاء تحت العنوان الفرعي : « **مجمع اللغة العربية بالقاهرة** » ص ٦١ حيث يقول الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع :

« **أستطيع أن أقرر ، بغير مباهاة ، أن المجمع استطاع أن يحقق خلال خمسين عاماً خلت أهدافاً متعددة منها : تقرير أن اللغة ظاهرة اجتماعية تتطور بتطور المجتمع والحياة الحضارية ... فإن اللغة العربية في القرن العشرين تختلف عن اللغة العربية في القرن التاسع عشر** » .

ثانيـاً : ما قاله الدكتور مدكور أيضاً من أن « **اللغة العربية لغتنا ، نحن أصحابها ... نفهمها كما فهمها القدامى ، فمن حقنا أن نجددها فنحن نملكها وليست هي التي تملكنا** » .

ثالثا : ما أراد أن يؤكده الدكتور مدكور في حديثه حول « **الصراع بين العامية والفصحى** » حين قال : « **حقـاً : إن هذا الصراع كان قوياً وملحوظاً في العقد الأول والثاني بل والثالث من هذا القرن الميلادي ولكني أعتقد أن هذا الصراع بدأ يتضاءل لسببين** :

١ ـ إن اللغة العربية اليوم ميسرة ، سهلة ألفاظها ، عذب نطقها تختلف عن عربية الجاهلية والعصور السابقة ..؟

٢ ـ إن العامية نفسها تترقى وتتهذب .. فعامية ١٩٨٠م تختلف عن عامية ١٩٣٠م وعامية ١٩٤٠م في أي بلد عربي » .

رابعـاً : ما ذهب إليه رئيس المجمع من أن « **اللغة لا تتعلم عن طريق القاعدة النحوية بل بالحديث والسماع والإجابة ، وتضاف القاعدة إلى ذلك أخيراً ..؟**

هذا بعض ما ورد في التحقيق مما أعتقد بأنه يشكل خطورة على القارىء المسلم .. وأملي أن تجد كل فكرة أو دعوى طُرحت من خلال التحقيق ، حقها من المناقشة والرد عليها من جانب العلماء والمخلصين للغة القرآن] .

نفقات الحياة .. يفعل ذلك بنفس مطمئنة ولسان يلهج بحمد الله .. وذات يوم وصله مظروف عليه اسمه وعنوان منزله بصورة دقيقة وواضحة ! ولما فتحه كانت الدهشة ، فهو يحتوي على رسالة من « يسوع المسيح » وصور كنائسية ... ليس ذلك فحسب ، بل احتوى أيضاً على ورقة إجابات لتمارين مادة الرياضيات وهي من المواد المقررة على هذا الأخ ، وكأن المرسل يريد أن يقول له : **« نحن نعرف عنك كل شيء ونريد مساعدتك »** ..

إن المنصِّرين يعملون وفق تخطيط دقيق معتمدين على ما يقومون به من دراسات لأحوال الناس وظروفهم واستعداداتهم النفسية .. إنني أدعو « **الأمة** » أن تزيد من نسخها لتدخل إلى كل بيت مسلم قبل أن يدخله االمنصِّرون] ..

○ **ومن فرانكفورت - ألمانيا الغربية - بعث الأخ صلاح الدين الجعفراوي ، باسم الاتحاد الإسلامي للطلاب برسالة حول الموضوع نفسه مضمناً إيَّاها بعض الصور التي نشرت في كُتب للرسم الكاريكاتوري ، تُباع بثمن بخس لا يتجاوز ماركاً ألمانياً .. إحدى الصور تصوّر القرآن وكأنه مصدر للخراب والدمار في العالم .. وأخرى تقول : إن الإسلام هو دين المشانق !**

○ **وأرسل الأخ ابن فرحات السعيد (الجزائر) بعدد من المنشورات التنصيرية وجدها بأيدي بعض طلاب المدارس الذين يراسلون هيئات تنصيرية في أكثر من بلد .. ويقول :**

[... كم من فتى راح ضحية هذه المنشورات والمراسلات وما إليها من كتب ومجلات وصحف وبرامج إذاعية وتلفازية وأخرى على أشرطة « فيديو » .. إن غياب الإعلام الإسلامي والمؤسسات الإسلامية عن دائرة الاهتمام بأمر المسلمين ، لهو أخطر ثغرة أوتينا من قبلها ، ولا نزال .. ولا أدري إلى متى ؟] .

○ **ومن (مصر) بعث الأخ حسن إمام عنبر برسالة وردت إلى أحد الإخوة من منظمة في فنلندا تدعي أنها تعمل لخدمة الشباب في مختلف أنحاء العالم .. يقول الأخ حسن :**

[... ترسل هذه المنظمة منشوراتها لطلاب المدارس الذين تتراوح أعمارهم بين ١٠ - ٢٠ سنة .. وتعرض عليهم إمكانية توفير أصدقاء وصديقات لهم من بلاد أخرى ومراسلتهم وتبادل الصور معهم .. وهي ترسل بين الحين والآخر صوراً لفتيات سافرات ساقطات .. أرجو أن تنبهوا الشباب المسلم إلى الحذر وعدم مراسلة مثل هذه المنظمات الخطيرة وجزاكم الله خيراً] .

○ **أما رسالة الأخ مكوار سعيد (المغرب) فكانت حول أسلوب آخر من أساليب أعداء الإسلام .. [حيث ظهرت منشورات تقول : (إن الجنة لا يدخلها من كان مؤمناً بل من كان فاجراً أفَّاكاً) .. وهكذا مع غفلة المسلمين ، نسمع كل يوم عجباً جديداً] ..**

مقترحـــــات

● **في رسالته التي تضمنت مقالاً عن الاحتفال برأس السنة الميلادية ، اقترح علينا الأخ محمد ... (المغرب) أن لا ننشر الشعر الحر ولا نشجع حركته ، إلا أنه وعد بالكتابة لتوضيح مفاسده وأضراره ..**

● **ويقترح الأخ محمد سالم محمد المعني (مصر) أن تكتب (الأسرة المسلمة) حول دعوة الرسول ﷺ للاغتراب في الزواج .. (اغتربوا لا تضووا) .. والحكمة من ذلك ومضار زواج الأقارب إن كانت له مضار ..**

● **ومن بين المقترحات التي بعث بها الأخ غياث عبد الباقي (السعودية) :**

١ - الكتابة بصورة منتظمة عن سير أبطال المسلمين من الصحابة والتابعين والمجاهدين ، ليقتدي بها المجاهدون والعاملون للإسلام .

٢ - الدعوة باستمرار لجمع التبرعات لمجاهدي أفغانستان وغيرها وأن تتولى « الأمـــة » عبء إنشاء صندوق مالي لهذه الغاية ..

● **ويقول الأخ الطولاني محمد (المغرب) في مقترحه :**

[... نسمع كثيراً عن المذاهب الفقهية الأربعة التي تنسب إلى الأئمـــة : مالك ، الشافعي ، أبي حنيفة ، وابن حنبل . إلا أننا لا نعرف عنها إلَّا قليلاً .. وإني أقترح أن تكتبوا على صفحات « الأمة » لمحات عن كل مذهب ، مقوماته ، أسسه ، منهجه ، أبرز الكتب التي ألفت فيه ، مع ضرورة التعريف بكل إمام من الأئمة] .

● **وأورد الأخ فوزي محسن منصور (مصر) مقترحه على صيغة تساؤل :**

[لماذا لا يتصدى بعض كتابنا الأجلاء لكشف النقاب عن مناهج وأفكار فلاسفة وعلماء العرب : الفارابي ، ابن سينا ، الرازي ، وغيرهم ، وتوضيح صلتهم بعالم المسلمين ؟] .

● **ومن السودان يؤكد الأخ عثمان البدوي العطا على ضرورة الأخذ بعين الاعتبار ، المقترح الخاص بإعادة إصدار الهدية ..**

● **ويقول الأخ الدكتور عبد الرزَّاق أحمد قنديل (مصر) :**

[... ترددت كثيراً - من قبل - في أن أقترح عليكم إفراد صفحات شهرية أو كل شهرين أو ثلاثة - حسبما ترونه مناسباً - للكتابة عن « الأثر الإسلامي في الفكر اليهودي » .. الموضوع مهم فهو من ناحية يبين سماحة الإسلام والمسلمين في تعاملهم مع اليهود وتعامل اليهود معهم ، ومن ناحية ثانية ، يعكس عظمة الفكر الإسلامي وقدرته على الانتصار على الأفكار الأخرى والتأثير عليها ..

وإني إذ اقترح عليكم ذلك ، يسرني أن أتعاون معكم في تحقيقه لأنه يدور في مجال تخصصي والله الموفق] ..

... ونحن نرحب بالكتابة إلينـــا ..

● **ويقترح الأخ نجيب الكاتب (اليمن) فتح مجال أوسع للقصة الإسلامية ..**

● أما الأخ يعو محمد (المغرب) فكان تركيزه على ضرورة أن يصدر ضمن سلسلة « كتاب الأمة » كتاب عن التنصير في العصر الحديث وكيفية مواجهته ؟ .

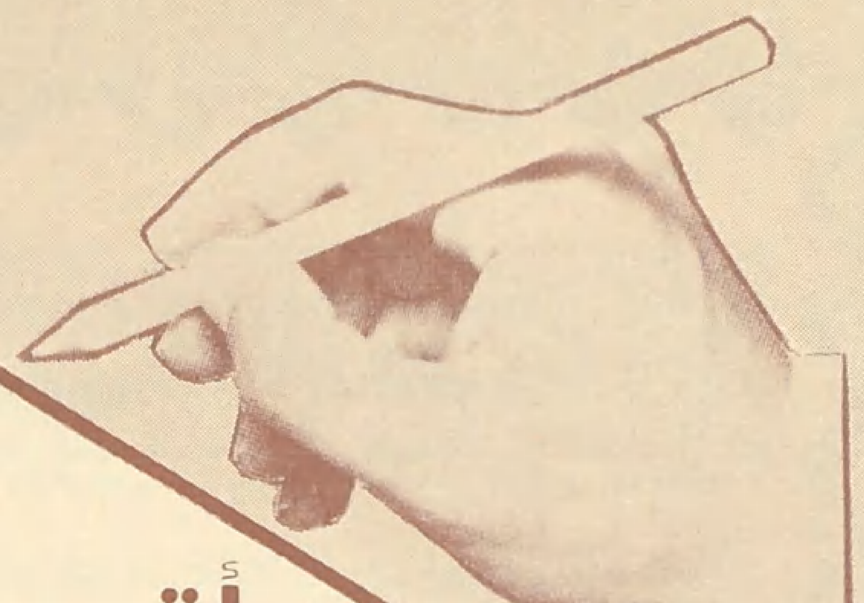

بأقلام القراء

فلسطين ستعود

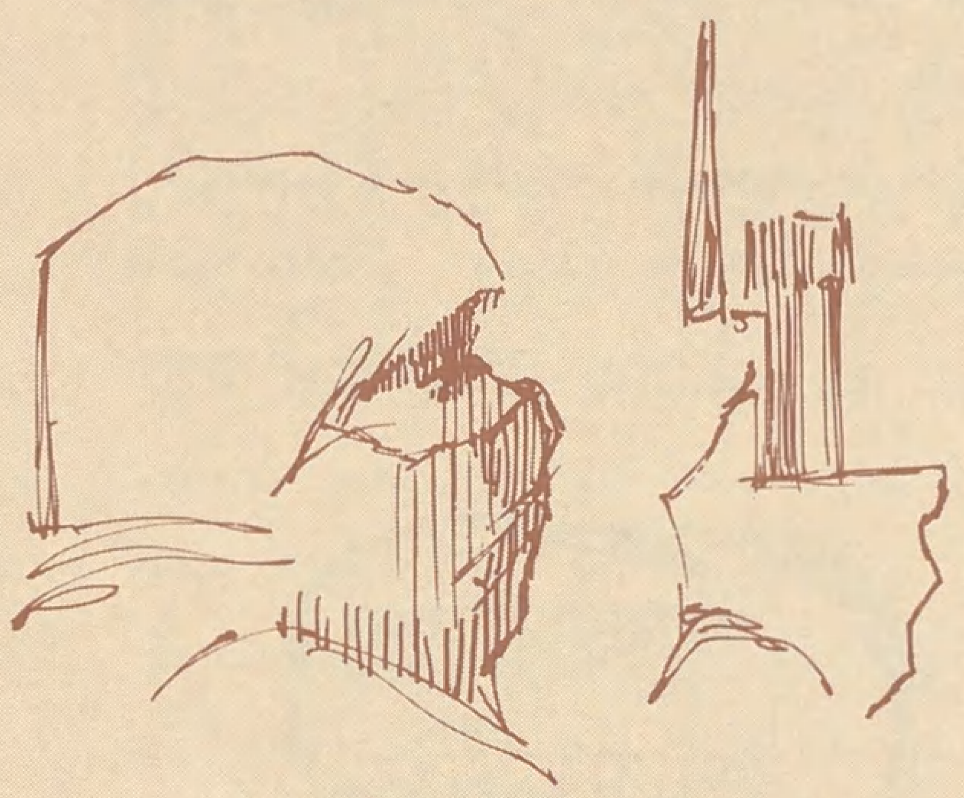

قَدْ خَيَّمَ الحُزْنُ واسْوَدَّتْ لَيَالِينَا
لَمَّا فَقَدْنَا - بِلَا ذَنْبٍ - فلسطِينَا
مَرَابِعُ لَمْ تَزَلْ في النَّفْسِ بَهْجَتُهَا
لا البُعْدُ عَنْهَا وَلَا الإرْهَابُ يُنْسِينَا
تُرَابُهَا المِسْكُ يَسْبِي النَّفْسَ رَائِحَةً
كَأَنَّهَا جَنَّةٌ طَابَتْ رَيَاحِينَا
عِشْنَا مَعَ العِزِّ مِنْ فَجْرِ الزَّمَانِ بِهَا
لَمْ نَحْنِ هَاماً وَلَا ذَلَّتْ نَوَاصِينَا
حَتَّى أَتَى الغَدْرُ في عَصْرٍ تَضِيعُ بِهِ
كُلُّ الحُقُوقِ وَسَلَّ السَّيْفَ مَجْنونَا
لَا يَرْحَمُ الطِّفْلَ أو يُبْقِي على امْرَأةٍ
فِعْلَ الجَبَانِ بِسَفْكِ الدَّمِّ مَفْتُونَا
فَظَائِعُ لَمْ يَرَ التَّارِيخُ قَسْوَتَهَا
خُضْنَا لَظَاهَا دِفَاعاً عَنْ أَرَاضِينَا
لَمَّا اسْتَبَاحَ حِمَاهَا غَاصِبٌ وَقِحٌ
حُقَّ الفِدَا فَبَذَلْنَا النَّفْسَ رَاضِينَا
فَإِنْ تَكُنْ خَرَجَتْ بِالظُّلْمِ مِنْ يَدِنَا
فَإِنَّ عَوْدَتَهَا أَغْلَى أَمَانِينَا

كمال عبد العزيز محمد رشوان - مصر

المبتعثون المسلمون إلى الصين ؟

لم نعد اليوم كما وصفنا الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (البقرة : ١١٠)

وإنما أصبحنا على العكس من ذلك تماماً .. وقد أحسست أثناء وجودي في الصين الشيوعية للدراسة أن الطلاب المبتعثين من البلاد العربية والإسلامية ، أبعد ما يكونون عن الإسلام والتمسك به مسلكاً وخلقاً وفكراً ، بل يشكلون معاول هدم خطيرة حين سمحوا لتيار الهوى أن يجرفهم ويفتت مكوِّنات شخصيتهم الإسلامية ..

وقد تساءلت كثيراً كيف يسمح امرؤ مسلم لغيره أن يسخر منه ومن أهله وعقيدته ؟ ولماذا لا يكون المسلم خارج ديار الإسلام بشكل خاص مرآة تنعكس عليها قيم الإسلام ومبادئه وأخلاقه ؟..

ومما يؤسف له حقاً أن الصينيين كغيرهم من شعوب العالم الأعجمية يعتقدون أن كل من يتحدث بالعربية هو مسلم وأن كل تصرف يتصرفه إنما هو وفقاً لتعاليم الإسلام .. تلك هي المأساة ..

إنني من خلال « الأمة » أتوجه إلى إخوتي المبتعثين أن يفيقوا من غفوتهم وأن يكونوا في عظمة إسلامهم وشموخ عقيدتهم .. وأرجو من الجهات المسؤولة في بلادنا أن تعيد النظر في سياسة ابتعاث الطلاب إلى الخارج ...

مبتعث عربي مسلم [الصين]

أخطاء الشباب ..

... أخطأ كثير من الشباب حين حسبوا أنهم امتلكوا مفاتيح الحقيقة وأن المنهج الغربي هو الوحيد القادر على قيادة إنسانية القرن الحادي والعشرين وأن الدين خرافة وأسطورة أكل عليها الدهر وشرب !..

إنني أخاطب هؤلاء الشباب من خلال مقولات رجل آتٍ على التو من الحضارة الغربية وخارج على مناهجها وتصوراتها .. يقول « رجاء جارودي » : « ... أنا واحد من رواد الحضارة الغربية ، أقول صراحة : إنها قادت الإنسان بعد كل هذا التقدم المادي ، إلى طريق مسدود ! » ..

ويخاطب « جارودي » أمثال هؤلاء الشباب ، أن أحداً « لا يمكنه مهما توصل ، أن يزعم أنه توصَّل إلى حتمية المعرفة الكاملة ، فمن يتصور ذلك ، فهو إنسان غريب ، أو يبدو لي أنه ليس إنساناً بالمرة .. ومن ثم فليس هناك إنسان يحمل بين يديه مفاتيح الحقيقة المطلقة » .

إنني أتوجه إلى هؤلاء الشباب المفتونين بالحضارة الغربية أن يقرأوا لمن كتب عنها من داخلها ، فأهل مكة أدرى بشعابها كما يقول المثل السائر ..

شوقي كحيلة - [تونس]

فتية الإيمان

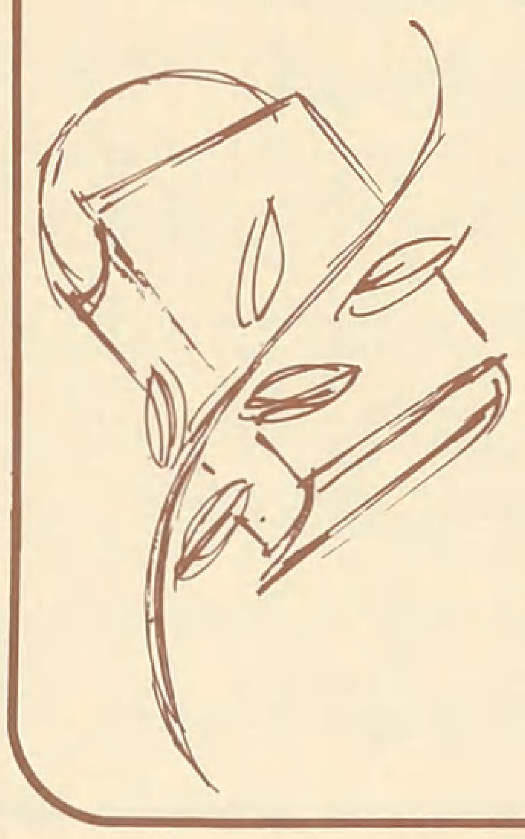

مِنْ أَيْنَ أَبْدأُ يا عيونَ الشِّعرِ يا وطنَ الجُدودْ ؟
« اللَّهُ أَكْبَرُ » في قُلوبِ الشَّعبِ تَقْصِفُ كالرُّعودْ
في فِتْيَةِ الإيمانِ لا خَوَرٌ وَلَا جبنُ العبيدْ
الرَّاكِعينَ لربِّهم والدَّائمينَ لَهُ سُجُودْ
العاملينَ بِسُورَةِ الأنْفال في زَمَنِ الرُّقُودْ
آمنتُ بالقُرآنِ دُسْتُوراً وَهَدْياً للجنودْ
آمنتُ بالفتحِ المُبينِ يَدُكُّ أَحْلامَ اليَهُودْ
آمَنْتُ بالفِرْدَوْسِ داراً للمجاهِدِ والشَّهيدْ
آمَنْتُ أَنَّ مُحَمَّداً ورجالَهُ الأَمَلُ الوَحِيدْ
أَنا مُسْلِمٌ أَخْشَى الإلَهَ وَلَا أَخَافُ مِنَ القُيودْ
فَلْتَنْهَضُوا وَلْتَمْسَحُوا عَارَ المَذَلَّةِ والخُمودْ

خالد أبو العمرين - (الكويت)

لو كنت من مازن
لم يستبح وطني

لَمْ يَبْقَ ماءٌ وَلا دَمْعٌ لِمُنْتَحِبِ   حتّى المَحاجِرُ قَدْ ذابَتْ على الهُدُبِ
وَأَوْرَقَتْ بِعُروقي النّارُ وَاشْتَعَلَتْ   وَشَبَّ فيها دَمي المَهْدُورُ كَاللَّهَبِ
شَهِدْتُ مَوْلِدَ جُرْحي في ثَرىٰ وَطَني   وَلَمْ يَزَلْ راعِفاً وَالقَوْمُ في شَغَبِ
قَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ اليَوْمِ لا عَجَبُ   بِأَنَّ سَفْكَ دِمائي مُنْتَهىٰ الطَّلَبِ
لا ، لَنْ أَلومَ ، فَما الآذانُ صاغِيَةٌ   وَلَنْ أُعاتِبَ ، لَنْ يُجْدي هنا عَتَبي
كَأَنَّما هٰذِه الأَحْقافُ ما شَهِدَتْ   وِلادَةَ الفَجْرِ ، أَوْ هامَتْ بِصَوْتِ نَبي
وَلا أَنارَتْ رِحابَ الأَرْضِ شُعْلَتُها   وَلا أَماطَتْ لَيالي الجَهْلِ وَالرَّهَبِ
قالوا الصَّوارِمُ لِلفُرْسانِ مُشْرَعَةٌ   وَأَنَّها صُقِلَتْ لِلْكَرِّ ، وَالغَلَبِ
ما بالُها اليَوْمَ في الأَغْمادِ ما نَهَضَتْ   كَأَنَّها لَمْ تَعُدْ مِنْ زُمْرَةِ القُضُبِ
ما عُدْتُ أُبْصِرُها في غِلِّ آسِرِها   إِلَّا تَذَكَّرْتُ أَعْواداً مِنَ القَصَبِ
تَقادَمَتْ فَغَدَتْ ذِكْرىٰ وَنَحْمِلُها   مِثْلَ النَّياشِينِ في زَهْوٍ ، وفي عُجُبِ
فَأَنْكَرَتْها المَعالي عِنْدَما انْتَسَبَتْ   لا لِلْفَوارِسِ ، بَلْ لِلرَّقْصِ والطَّرَبِ
اللّه ، يا وَطَني ، شَوْقي يُسابِقُني   وَالقَيْدُ ، والحُزْنُ ، والأَقْدارُ تَعْصِفُ بي
وَلَمْ أَزَلْ أَحْمِلُ الذِّكْرىٰ وَتَحْمِلُني   فَكُلُّ مُغْتَرِبٍ يَأْوي لِمُغْتَرِبِ
قُلْ لِلَّذِينَ اسْتَباحوا الأَرْضَ ، يا وَطَني   وَزَيَّفوا فَوْقَهُ ، بَيْتاً بِلا طُنُبِ
(لَوْ كُنْتُ مِنْ مازِنٍ لَمْ يَسْتَبِحْ وَطَني   بَنو اللَّقيطَةِ) لكِنْ عَقَّني نَسَبي
وَلا أَغاروا علىٰ تاريخِ أُمَّتِنا   وَأَلْبَسوهُ رِداءَ الزَّيْفِ وَالكَذِبِ
وَلا أَناخوا بِداري الرَّكْبَ وَاجْتَرَحوا   بِها المَعاصي وَجاسُوا كُلَّ مُضْطَرَبِ
كُلُّ الغُزاةِ تَوارَوا عَنْ مَرابِعِنا   يا وَيْحَ مُغْتَصِبٍ مِنْ نارِ مُغْتَصَبِ
شَأنُ الحُقوقِ انْتِزاعٌ مِنْ مُكَبِّلِها   النّارُ بِالنّارِ وَالمَيْدانُ لِلصُّهُبِ
هَجَرْتُ داري وَأَحْلامي فَما ظَفِرَتْ   أُذْني بِغَيْرِ فُنونِ القَوْلِ وَالخُطَبِ
فَما تَناهىٰ إلى أَسْماعِنا صَخَبٌ   إِلَّا وَكانَ عَويلُ البُومِ ، في الخِرَبِ
يا مَوْطِنَ السِّحْرِ وَالأَحْلامِ ها أَنَذا   أَراكَ ، بِالقَلْبِ ، في بُعْدي وَعَنْ كَثَبِ
علىٰ شُطوطِ النَّوىٰ ما غابَ ساحِلُنا   وَلا نأىٰ سِحْرُهُ عَنْ خافِقي الوَصِبِ
إِنْ غِبْتَ يَوْماً عَنِ الأَنْظارِ ، يا وَطَني   فَعَنْ فُؤادي ، وَحَقِّ اللّهِ ، لَمْ تَغِبِ
وَأَنْتَ في كَبِدي تَحْيا ، وفي خَلَدي   وفي ضَميري ، وفي نَبْضي ، وفي عَصَبي

شعر : المحامي محمد خلاد

العودة إلى الخيار العسكري

■■ تابع المسلمون في العالم - بقليل من الاهتمام - الأحداث الأخيرة التي جرت على الساحة الأفغانية - على الرغم من خطورتها، باعتبار أن أرض أفغانستان تمثل خط الدفاع الأول لحدودهم في وجه الزحف الشيوعي، حيث خاض المجاهدون هناك - ولا يزالون - منذ الحادي والعشرين من أبريل (نيسان) الماضي - حرباً ضارية ضد ثلاثين ألف جندي من القوات السوفييتية، في وادي بانجشير، بمعدات متطورة من طائرات قاذفة (طراز تو ١٦) وطائرات عمودية وأسلحة كيماوية وغازات سامة، فيما يعد أكبر هجوم يشنه السوفييت - منذ غزوهم الأراضي الأفغانية عام ١٩٧٩م - وتؤكد المصادر الصحفية للمجاهدين أن القوات السوفييتية استخدمت غازات خانقة تحرق الجلد وغازات مسيلة للدموع شديدة الفعالية لإجبار المجاهدين على الخروج إلى العراء حتى تمكن إصابتهم، وكان معظم ضحايا هذه الأسلحة من النساء والأطفال..

■ مجاهدون أفغان ■

■ تشرينكو ■

ويشكل الهجوم السوفييتي هذا تحولاً في المخطط العسكري الذي اعتمده الكرملين منذ عام ١٩٨٢م - والذي كان يتبع سياسة الترغيب وكسب ولاء القبائل والتجمعات في القرى الأفغانية إلى نظام كارمل، ولكن يبدو أن «تشرنينكو» قرر اعتماد الخيارات العسكرية، حيث يتضح ذلك من خلال الإمكانات العسكرية الهائلة التي ألقى بها السوفييت في هجومهم الكبير، والغارات المدمرة التي لم يسبق لها مثيل قبل توليه الحكم في فبراير (شباط) الماضي.

والجدير بالذكر أن قسطنطين تشرنينكو كان في شبابه يعمل ضمن قوات حرس الحدود في المناطق الإسلامية جنوبي الاتحاد السوفييتي، وأنه كان ينشط في عمليات قمع وإخماد مقاومة المسلمين للحكم الشيوعي آنذاك.

وعلى صعيد آخر، تفيد التقارير الواردة من أفغانستان أن حكومة النظام الشيوعي العميل هناك قررت تسليح أفراد الحزب الحاكم من العمال والمزارعين والموظفين المدنيين تحسباً لأي هجوم يشنه المجاهدون ضدهم، ويأتي هذا القرار في الوقت الذي دعا فيه بابراك كارمل أعضاء حزبه إلى التصدي بعنف و «بلا رحمة» للمجاهدين الأفغان، وذلك للقضاء عليهم وعلى أية مقاومة للنظام

الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية

■■ عقدت الجمعية العمومية للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية اجتماعها التمهيدي - بالكويت مساء الأحد ١٧ رمضان ١٤٠٤هـ ولمدة يومين لبحث إقرار مشروع النظام الأساسي واختيار مقر للهيئة واختيار أعضاء مجلس الإدارة من بين الأعضاء المؤسسين.

ومن المعروف أن الهيئة تضم عدداً من الشخصيات الإسلامية المعروفة باهتماماتها الإسلامية وبعطائها في سبيل الدعوة من أنحاء العالم.. وتهدف إلى تحقيق أهداف عدة.. منها:

- أعمال الخير والبر العام والمساعدات الاجتماعية، والإغاثة في حالات الكوارث والمجاعات والأوبئة..
- التعليم والتربية بالمساهمة في محو الأمية ونشر الوعي الإسلامي واللغة العربية وتربية الشخصية المسلمة.
- الدعوة، ببيان حقائق الإسلام، وحماية المسلمين من التيارات الإلحادية والتنصيرية، بالوسائل الحديثة..
- تقوية العلاقات بين العاملين للإسلام والهيئات والمنظمات الإسلامية والأفراد في مجال نشر الدعوة الإسلامية والتنمية الاجتماعية وتبادل الخبرات والمعلومات.

هذا، وكانت اللجنة التحضيرية للهيئة قد أعدّت مشروع النظام الأساسي لها، الذي يتضمن اعتماد وسائل لتحقيق أهدافها.. منها:

إنشاء المؤسسات الاجتماعية والصحية والتعليمية والثقافية الإسلامية، والمؤسسات الصناعية التي تسهم في تنمية مهارات المسلمين واستخدام طاقاتهم، وتطوير وسائل الدعوة، وإنشاء معاهد لتدريب الدعاة..

ويقدر رأس مال الهيئة - المقترح - بألف مليون دولار، يُجمع من المسلمين في العالم، من الزكوات المفروضة والصدقات والهيئات والوصايا الخيرية، والصدقات الجارية مما يوقف على الهيئة من أراضٍ وعقارات وأعيان في أي مكان في العالم، على أن يستثمر رأس المال بواسطة لجنة مختصة تتعامل مع المؤسسات الاستثمارية والبنوك الإسلامية لينفق من ريعها وإيرادها على مصالح الهيئة، بشرط ألّا يتم استثمار أموال الهيئة - بأي حال من الأحوال - بغير الطرق الإسلامية المشروعة.. ■■

القائم وللوجود العسكري السوفييتي في البلاد - كما دعا كارمل قيادة الجيش إلى رفع الكفاءة القتالية للقوات المسلحة حتى تتمكن من مواجهة « التحدي الخطير » الذي يشكله « الثوار المسلمون » الذين يزدادون عدداً وضراوة - على حد تعبيره - .

وينص بيان الحكومة الذي أذاعه راديو كارمل - ونقلته وكالات الأنباء على تكوين مجموعات مسلحة من المدنيين يتم تدريبهم على حمل السلاح والتصدِّي للهجمات التي تستهدف مواقع العمل ...

وقد جدد الاتحاد السوفييتي مساندته العسكرية لحكومة بابراك كارمل ، وتعهد بمساعدتها في توطيد سيطرتها على البلاد والحفاظ على « مكاسب ثورتها » .. وقد جاء ذلك في أول تقرير لوكالة « تاس » السوفييتية ، عن الأوضاع في أفغانستان ، الذي ادعت فيه أن القوات الحكومية قد استولت على وادي بانجشير الاستراتيجي ، وذلك دون الإشارة إلى تورط الجيش السوفييتي في القتال ضد مجموعات المجاهدين هناك ، بينما أعربت مصادر المراقبين عن اعتقادها بأن معارك عنيفة لا تزال قائمة داخل الوادي ..

وقد وجهت القيادة السوفييتية رسالة إلى رئيس النظام الشيوعي في أفغانستان - بابراك كارمل - بمناسبة الذكرى السادسة لاستيلائه على السلطة ، أكَّدت فيها أن أفغانستان « دولة شقيقة » للاتحاد السوفييتي ، ويمكنها الاعتماد على مساعدته ومساندته ، كما أكدت أن الكرملين - مجلس السوفييت الأعلى - سيواصل دعمه لأفغانستان ، وهو ما فسره المراقبون بأنه وعد بإرسال مزيد من القوات السوفييتية لتدعيم موقف الحكومة الضعيف .. كما بعث كارمل إلى قسطنطين تشرينتكو - سكرتير عام الحزب الشيوعي السوفييتي - برسالة أعرب فيها عن امتنانه لتواجد القوات السوفييتية في بلاده ، كما وجَّه تحذيرات عنيفة إلى « أولئك الذين يواصلون حربهم ضد الحكومة » مؤكداً أنه « ما لم يستسلموا ويعترفوا بجرمهم فسوف تسحقهم الدولة » .

والجدير بالذكر أن مصادر المجاهدين في إسلام أباد قد أكدت أن قواتهم في « وادي بانجشير » لم تهزم ، ووصفت التقارير السوفييتية بأنها كاذبة ... ■■

المؤتمر السياسي الإسلامي

■■ انعقد مؤخراً بمبنى نقابة المحامين بالقاهرة المؤتمر السياسي الإسلامي الذي دعت إليه « أسرة التشريع » بالنقابة . تناول المؤتمر ثلاثة موضوعات هي : أصول الحكم في الإسلام ، الإسلام دين ودولة ، التطور التاريخي للدعاة والدعوة والسلطة ، وقد تحدث في المؤتمر مقرر الأسرة محمد المسماري وكيل النقابة ، والدكتور عبد الحليم مندور ، والدكتور عبد الله رشوان .

وتهدف « أسرة التشريع » إلى المساهمة العملية في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية من خلال إعداد البحوث والدراسات حول الشريعة ، وذلك من منظور إسلامي ، ومنظور دستوري تابع للمادة الثانية من الدستور المصري الذي ينص على أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيس للتشريع ، و [إجماع الفقهاء الدستوريين على أن الشريعة هي المصدر الرئيس الأول ..] كما رصدت الأسرة جائزة قدرها ألف جنيه باسم الشهيد عبد القادر عودة . ■■

مذابح بومباي ... جولة جديدة

■■ تجددت مؤخراً حوادث القتل والحرق والذبح للمسلمين في شبه القارة الهندية خاصة في مدينة بومباي وضواحيها بولاية (ماهراشترا) ، حيث قام المعتدون المسلحون الذين ينتمون إلى جماعات ومنظمات متطرفة معادية للمسلمين بحرق المحلات والمتاجر التي يمتلكها المسلمون بعد أن ألقى أحد زعماء منظمة (شيو سينا) المتطرفة كلمة في مناسبة هندوكية حرَّض فيها الناس ضد المسلمين .

أما في مدينة (بهيواندي) على بعد (٧٥) كيلومتراً من بومباي فقد قُتلت عائلة مسلمة مكونة من عشرين فرداً ، بعد أن أرغموا على الخروج من منازلهم ، وسُكِبَ البترول عليهم واستشهدوا حرقاً .

وصرح فضيلة الشيخ أسعد المدني رئيس جمعية علماء الهند بأن حوادث الاعتداء على المسلمين قد بلغت درجة لا تحتمل ، وأعرب عن عزمه على مواجهة الوضع بكل جرأة وهمة وصبر واستقلال .

وطبقاً لتقارير لجنة إغاثة المسلمين في الهند - ومقرها لندن - فإن أكثر من عشرة آلاف حادث عنف ضد المسلمين قد ارتكبت منذ سنة (١٩٤٧م) راح ضحيتها أكثر من نصف مليون مسلم ونهبت ممتلكات تقدر ببلايين الروبيات (العملة الهندية) ..

ومنذ أربعة عشر عاماً شهدت منطقة بومباي خاصة اشتباكات بين المسلمين والهندوس راح ضحيتها أكثر من مائة شخص ويرى المراقبون أن هذه المنطقة لم تشهد منذ ذلك الوقت أعنف من هذه الاعتداءات التي جرت مؤخراً ضد المسلمين .

في العام الماضي قامت منظمة (جانج سانج) المعروفة بنزعتها النازية ، وحزب (BTP) الهندوسي المتطرف بمذابح آسام الشهيرة ضد المسلمين ، التي راح ضحيتها أكثر من ثلاثة آلاف قتيل معظمهم من النساء والأطفال .. غير تلك المذابح التي تمت مع بداية القرن الهجري الخامس عشر في (مراد آباد) حين أدخلت الخنازير إلى ساحة المساجد .. ولما احتج المسلمون أطلقت الشرطة النار عليهم وهم يصلون !

ويعامل المسلمون في شبه القارة الهندية كمواطنين من الدرجة الثالثة فنسبتهم في الوظائف الرسمية لا تتجاوز (٢٪) .. ومع أن هذه البلاد قد شهدت فترات مزدهرة على مر التاريخ كانت هي الفترات التي حكم فيها المسلمون ، فإن المؤرخين الهندوس يحاولون تشويه هذه الفترات ويقللون من قيمتها ، ويتناسون الفاتح الإسلامي (محمد بن القاسم) الذي قاد جيشاً إسلامياً إلى الهند أنار المنطقة بنور الإسلام بعد أن دعاه أهلها إليها حين عرفوا وسمعوا عن الإسلام وعدله ورحمته .. ■■

قراءة ثقافية

معالم فلسفة التعليم في إسرائيل [٥]

ـ فلسفة دين العمل :

لقد كان من أهم أركان الثقافة اليهودية التي ركز عليها زعماء الصهيونية (العمل اليدوي) وقد استولت فكرة العمل اليدوي على اذهان هؤلاء الزعماء منذ بداية الحركة الصهيونية ...

يقول هيرش (١٧٩٥ ـ ١٨٧٤م) وهو من أوائل الذين سعوا للصهيونية : « إنني أقترح بأن تؤسس منظمة هدفها : تشجيع الاستيطان في الأراضي المقدسة ، وذلك بشراء المزارع والكروم وجني ثمارها ... ستكون الحالة مختلفة لو تحمسنا للعمل في الأراضي بأيدينا ، سيبارك الله عملنا بكل تأكيد ، وهكذا سوف لا نحتاج لاستيراد القمح من مصر أو من البلاد المجاورة ، لأن محصولنا سيكون كثيراً ... هناك فائدة أخرى للاستيطان الزراعي الا وهي فائدة تطبيق الوصايا الدينية المتعلقة بالعمل في تربة الأراضي المقدسة ... علاوة على هذا كله سيؤدي العمل الزراعي اليهودي للوصول إلى الخلاص ، الخلاص الذي وعد به المسيح المنتظر ، وإذا ما قدمنا الخلاص للأرض بهذه الطريقة الدنيوية فستظهر علامات الخلاص تدريجياً ... هذه السياسة أيضاً ستعمل على كسب احترام الأمم الأخرى إذ أنهم سيقولون : إن بني إسرائيل لديهم الإرادة أن ينقذوا أرض أجدادهم التي هي قاحلة ومتروكة » . و (موسى هس) بعد أن شعر بأن اليهود يعيشون بصورة طفيلية بين الأمم قال : « تهيء الأمم المتقدمة الآن لاستغلال عام للطبيعة ، سيتحقق هذا بطرق العمل المرتكزة على الاكتشافات العلمية ، وبذا ستختفي الطفيليات الاجتماعية لأنه لن يكون لها أي مكان في مثل هذا النظام ... إنني أعرف جيداً بأن اليهود يشعرون بالحاجة الملحة إلى ظروف عمل عادلة وصحيحة تعتمد كلياً على استغلال الإنسان للطبيعة ، وإنني أعرف جيداً بأن اليهود يبذلون جهدهم لتدريب الجيل الجديد لأن يكون أفراده عمالاً نافعين » .

ويرد « هرتزل » على ما يكرره اليهود « نحن نعيش على فضلات الأمم المضيفة ، فإذا لم يكن لنا أمة مضيفة فسنموت جوعاً » يرد على ذلك بأن « هذا مثال لعدم احترامنا لأنفسنا الناجم عن اتهامات غير عادلة ... لكن اليهود عندهم الطاقة البشرية الكافية لا بل أكثر من اللازم ، فقط أولئك الجهلاء بأحوال اليهود في كثير من بلاد أوروبة الغربية يجرؤون على القول بأن اليهود غير نافعين وغير محبين للقيام بعمل يدوي » .

ويقول « نوردو » في مقاله عن الصهيونية بأن الصهيونيين « يرغبون في أن يشكلوا من اليهود الذين يعتبرون طفيليين أمة منتجة معتبرة ، يرغبون أن يُرَوُّوا الأرض بعرقهم ، ويحرثوها بأيديهم ليحولوها من صحراء قاحلة إلى حديقة مزهرة كما كانت عليه في السابق » .

على ان قمة هذا الفكر تبلورت على يد « جوردون » الذي نادىٰ بفلسفة (دين العمل) وأنشأ حركة (الروّاد) التي كانت تنادي برفض حياة اليهود في المنفى (الدياسبورا) ورفض جميع الحلول والتمسك بحل مشكلة اليهود عن طريق تحرير اليهود كشعب من اللا سامية على أساس عودة اليهود إلى فلسطين (أرض الأجداد والميعاد) والحياة هناك كأمة .

كما كانت تعني (تطهير النفس اليهودية) عن طريق العمل اليدوي والجسدي في تلك الأرض كعنوان للثورة على نمط الحياة اليهودية في (المنفى) وكتطبيق لشعار (استعادة الأرض والعودة إليها) وقد وصف بن جوريون حركة الرواد هذه بأنها « منظمة لشباب يتحلون بالإيمان العميق والشعور الجدي بالمسؤولية مع المقدرة على تجسيد الإنسان الخلاق الجريء بقصد استرداد الوطن وبناء الدولة بالعمل الجدي المنظم .

وكانت هذه الحركة تمثل طابعاً إنسانياً جديداً في التاريخ اليهودي بسعيها لغرس الروح الطلائعية المقدامة في الشباب اليهودي فيعتادون قبول اي واجب يعهد إليهم به ، كبيراً كان أو صغيراً ، ويعملون على مواجهة اي خطر ، وتذليل أية عقبة تعترض هدفهم ، ويطالبون أنفسهم بكل شيء قبل أن يطلبوه من الآخرين » .

ومن أقوال « جوردون » :

« إن شعبنا تعود جميع انماط الحياة عدا النمط الطبيعي ـ أي تحقيق الاكتفاء الذاتي عن طريق العمل ـ لن يصبح شعباً حياً عاملاً إلا إذا بذل أقصى طاقة لتحقيق هذا الهدف ؛ إن العمل ليس مجرد العامل الذي يحدد علاقة الإنسان بالأرض وحقه فيها وحسب بل إنه القوة الرئيسة في بناء حضارة قومية أيضاً ، إن العمل هو مثل إنساني أعلى للمستقبل ، والمثل الأعلى يشبه الشمس الصافية ، إننا بحاجة إلى متعصبين للعمل متزمتين له بأعلى معاني الكلمة » .

« خلال الألفي سنة الأخيرة كان الشعب اليهودي معزولاً عن الطبيعة ، ومسجوناً داخل أسوار المدينة ـ لقد اعتدنا على كل أشكال الحياة ما عدا حياة العمل ـ العمل الذي نقوم به بملء إرادتنا ومن أجل العمل نفسه ، وسيحتاج هذا الشعب لأضخم الجهود من أجل أن يستعيد وضعه الطبيعي مرة أخرى ، ينقصنا عنصر الحياة القومية كما تنقصنا عادة العمل ـ العمل الذي يلتصق به الشخص بشكل طبيعي وعضوي وليس العمل الذي ينجز نتيجة لضغوط خارجية ... إن الثقافة الحية غير المنسلخة عن الحياة هي التي تضم الحياة بكل جوانبها ؛ الثقافة هي كل ما تصنعه الحياة لأغراض العيش ؛ الفلاحة والبناء وشق الطرق وأي عمل وحرفة ونشاط منتج هو جزء من الثقافة ويشكل أساسها ومادتها التي تتكون منها ... لقد اصبح كل شيء واضحاً : من الآن فصاعداً يجب أن يكون العمل مثلنا الأعلى وبسبب غلطة حرمنا من العمل لغير ما ذنب لنا ، ويجب أن نبحث عن علاج للأمر ، يجب ان يصبح العمل هدفنا ومحور تطلعاتنا ... » .

« هناك طريق واحدة فقط يمكن أن تقودنا إلى الانبعاث ، إنها طريق العمل اليدوي ، طريق حشد كل طاقاتنا القومية ، طريق التضحية المطلقة من أجل مثلنا الأعلى ومن اجل القيام بواجبنا » ...

وبغير العمل « لن يكون لدينا سوىٰ ثقافة المنفى حتى لو كانت يهودية تماماً ، ومن المستحيل أن تكون تلك الثقافة اغنى وأعمق من حياة المنفى ؛ فالانجازات الحقيقية هي تلك التي تكون ثمرة العمل المبدع وليس نتيجة للصفقات التجارية التي تتم بمهارة والتي تتطلب كثيراً من ضبط النفس ليمكن إعطاؤها صفة الإبداع ، إن مثل هذه الحياة لا يمكن اعتبارها مبدعة بالمعنى القومي العام » .

متـــابعة ثقافيـــة

■ يعتزم اتحاد مجالس البحث العلمي العربية ببغداد الانتهاء من ترجمة التصنيف الدولي لبراءات الاختراع إلى اللغة العربية وطبعه في العام القادم، ويوفر هذا العمل للناطقين بالعربية المعلومات التكنولوجية المتضمنة بوثائق البراءات في مختلف بلاد العالم، كما تيسر النقل الأفقي للتكنولوجيا بين البلدان العربية. مما يمهد لإنشاء الوحدة الإعلامية والتوثيقية للبراءات العربية لتكون نواة لإنشاء مركز عربي للتوثيق العلمي والتكنولوجي.

■ (نور الإسلام) نشرة غير دورية يصدرها المجمع الإسلامي بقطاع غزة .. اشتمل العدد الذي صدر بمناسبة شهر رمضان ابواباً متنوعة، منها: (رسالتنا)، (رمضان وصحة الإنسان) (الحب والتآخي في الله)، (شخصية إسلامية) هي شخصية عبادة بن الصامت، كما احتوىٰ على رسومات كاريكاتورية ابرزت بشكل خاص التعسف الضرائبي الذي فرضته سلطات الاحتلال مؤخراً.

■ تواصل الصومال جهودها في سبيل نشر اللغة العربية، فقامت مؤخراً بإجراء اختبارات لمائتين وخمسين الف صومالي في معرفة اللغة العربية من الموظفين المدنيين بعد ان نظمت لهم دروساً لمدة ساعتين يومياً. ومن المعروف ان اللغة الصومالية تكتب حالياً بالحروف اللاتينية.

مشـــكلات تطوير الإعـلام العربي

■■ أعدت منظمة « اليونسكو » التابعة لهيئة الأمم المتحدة تقريراً هاماً عن الإعلام في الدول العربية، ركزت فيه على مشكلات التطوير وضرورة تعاون الأجهزة الإعلامية كافة لوضع تصور عملي وهيكل تنظيمي لأداء الدور الإعلامي على أكمل وجه.

انتقد التقرير تحول الأجهزة الإعلامية المختلفة إلى الدعاية، مما قلل من ديمقراطية الإعلام في المنطقة، على الرغم من أن هذه الأجهزة تعتبر أعرق من مثيلاتها في دول العالم الثالث.

وأشار إلى الميزة الحضارية الفريدة التي تختص بها دول المنطقة العربية من حيث قيامها على عدة عوامل من بينها الثقافة واللغة والأهداف المشتركة، مما قلل من الصعوبات التي تعترض انتشار ورواج المواد الإعلامية المختلفة فيما بينها ويسَّر عملية التقارب الثقافي والاجتماعي.

وعن قضية السياسات الإعلامية، والتخطيط بمعناه العلمي على المدى الطويل، فقد لاحظ التقرير أن هذا التخطيط ينصرف دائماً إلى المجال الاقتصادي وحده، وما يزال غير واضح لدى جانب كبير من المسؤولين عن السياسات الإعلامية .. لذلك فإن الحاجة تبدو ماسة إلى جهد علمي هائل لا يغرق في التجريد النظري، وإنما يعنى بتقديم مساعدة حقيقية لهؤلاء الذين يتخذون القرارات.

واستعرض التقرير كذلك موقف الإذاعة الصوتية، فرغم أنها بدأت في العشرينيات من هذا القرن (الميلادي) فإنها تنقل دائماً وجهة نظر واحدة، هي وجهة نظر الدولة، وفي الإذاعة المرئية: فإن البلاد العربية تستورد جزءاً من البرامج التي تذيعها يتراوح بين أربعين وستين في المائة، معظمها من البرامج الترفيهية، غير البرامج الثقافية التي تاتي متعالية، والبرامج الاقتصادية المعقدة الجامدة والأخبار المغرقة في الاتجاه « البروتوكولي ».

ورغم أن الصحافة العربية هي أعرق من مثيلاتها في العالم الثالث (صدرت الوقائع المصرية ١٨٢٨م) فإن نسبة توزيع الصحف اليومية في المنطقة العربية تبلغ (ثلاثين) صحيفة لكل ألف من السكان، بينما هي في أوروبا الغربية (٢٩٤) لكل ألف من السكان، وفي المتوسط العالمي (١٣٦) لكل ألف.

وركز التقرير على مشكلة الكوادر الصحفية، وتتمثل في عدم وجود هذه الكوادر أصلًا، أو عتماد الدولة على صحفيين من غير أبنائها، أو عدم تأهيل هذه الكوادر التأهيل العلمي اللازم .. مع ندرة في المراسلين المحليين والعالميين.

ثم استعرض التقرير في نهايته موقف وكالات الأنباء المحلية الموجودة في الأقطار العربية المختلفة وأشار إلى انها جميعاً وكالات أنباء رسمية. ■■

الأســبوع العلمي عن دور تركيا
في الحضـــارة الإسلامية

■■ في سلسلة الأسابيع العلمية التي يقيمها مركز بحوث الشرق الأوسط بجامعة عين شمس بالقاهرة اقيم مؤخراً الأسبوع العلمي عن تركيا وعلاقاتها مع العالم الإسلامي، واشتمل على محاضرات علمية وبحوث متخصصة تتناول تراث تركيا ودورها في التاريخ وفي منطقة الشرق الأوسط عامة، اشترك فيه أساتذة من جامعتي عين شمس واستانبول. كما تضمن الأسبوع معرضاً للكتب التركية التي تبرز دورها الإسلامي .. وكانت قد اقيمت من قبل أسابيع علمية أخرىٰ: عن باكستان وأفغانستان، ضمن محاولة مركز بحوث الشرق الأوسط التعرُّف على اتجاهات الحضارة والفكر الإسلامي في هذه الدول بإشراف الدكتور محمد حرب رئيس وحدة البحوث بالمركز والأستاذ بكلية الآداب. ■■

معهـد متخصص للتـــراث

■■ عقدت لجنة التراث العربي والإسلامي المنبثقة عن مجلس التعليم العالي لدول الخليج العربية اجتماعاً بجامعة قطر بحثت فيه عدداً من الموضوعات المتعلقة بالتراث منها: مفهوم التراث وطبيعته، وصفتيه العربية والإسلامية وتوجيه الجهود إلى العناية به.

قدمت جامعة قطر دراسة تناولت فيها مقومات التراث العربي والإسلامي ومستويات إحيائه وتجميعه وتصنيفه وفهرسته وتحقيقه وتدريسه، والانتقال به إلى مركز التاثير في الفكر العالمي، والسياسات الخاصة بالتنسيق والتعاون في مجالات الأحياء.

كما شملت الدراسة بحث جدوىٰ مشروع إقامة معهد إقليمي متخصص يعنى بالتراث العربي والإسلامي. ■■

في عالم الاقتصاد

إهمال مشاريع التنمية والاعتماد على الاستيراد

■ تشكل واردات الأغذية عبئاً كبيراً على ميزانيات الدول العربية وبشكل خاص في المجموعة غير النفطية، على حين يتعرض الإنتاج الزراعي في المنطقة لتدهور واضح منذ السبعينيات، نتج عنه عجز غذائي حاد بقياس القدرات الإنتاجية الذاتية..

ويرى الخبراء أن العالم العربي، بعدد سكانه الذي يبلغ (١٧٥) مليون نسمة - على الأقل - يعاني ليس فقط من إهمال مشاريع التنمية الزراعية، وإنما الوقوع أيضاً في أسر عادة أصبح من الصعب الفكاك منها، وهي تفضيل استهلاك كل ما هو مستورد من الأغذية (!)...

وتشير مجلة « ميدل إيست » في تقرير لها حول العجز الغذائي في دول الشرق الأوسط إلى أن دول هذه المنطقة أصبحت هدفاً منذ بضع سنوات لمنافسة شديدة بين شركات تصدير الأغذية متعددة الجنسيات التابعة للمجموعة الاقتصادية الأوروبية من جانب، والشركات الأمريكية من جانب آخر، وتركِّز هذه الشركات وجودها في دول المنطقة ؛ التي تعاني من عجز غذائي، مع توفر وضع قوي نسبياً على صعيد رصيدها من العملة الصعبة، وهما العاملان اللذان جعلا من دول شرقي أفريقيا هدفاً لمنافسة حادة بين الدول الصناعية المصدرة للحبوب والألبان ومنتجاتها..

وتعمد الدول الصناعية إلى منح الدول المستوردة للأغذية اعتمادات لتمويل وارداتها من هذه المواد، ثم يعاد تسديد هذه الاعتمادات بفوائد عالية أو مقابل شحنات من المواد الخام الأولية..

كما يفيد التقرير بأن دول السوق الأوروبية المشتركة لا تزال تحافظ بدرجة كبيرة على مركز متقدم في مجال تصدير الحبوب والأغذية إلى دول شمالي افريقيا حيث تستحوذ على حصة تقدر نسبتها ٣٤٪ من أسواق هذه الدول.. كما أن الولايات المتحدة الأمريكية قد عمدت إلى مزاحمة الوجود الأوروبي عن طريق توسيع نطاق صادراتها من السلع الغذائية إلى الأسواق المصرية على سبيل المثال.. وكان من نتائج ذلك أن زادت الصادرات الأمريكية من دقيق القمح إلى مليون ونصف مليون طن عام ١٩٨٣م مقابل (٦٥٧) ألف طن فقط عام ١٩٨٢م.

ويؤكد تقرير « ميدل إيست » نقطة على قدر كبير من الخطورة وهي أن الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية المتنافسة على أسواق الأغذية في المنطقة تعمد بشكل مدروس وغير مباشر إلى تقليل قدرة القطاع الزراعي المحلي على زيادة معدَّل إنتاجيته أو تقليل معدلات التكلفة، حتى تتقلص قدرته على منافسة المنتجات الزراعية والأغذية المستوردة.. وتتمثل الوسائل المتبعة لتحقيق هذا الهدف في قيام الحكومات الغربية بتقديم دعم حكومي على الأسعار، على حين لا يتمكن المزارعون المحليون في الشرق الأوسط - ودول العالم الثالث بصفة عامة - من المنافسة إلا عن طريق الحصول - بدورهم - على دعم حكومي، ويتكفل « صندوق النقد الدولي » - من جانبه - بإحكام الطوق حول اعناق هؤلاء المزارعين، حيث يؤكد في اتفاقيات الاقتراض التي يبرمها مع حكومات دول العالم الثالث على إلغاء الدعم الحكومي على جميع السلع، خاصة السلع الغذائية..

● دي لاروزير رئيس صندوق النقد الدولي ●

ويتوقع التقرير - في ظل الظروف السائدة - أن تجد الدول الصناعية الغنية - في العالم الثالث سوقاً رائجة لصادراتها من الحبوب والسلع الغذائية الأخرى ما لم تحدث تغييرات جوهرية على خطط التنمية فيها، بشكل يحد من العجز الغذائي الموجود حالياً.. كما يلاحظ - في المقابل - أن معظم دول الشرق الأوسط - وفي مقدمتها الدول ذات الإمكانات الزراعية الكبيرة مثل: السودان والمغرب ومصر، قد شهدت - في السنوات القليلة الماضية - تراجعاً ملحوظاً بإنتاجها الزراعي، نتيجة لإهمال مشاريع التنمية الفعالة في هذا القطاع الحيوي وزيادة الاعتماد على الاستيراد..

وإذا استمرت الظروف على وضعها الحالي، فإن اعتماد الشرق الأوسط ودول العالم الثالث على استيراد الأغذية سوف يمتد إلى آخر القرن الحالي، وربما إلى فترة أبعد، وذلك رغم توافر الإمكانات التي تؤهل المنطقة لأن تكون مستودع أغذية.. ■■

سياسة الأسعار لا تشجع الفلاحين

التعبير بالصورة

[تصفية حسابات الكبار بالدماء المسلمة ..!!]

أخبار قصيرة

●● جاء في كتاب جديد صدر باسم « **التحالف غير الطبيعي** » حول العلاقة بين إسرائيل وجنوب أفريقيا .. أن « **الموساد** » ـ وهي وكالة الاستخبارات المركزية الاسرائيلية ـ قامت بتدريب أجهزة الاستخبارات في عدد من الدول الافريقية ؛ منها غانا وأوغندا وزائير ، ويضيف المؤلف الصحفي « جيمس آدمز » قائلاً : إن إسرائيل زودت بالسلاح والتدريب العسكري كل من ساحل العاج وجمهورية افريقيا الوسطى وداهومي والكاميرون والسنغال وتوجو وتانزانيا والحبشة وسيراليون والصومال وموريتانيا ونيجيريا ..

●● **ترتفع المصروفات العسكرية في العالم هذا العام بمعدل ٤ر٣٪ .. وتبلغ أسرع زيادة في هذه المصروفات (بمعدل الضعف) في الدول النامية وفي منطقة الشرق الأوسط وشمالي أفريقيا عنها في الدول الصناعية (!) .. وتتجاوز نفقات التسليح في أوائل العام القادم (١٩٨٥م) ألف مليار دولار .. (من تقرير للوكالة الأمريكية لمراقبة الأسلحة) .**

●● ذكرت صحيفة « نيويورك بوست » المؤيدة لإسرائيل أن كميات كبيرة من الأسلحة التي استولت عليها إسرائيل من لبنان تُصدر بأوامر من المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) إلى قائمة طويلة من الدول والحركات في أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا .

●● **قام المستوطنون اليهود بجمع الأموال لأعضاء ما يسمى الشبكة الإرهابية السرية في إسرائيل لتوفير المحامين اللازمين للدفاع عنهم ، وصرح رئيس مجلس المستوطنات اليهودية « إسرائيل هاريل » بقوله : إنهم أصدقاؤنا ولا نستطيع التخلي عنهم ، وإنهم يريدون خدمة مواطنيهم ، وبعضهم من المؤسسين لحركة الاستيطان ..**

ومما يجب ذكره أن الهدف الذي تسعى إليه هذه الشبكة : هدم المقدسات الإسلامية وفي مقدمتها الأقصى ، تمهيداً لتهويد المنطقة بكاملها .

●● وافقت السلطات الإسرائيلية على إقامة خمس مستوطنات جديدة في الضفة الغربية المحتلة هي : مجدليم ، شيليلي ، تيريا ، يعريت ، وأدهم ، وبذلك يرتفع عددها إلى مائة مستوطنة .. وصف وزير العلوم ـ يوفال نيمان ـ المستوطنين بأنهم « رواد الثمانينيات » .

●● **قوات المجاهدين الأفغان في حاجة ملحة إلى أقنعة واقية ضد الغاز بسبب زيادة استخدام القوات السوفييتية الأسلحة الكيماوية في هجماتها الأخيرة على وادي بانجشير .. صرحت بذلك مصادر المجاهدين ..**

●● العمليات العدوانية التي قام بها الجيش الإسرائيلي في مخيم عين الحلوة ـ قرب صيدا ـ وقعت بعد يومين من تولي العقيد أنطون لحد قيادة « جيش جنوبي لبنان » خلفاً للرائد سعد حداد ..

مع الصحافة في العالم

القبس

الحضارة بين الشكل والجوهر

■■ يبدو أن لفظ « الحضارة » له أكثر من معنى في أذهان الناس . ومن المعاني الشائعة الدارجة أن الحضارة هي التطور العمراني بمبانيه الشاهقة وطرقه المعبدة الفسيحة وتجهيزاته الحديثة . ولو كان الأمر كذلك لكان عدد من الأقطار العربية في مقدمة الدول الحضارية . وحقيقة الأمر أن هذه بعض مظاهر الحضارة ، وقد لا تكون في كثير من الأحيان إلا واجهة . أما الجوهر الحضاري فيكاد لا يكون له وجود .

الحضارة هي عدة عناصر متكاملة لها مظهرها ولها مخبرها ، فالحضارة الحقيقية تتمثل فيها الروافد الفكرية والثقافية والعلمية المتطورة ، ويتمثل فيها العطاء الاقتصادي والمجتمعي بكل أبعاده . والقاسم المشترك بين هذه العناصر جميعها ، هو مساهمة الإنسان فكرياً وثقافياً وعلمياً واقتصادياً واجتماعياً وسياسياً ، على أن تكون هذه المساهمة مساهمة فعلية نابعة من القدرة والوعي .

وتكاد تندر مثل هذه المساهمات على الساحة العربية ، والإنسان العربي يتحمل بعض الوزر في أنه لم يحاول فرض وجوده واجتياز بعض العقبات والعوائق ، ولكنه لا يتحمل الوزر كله ، لأن بعض تلك العقبات والعوائق يكاد يستحيل اجتيازها في ظل المعطيات القائمة .

وليس معنى ذلك أن المساهمات العربية منعدمة . هناك أفراد استطاعوا في قطاعات معينة أن يفرضوا وجودهم رغم الظروف المحيطة . ولكن القضية الأساسية أن هذه حالات فردية في أكثر الأحيان ، ولم يجد عطاؤها المناخ المناسب ، ولم يجد الجسور التي تربطه بالقاعدة المجتمعية العريضة . وذلك ناتج من انعدام الوعي الذي تساهم فيه الأمية بجانب معطيات أخرى .

هناك فراغ حضاري احتشدت فيه المظاهر الشكلية للحضارة الجديدة . وساهمت القدرة المالية في بعض أقطار العالم العربي على حشد الكثير من تلك المظاهر . والفراغ الحضاري لا يعني البدء من نقطة الصفر .. هناك تراث حضاري ، وعصور ازدهار عاشتها أمتنا ، ويجب ربط هذه بتلك ، بمعنى أن الإنسان ، طالما كان ، هو المحور عطاء ومشاركة ، فإن قسطاً من التراث الحضاري العربي يسند هذا المحور ويمكن أن يكون مرتكزاً رئيسياً . وتبقى القضية في كل الأحوال هي قضية انطلاق طاقة الإنسان وقدراته ووعيه من قاعدة مجتمعية ذات إرادة متبلورة . ■■

[العدد ٤٢٩٤]

الشرق الأوسط

المفهـوم الصحيح للإعـلام الإسلامي

■■ عندما يطلق مفهوم الإعلام الإسلامي على نوع مستحدث من الدراسات الإعلامية ، فقد يفهم منه أكثر من مدلول . فقد يقصد به ، من ناحية جغرافية ، ذلك الإعلام الذي يتم في الدول الإسلامية . وقد يقصد به ، من زاوية تاريخية ، وسائل الإعلام في التاريخ الإسلامي ، منذ عصر النبوة والخلافة الراشدة . وقد يقصد به الإعلام الذي يلتزم المشروعية الإسلامية أداة ووسيلة ومضموناً وجوهراً وهدفاً وغاية . هذه هي المعاني الثلاثة التي يمكن أن ترد على الذهن عندما نتحدث عن الإعلام الإسلامي .

أما المعنى الأول فينبغي استبعاده عن المفهوم العلمي الذي نعنيه للإعلام الإسلامي .. لأنه كثيراً ما تبث وسائل الإعلام في الدول الإسلامية برامج مخالفة للإسلام .

أما الإعلام الإسلامي بالمعنى التاريخي ، فهو وإن كان يفيد الدراسة الراهنة للإعلام الإسلامي ، إلا أنه ليس جوهره ، وإنما كشف لحركته في الزمان وعلى أرض الواقع ، ومن خلال الوسائل المتاحة في كل عصر .

أما المفهوم الثالث ، وهو التزام المشروعية الإسلامية ، فهو المعيار الوحيد الذي يبرر إسناد أو إضافة كلمة الإسلام إلى الإعلام ، وهذا المفهوم للإعلام الإسلامي يلزمنا بأمرين :

- توسيع الأرضية التي يتحرك فيها الإعلام بحيث لا ينحصر في الدراسات التي تشمل تحليلاً لمضمون المادة الإعلامية الدينية في الصحف والإذاعة والتلفزيون . فهذه مجرد قناة من قنوات الإعلام الإسلامي ، وهي ما يطلق عليها أحياناً اسم الإعلام الديني .
- الأمر الثاني : أن الإعلام الإسلامي ليس وصفاً لحالة مجتمع وليس ذيلاً وراء حاجات المجتمع ومطالبه الترفيهية ، وإنما هو عملية تقويم لحركة الجماعة لتصنع وفق شريعة الله .

هذان الأمران هما جوهر المفهوم الصحيح للإعلام الإسلامي . وهما ينعكسان على خصائصه ، فإذا هي خصائص الإسلام بما فيه من صدق شامل وعدل كامل وعالمية وشمولية . وهما ينعكسان على وظائفه بحيث تتحرك كلها نحو تكوين إسلامي لفكر الناس ، وحكم إسلامي لحياة المجتمع . وهما ينعكسان أخيراً على أهداف الإعلام الإسلامي بحيث يمكن تركيزها في هدفين رئيسين هما :

- تدعيم الجبهة الإسلامية الداخلية في وجه الهجمات الإعلامية المخططة ، خاصة وأن المادة الإعلامية تتدفق اليوم على كل بيت دون ضابط من أحد وبغير تحكم من مجتمع ، الأمر الذي يزيد من خطورتها .
- تعميم الحضور الإسلامي على الساحة الإسلامية ، بعد أن غيَّبته أبنية فكرية كثيرة ، غررت بالمسلمين وأفرغت حياتهم من مضمونها ، وشوهت انتماءهم وحطمت تماسكهم ، وشلت قدرتهم على النمو والصعود .

خلاصة القـول : إن الإعلام الإسلامي في مفهومه الصحيح ليس هو المادة الدينية التي تبثها وسائل الإعلام ، سواء أكانت برنامجاً فقهياً في الإذاعة المسموعة أو المرئية ، أو صفحة للفكر الديني في الصحف والمجلات ، وإنما هو مشروعية إسلامية تتحكم في كل ما تبثه وسائل الإعلام في ساعات إرسالها ومن كل قنواتها .. وعلى جميع صفحاتها ؛ سواء أكانت المادة المبثوثة موضوعاً ثقافياً أو علمياً أو رياضياً أو فنياً . ■■

[العدد ٢٠٠٥]

South

التنميـــــة بين الإنتـاج والاستهـلاك

■■ عادة ما يختلط تعبير التنمية في العالم الثالث ، برفع مستوى الاستهلاك . وكثيراً ما يتوهم بعضهم أن ازدياد معدلات الاستهلاك معناه تحقيق التنمية . وهما أمران متناقضان في الحقيقة ، من حيث الأهداف والأولويات والأساليب .

إن التنمية الحقيقية تعني إعطاء الأولوية للإنتاج وليس للاستهلاك ، كما تعني توفير رأس المال للاستثمار الإنتاجي المحلي وتأجيل العادات الاستهلاكية إلى ما بعد إقامة القاعدة الإنتاجية ، وبعد التأكد من إنتاج معظم متطلبات الاستهلاك ، وإبقاء الواردات من السلع المصنعة على هامش النشاط الاقتصادي .

أما التنمية بمفهومها الاستهلاكي فتعني استيراد معظم متطلبات الاستهلاك وتشجيع الروح الاستهلاكية قبل إقامة القاعدة الإنتاجية . وبذلك يصعب توفير رأس المال اللازم للاستثمار سواء على مستوى القطاع الخاص أو العام . وهذا ما يفسر فشل جهود التنمية في معظم دول العالم الثالث سواء منها من اتبع المذهب الرأسمالي أو الاشتراكي . لقد سعت هذه البلدان لقطف ثمار التنمية دون دفع تكاليفها .

إن نجاح خطط التنمية في بعض البلدان يشير إلى فهم تلك البلدان لتاريخها وظروفها ؛ وإلى قيام القيادة بشرح النظريات التي تتبناها للناس وتحويلها إلى عادات وممارسات . وبالعكس فإن فشل التنمية في بلدان أخرى يشير إلى تجاهل أو عدم فهم تلك البلدان لتاريخها الخاص وظروفها ، وإصرار القيادة على فرض تلك النظريات التي تتبناها بالقوة على الناس .

إن معظم هذه البلدان تعتبر النظامين الأمريكي والسوفييتي ، نمطين يجب الاقتداء بأحدهما ، بينما كان من بين أسباب انطلاقة القوتين الأمريكية والسوفييتية ، اعتبارهما الأنموذج الغربي الأوروبي ، نمطاً من التقدم يجب تجاوزه .

لقد سعت النخب الحاكمة في العالم الثالث إلى تكريس وتعزيز سلطتها ، ولجأت إلى إعلان التنمية كشعار فقط دون انتهاج السبيل الأمثل لتحقيقها ، لقد فتحت شهية الناس للسلع الاستهلاكية ، وتسولت من الدول الأخرى لتمويل وارداتها من تلك السلع ، وهذا ما يفسر الشهية المزمنة للعملات الصعبة في الدول النامية ، وهي تحصل على تلك العملات إما عن طريق المعونات أو تصدير المواد الخام أو الحصول على القروض ، وهذه المصادر لا تتطلب القضاء على التركة الاقتصادية الاستعمارية ولا إحداث تحول اجتماعي جذري . إن مجرد الحصول على المال اللازم للاستيراد وإقامة المنشآت اللازمة لتوزيع الواردات يناسب الغرب الذي يسعى للحصول على الأسواق والمواد الخام ، ولكنه يحارب ظهور دول صناعية جديدة منافسة له .

إن التنمية الحقيقية تتطلب التعبئة الكاملة للموارد ، وتحمل أعباء التحول الاجتماعي والانتاج بكل متطلباته من عمل شاق وتأجيل للاستهلاك ، وعدم انتظار المعونات الخارجية والمعجزات . لا فائدة ترتجى من انتظار المعونات الغربية أو انتظار مفاوضات نقل التكنولوجيا ، أو انتظار تخلي الغرب عن امتيازاته بفضل إحساس بالذنب لدى بعض أفراده . إن التنمية تعتمد على إرادة التنمية التي تضع في الاعتبار مقاومة الغرب لها وليس دعمه لها ، إذ لا يتوقع أن يضحي الشمال بامتيازاته لصالح الجنوب . ■■

[العدد ٣٣]

الدستور

العـــــودة إلى النبـــع

■■ لم يكن هناك من يتصور أن الانهيار في الحياة العربية يمكن أن يتغلغل عمقاً وينفذ إلى الروح العربية ، والفكر العربي والمبادىء والقيم وحتى اللغة العربية ، والأحاسيس والمشاعر الخاصة التي تأصلت في النفس العربية على مدى العصور ، ويمعن فيها تصدعاً وتخريباً وتغريباً ، لدرجة اختلط فيها الإيجابي بالسلبي ، والجوهري بالهامشي ، والجميل بالقبيح ، والأبيض بالأسود .

لم يكن أحد يتصور أن تنقلب المبادىء والقيم والمفاهيم لتحل مكانها مفاهيم ومبادىء وقيم مغايرة تماماً يشيعها المرجفون والمشلولون ، وأولئك الذين فقدوا الثقة بالذات ، وفقدوا القدرة على الرؤية في هذا الليل الشرس .

لقد تساوى في نظر هؤلاء ، بحجة مسايرة العصر ومبادىء العصر وقيمه ، تساوى الخونة والقديسون والشهداء والتجار ، والإيثار والأنانية ، والتضحية والتخريب ، بل إن الأنانية والتجارة والتخريب أصبحت هي المفاهيم السائدة ، وأصحابها هم الذين يلتفتون إلى مصالحهم الذاتية في هذه الحياة الغابيَّة .

حتى الحديث عن مفاهيم مثل التحرير والحرب والحق واسترجاع الوطن المغتصب من وجهة نظرهم ، أصبح جريمة وتطرفاً وغباءً ودلالة على التخلف الفكري والإعلامي .

ولعل خطورة هذا الارتداد والانهيار والانقلاب لا تقتصر على القضايا المصيرية ، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية بل ينسحب على الشخصية العربية ، ليخربها من الداخل ، ويفرغها من محتواها ومقوماتها الفكرية والنفسية ، ومبادئها ومتطلباتها وهمومها وموقعها ، وإبعادها بالتالي عن أخذ دورها في صنع حياتها ومستقبلها .

إن الهزائم العسكرية التي لحقت بنا ، لا تساوي شيئاً بالنظر إلى الهزائم النفسية التي بدأت تسكن الأعماق ، لذلك لا بد من العودة إلى الأساس في حياتنا وإلى الجوهري في أعماقنا ومبادئنا ، لنؤشر على همومنا بكل صدق وموضوعية وقوة وتحد ، ولنسم الأشياء بمسمياتها بعيداً عن التشويه والتغليف ومسايرة روح العصر الكاذبة ، ولنرسم طريقنا بوضوح من خلال أفكارنا وأحاسيسنا وقيمنا ومفاهيمنا وحاجاتنا ، لنعمل على تحرير إنساننا وأرضنا من كل ما علق ويعلق بهما من تشويه وتخريب واحتلال . ■■

[العدد ٥٦٢٠]

مسابقة الأمة

الجوائز

● **الجائزة الأولى**

خمسمائة ريال قطري

● **الجائزة الثانية**

ثلاثمائة ريال قطري

● **الجائزة الثالثة**

مائتا ريال قطري

سبع جوائز أخرى : اشتراك مجاني بالمجلة لمدة سنة ، للفائز الرابع حتى العاشر .

حل المسابقة وأسماء الفائزين على الصفحة المقابلة .

● ترسل الإجابات إلى : ص . ب ٨٩٣ - الدوحة - قطر ويكتب على الغلاف : مسابقة الأمة ورقم العدد

مسابقة العدد السادس والأربعين

السنة الرابعة

١ - قاموس المسابقة :

كلمات من القرآن الكريم ، هل تعرف المعنى الصحيح لها من بين المعاني الواردة أمام كل كلمة ؟ .. اذكر المعنى الصحيح ، ونص الآية التي وردت فيها :

● أَمْشَاج :	علامات	أخلاط من الدم	أسباب
● مُبْلِسُونَ :	يائسون	متفائلون	فرحون
● جِبِلًّا :	جَبلًا	خلقاً	تلًا
● حَصْحَصَ :	عُدّ	التبس	وضح
● ادَّارَأْتُمْ :	تدافعتم	انكفأتم	تأخرتم

٢ - عندما نزلت آية التيمم قال رسول الله ﷺ لأصحابه : « كان مَنْ قَبْلَكُمْ لا يُصلُّون إلَّا في بِيَعهم وكنائسهم وجُعلت لي الأرض طهوراً حيثما أدركتني الصلاة » .

متى وأين نزلت آية التيمم ؟

٣ - من هو ؟ :

● خزرجي من بني النجار .. كنيته : أبو أُمامة .
● سادس ستة هم أول من لقي النبي ﷺ من الأنصار فأسلموا ولم يسلم قبلهم أحد .
● نقَّبه رسول الله ﷺ على رأس النقباء الاثني عشر ليلة العقبة .. وكان قد أخذ بيد الرسول ﷺ فقال : « أيها الناس هل تدرون على مَ تبايعون محمداً ؟ إنكم تبايعونه على أن تحاربوا العرب والعجم والجن والإنس مُجْلِبةً ... » فقالوا : « نحن حرب لمن حارب وسلم لمن سالم » .. فقال : « يا رسول الله اشترط عليّ » . فقال الرسول ﷺ : « تبايعوني على أن تشهدوا ألَّا إلـه إلَّا الله وأني رسول الله وتقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأهليكم » قالوا : « نعم » .. « هذا لك يا رسول الله فما لنا ؟ » قال : « الجنة والنصر » .
● كان - قبل الهجرة - يصلي بالناس الصلوات الخمس ويجمع بهم في مسجد بناه في مربد سهل وسُهيل ابني رافع .. فلما قدم رسول الله ﷺ صلى في هذا المسجد وبناه ، فهو مسجده اليوم ..
● مات في شوَّال على رأس تسعة أشهر من الهجرة ومسجد رسول الله ﷺ يُبنى وذلك قبل بدر .. وغسَّله وكفَّنه وصلى عليه رسول الله ﷺ .. ويقال : إنه أوَّل من دُفن بالبقيع .

٤ - من القائل ؟ (شاعر جاهلي) :

الخيرُ يبقىٰ وإنْ طالَ الزَّمانُ بِهِ والشَّرُّ أَخْبثُ ما أوعيتَ من زاد

... [يقال إنه أصدق بيت قالته العرب] .

٥ - مؤلف وكتاب :

● [المؤلف] : وُلد في بيت علم وفضل في السابع من صفر سنة ٦٩١هـ في قرية ازرع من قرىٰ حوران التي تبعد (٥٥) ميلاً جنوب شرقي دمشق .. ثم انتقل إلىٰ دمشق .. وتتلمذ لطائفة من علمائها فأخذ عن أبيه علم الفرائض ، وعن الشهاب النابلسي وغيره الحديث ، وعن ابن أبي الفتح البعلي العربية .. وتلقى الأصول والفقه على الشيخ صفي الدين الهندي وشيخ الإسلام ابن تيمية .. ويقال : إنه كان يستظهر مسند الإمام أحمد بن حنبل .
● لازم ابن تيمية ملازمة تامة منذ سنة (٧١٢هـ) حتى وفاته سنة (٧٢٨هـ) ، وكان يأخذ بأكثر اجتهاداته وينتصر لها ، وهو الذي هذَّب كتبه ونشر علمه .. وقد استفاد منه في منهجه وأسلوب تفكيره . وإن كان أقرب منه إلى اللين والرفق بالمخالفين .
● كان يهدف من وراء مؤلفاته التي تزيد عن ستين مؤلفاً ، إلى بيان خصائص أهل السنة والجماعة ، وبيان الصراط المستقيم والطريق الوسط بين الغالي فيه والجافي عنه فيما يتعلق بصفات الله تبارك وتعالى ، وحقوق الأبناء عليهم الصلاة والسلام ، ومعرفة الحلال والحرام ، والخلق والأمر ، والوعد والوعيد ، والاقتصاد في السنة واتباعها كما جاءت مع بيان ما حادت عنه الملل والفِرق الحائدة عن الصراط المستقيم .
● كان يحارب التقليد بلا هوادة ، وينعي على فاعليه ويوجب الاجتهاد على القادر المكلَّف . ويرى أن تغير الفتوىٰ واختلافها بحسب تغير الأزمة والأمكنة والأحوال والنيَّات والعوائد ، ويقول : إن الجهل بذلك غلط عظيم على الشريعة ، ينشأ عنه من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه ما يعلم أن الشريعة الباهرة التي هي في أعلى رتب المصالح لا تأتي به ، فإن الشريعة مبناها وأساسها عل الحِكَم ومصالح العباد في المعاش والمعاد ، وهي عدل كلها ، ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها .
● توفي - رحمه الله - وقت عشاء الآخرة ليلة الخميس في الثالث والعشرين من رجب سنة ٧٥١هـ وَصُلِّيَ عليه من الغد بجامع دمشق الكبير ثم بجامع الجراح قرب المقبرة التي دفن فيها بالباب الصغير .
● [الكتاب] : اشتمل على هدي النبي ﷺ في شؤونه العامة والخاصة ، ومتابعة أطوار حياته وما صاحبها من أحداث وما لابسها من أمور يجدر بكل مسلم أن يقف عليها ويتبين أمرها .
● وصفه محققاه بأنه أوفى كتاب في سيرة النبي محمد ﷺ .
● جرىٰ تأليفه حال السفر ، ولم تكن في حوزة المؤلف المصادر التي ينقل منها ما يحتاج إليه من أخبار وآثار تتعلق بموضوع الكتاب ، مع أنه تضمن معظم الأحاديث النبوية القولية منها والفعلية المتعلقة به ﷺ مما هو منثور في كتب الحديث وغيرها .
● جزأه المؤلف إلى أربعة أجزاء ، حُققت - للمرة الثانية - ثم طبعت سنة ١٩٧٩م .

٦ - أريتريا ، إحدى بقاع الله التي يعاني المسلمون فيها ويلات الحرب والدمار والاضطهاد وكل صنوف العذاب .. وقد أطلق اليونانيون في القرن الثالث قبل الميلاد ، كلمة (تريكون سينوس أريتريوم) على البحار الواقعة حول الجزيرة العربية (البحر الأحمر ، خليج عدن ، بحر العرب ، والخليج العربي) .. كما كانت في اليونان - قديماً - جزيرة تحمل اسم أريتريا .. وقد حصر الرومان التسمية (سينوس اريتريوم) على البحر الأحمر وشواطئه التي سيطروا عليها .. ولما جاء الاستعمار الإيطالي أطلق اسم (إريتريا) على الأرض التي تعرف اليوم بهذا الاسم ..

متى كان ذلك ومن هو الملك الإيطالي الذي أصدر مرسوماً بالتسمية ؟

حل مسابقة العدد الرابع والأربعين

١ ـ المعنى الصحيح ونص الآية :

○ وَخَرَقُوا : افتعلوا واختلقوا كذباً ..

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ، وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (الأنعام : ١٠٠)

○ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ : لم يمسسهنّ .

﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ (الرحمن : ٥٦) و (الرحمن : ٧٤)

○ وَقَاسَمَهُمَا : حلف لهما .

﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ (الأعراف : ٢١)

○ القَالِينَ : المبغضين .

﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴾ (الشعراء : ١٦٨)

○ لَبُوسٍ : دروع .

﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ (الأنبياء : ٨٠)

٢ ـ كانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار بعد مقدم النبيِّ ﷺ المدينة بخمسة أشهر وقيل بثمانية أشهر ..

٣ ـ الصحابي الجليل خَبَّابُ بن الأرَتّ رضي الله عنه .

٤ ـ الإمام الشافعي رحمة الله عليه .

٥ ـ [المؤلف] : أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الحُصْري القيرواني .

[الكتاب] : زهر الآداب وثمر الألباب .

٦ ـ بيت الحكمة .

أسماء الفائزين في مسابقة العدد الرابع والأربعين

الفائز الأول :

● عادل السمعلي ـــــ تونس

الفائز الثاني :

● سميَّة عبد الغني محمود ـــــ الأردن

الفائز الثالث :

● سعاد عبد الحق التدلاوي ـــــ المغرب

الفائز الرابع :

● هاشم عبد الرحمن السيد ـــــ اليمن

الفائز الخامس :

● حاتم أمين أحمد الجمل ـــــ مصر

الفائز السادس :

● الحافظ ثناء الله ـــــ باكستان

الفائز السابع :

● محمد موسى عبد الرحمن ـــــ موريتانيا

الفائز الثامن :

● الحسين أحمد محمد الزين ـــــ الإمارات العربية المتحدة

الفائز التاسع :

● كمال عبد الله الحسين ـــــ السودان

الفائز العاشر :

● فضل الرحمن قربان محمد ـــــ السعودية

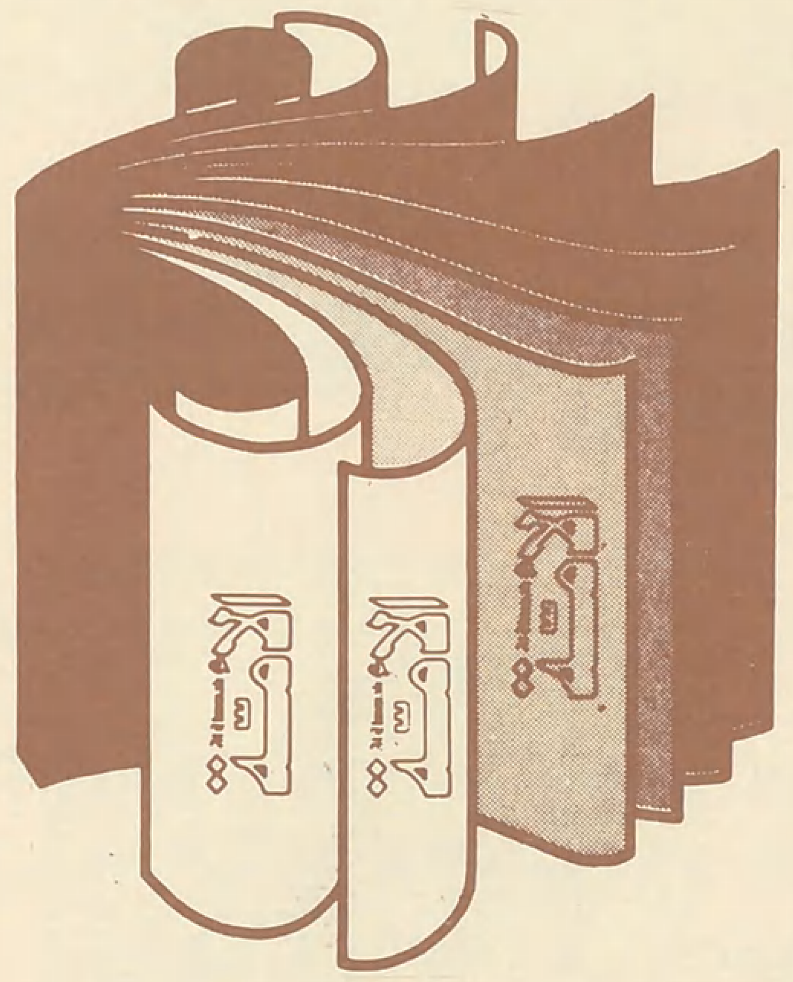

اقرأ في الأمة الأعداد القادمة

□ إعداد الأمة لمواجهة العدوان
اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ

□ المستشرقون بين الحقائق والأوهام
الدكتور محمود بن الشريف

□ (قضية للمناقشة) :
التبرع بالدم بين الدين والعلم
الدكتور نبيل سليم علي

□ نحو منهج نقدي إسلامي
الدكتور عبد الباسط بدر

□ (استطلاع) :
إريتريا المسلمة : بين أحقاد الصليبية وأطماع الشيوعية

□ الفصحى والمناهج اللغوية الحديثة
عيسى أمين صبري

□ الإعلام الإسلامي
حوار مع الدكتور إبراهيم إمام
أجراه بسيوني الحلواني

اللغة بين السمع والبصر

□□ رحم الله زماناً كانت للعربية فيه سلطتها وقوتها واحترامها ، مثلما كان لأصحابها من هذه الخلال ما مكّنهم ، من المحافظة عليها ، ومراعاة استعمالها ، ونشرها في آفاق بعيدة خارج موطنها حتى غدت لسان الأقوام الذين دخلوا في دين الله أفواجاً .

لقد اكتسحت اللغة العربية لغات هؤلاء فسقطت أمامها السريانية ، والقبطية ، والبربرية ، تماماً كما اجتث الإسلام من أذهانهم خرافات كانوا يعتقدونها ، وأدوات كانوا يعبدونها . ووقر في نفوس هؤلاء وأولئك أن العربية من الدين ، وفهمها فهم له ، بها يؤدي المسلم عباداته ، وبواسطتها يتلو كتاب ربه . ولا يعني هذا أنها قاصرة على هذا المجال من مجالات الحياة ، ولكنها لغة شاملة ، غنية ، وعالمية أيضاً .

واللغة العربية بدأت مشافهة ، تتناقل قواعدها وآدابها الألسنة ، أما الكتابة والقراءة ، فقد كانت قليلة ، لا يجيدها إلا القليلون ، وكان خطيب القوم ، يعتلي ربوة ، يلقي على المسامع بليغ القول ، لا يني ولا يتلعثم . وكانت قصائد شعرائهم تطير في القبائل ، يتذاكرها كبار القوم وصغارهم . وكان للأدب : شعره ونثره تأثير كبير في نفوسهم ، بما له من جمال في اللفظ وشرف في المعنى .

ومن هنا مال قسم من الباحثين إلى القول : بأن العربية لغة أذن وليست لغة عين ، أي أن أدبها كان مسموعاً ، تطرب له الأذن ، قبل أن يكون مكتوباً ، يُقرأ بالعين . وهذا الكلام ـ إن صح في بعض فنون الأدب كالشعر ، والخطب فإنه ـ لا يصح في بعضها كالقصص والرسائل حيث تكون للقراءة أهمية كبيرة فيها . وقد غالى بعضهم حين عوَّل على السمع جل الشيء ، وتنبأ بفقدان الكتابة قيمتها في التسجيل والتدوين . فالواقع يشهد بأهمية القراءة والكتابة ، وأرقام المطبوعات في تزايد مستمر ، برغم الأجهزة المتنوعة والمتطورة للصوت حفظه وإذاعته . وما يزال التقدم العلمي يُعنى بأدوات الكتابة ، وإتاحتها حتى للمعوقين بصرياً .. فالوسيلتان إذاً تسيران معاً ، وتؤديان غرض التثقيف والتواصل ، ولكل منهما مجالها في الأدب وغيره من صنوف الثقافة ... والكلمة مكتوبة أو مسموعة أو مرئية أمانة في عنق صاحبها فالإنسان مسؤول عن حواسه : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا ﴾ (الإسراء: ٣٦) .

والقرآن الكريم يحفل بالآيات التي تدعو إلى استعمال الحواس جميعها للوصول إلى الحقائق : وقد كانت أول كلمة فيه هي بالفعل الآمرة بالقراءة ، فأصبحت بذلك مسؤولية دينية وضرورة واقعة على المسلمين : ثم جاءت الآيات حاضَّة على الكتابة ، ورافعة من شأنها ، ولعل أجلاها ذلك القسم الذي يوقعه سبحانه وتعالى : ﴿ نٓ . وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ (القلم: ١-٢) .

وقد نهض المسلمون لتعلم القراءة والكتابة ، إلى الحد الذي نجد فيه الرسول ﷺ ، يجعل أسير المشركين في بدر يفتدي نفسه بتعليم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة ـ إن كان يتقنهما ـ ومن اتخاذه ، عليه الصلاة والسلام ، كُتَّاباً بين يديه ، يدوِّنون العقود والمعاملات ، ورسائله إلى الملوك والأمراء ، يدعوهم فيها إلى الإسلام . وقد اشتهر بعض الصحابة « بكُتَّاب الوحي » .

وقد تلا بعد ذلك زمان ظلت اللغة تُتدارس فيه مشافهة وتدويناً ، حيث كانت تثار مسائل ومحاورات دوِّن منها ما نراه الآن بين أيدينا من كتب ، عدا عمَّا أتت عليه عوادي الزمان وحادثات الأيام . ونحن إزاء هذا التراث الضخم من العلوم والفنون ، ينبغي أن نتفهمه ، وننقله لغيرنا من الناس الذين لم تُتح لهم فرصة تعلم لغتنا . وأعني بهم مئات الملايين من المسلمين الذين يتطلعون برجاء إلى تعلم لغة القرآن . فهي لغة المسلمين جميعاً ، وبرغم ذلك فالناطقون بها قليلون نسبياً ، وفيهم من يطعن فيها ، ويحاربها .

قلتُ : إن هذا العصر استحدثت فيه الوسائل الكثيرة والمتطورة للتعليم والتثقيف ، ولعل تعليم وتعلم اللغات من الأمور المطلوبة والمهمة في حياة إنسان هذا العصر ؛ وقد فطنت إلى هذا دول كثيرة : فأفادت من الوسائل كثيراً ، وقطعت شوطاً بعيداً في نشر لغاتها وثقافاتها . ويبدو تكاسلنا نحن ، حين نتعرض لبعض الدول تلك . ففي إحصائية أذيعت في باريس قبل ثلاث سنوات جاء أن عدد الذين يتحدثون بالفرنسية في العالم مائة وخمسين مليوناً ، منهم ثلاثة وخمسون مليوناً في فرنسا ، وأن ثلاثمائة وخمسين مليون طالب يدرسون هذه اللغة في معاهد تدرِّس الفرنسية في العالم ؛ وقالت هذه الإحصائية الرسمية : إن فرنسا تستقبل كل عام مائة ألف طالب أجنبي ، يفدون إليها بهدف تعلُّم اللغة .

أما الألمان ، فطريقتهم في نشر لغتهم هي تأسيس المعاهد في الداخل والخارج ، لعل من أكبرها وأهمها ذلك القسم لدراسة الألمانية الذي يتبع معهد جوتة ، نسبة إلى أديبهم الكبير ، إذ تنتشر فروعه الـ (١١٠) في معظم بلدان العالم ، منها ستة في البلاد الناطقة بالعربية ، أكبرها : معهد جوته في القاهرة ، والذي أُنشئ منذ ربع قرن ؛ ويُخرِّج هذا القسم كما ذكر لي مديره ـ خمسة آلاف من الطلبة كل عام : وأسلوب تعليم الألمانية في هذه الفروع للأجانب ، هو الأسلوب المباشر ، أي مواجهة المتعلم بالنصوص الألمانية المبسطة مباشرة ، والبداية بالكل ثم الانتقال للجزء ، أي : قواعد اللغة وجزئياتها ، باستخدام الوسائل السمعية والبصرية الشائعة في معظم مراكز تعليم اللغات اليوم ، وتهتم المراكز الثقافية الفرنسية والألمانية والإيطالية والانجليزية بترسيخ ثقافاتها ، وطبيعة بلادها من خلال تعليم ونشر لغاتها .

وهكذا ينشط هؤلاء في إبقاء لغاتهم وثقافاتهم في كل مكان ، بينما تُهان العربية وتُزدرى ، من قبل أبنائها العاقين !!! □□

عيسى أمين صبري

يصدر قريباً:

كتاب الأمة
Al Ummah

٧

الحرمان والتخلف في ديار المسلمين

الدكتور نبيل صبحي الطويل

□□ لقد أدرك المنصِّرون أن المرض يجعل الإنسان قلقاً خائفاً مهموماً لا يتردد في قبول المساعدة من أية يد تمتد إليه، وأتقنوا هذه اللعبة وتفننوا في استغلال هذا الضعف البشري الظاهر في كثير من ديار المسلمين في آسيا وأفريقيا، وحولوا عن طريقه أعداداً كبيرة من المحرومين المسلمين عن دينهم ...

□□ ما بال أقوام يوجهون جهودهم المالية إلى بلاد الغرب لدعم جاليات مسلمة هناك، وأكثرها مكتف مادياً وذو دخل كبير ... أليس الأولى الدفاع عن كرامة المسلمين المحرومين، وحمايتهم من الغزو الأجنبي في عقر دارهم، وتركيز الدعوة والخدمات الاجتماعية على عشرات ملايين المسلمين المرضى والجياع في أفريقيا وآسيا، عوضاً عن صرف المال الكثير على اجتماعات ولقاءات وزيارات وحفلات في الخارج يكثر فيها الكلام ويقل بعدها العمل الهادف الدؤوب المبرمج.

□□ التخلف المادي الذي يخيم على المجتمعات المسلمة هو نتيجة طبيعية للتخلف الفكري، نحن بحاجة ماسة لإيمان عميق وإخلاص كامل مع وعي وبصيرة، ومتى تيسر ذلك يأتي التخطيط الدقيق والعلم النافع والعمل المستمر والتكافل المنشود .. حينئذ نكسر طوق التخلف الذي يحيط بنا ولكن لن يتغير حالنا إلى أن نغير نحن ما بنا .. «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».

يطلب من وكلاء توزيع الأمة في العالم

[■■ الإسلام .. هو الطابع الأصلي للجزائر .. كان ولا يزال درع حمايته ودافع تحريره .. ضمن وحدة الشعب المسلم تاريخياً .. وتصدَّى للحملات الصليبية والأوروبية الهوجاء بقيادة الامبراطور الاسباني شارل الكبير .. وحفظ لهذا الشعب هويته الإسلامية ولغته العربية في مواجهة محاولات الاستعمار الاستيطاني الفرنسي لإسقاط هويته وتعجيم لغته ... ■■]

مجلة الأمة - Al Ummah

العدد ٤٦ السنة الرابعة شوال ١٤٠٤هـ